المرأة في الحضارة البيزنطية

almaktabeh
مكتبة
المهتدين

تأليف
الدكتورة عَلية عبد السمِيع الجنزوري
مدرس تاريخ العصور الوسطى
كلية البنات جامعة عين شمس

الطبعة الاولى
١٩٨٢

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية

مكتبة المهتدين الإسلامية

http://www.al-maktabeh.com

حقوق الطبع محفوظة للمؤلفة

الإهـــداء

الى أمى الغالية التى كانت خلف كل مجهود بذلته فى هذا الموضوع،
ثم الى المرأة المصرية عامة ٠

مع وافر احترامي وتقديري وحبي

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون »

« صدق الله العظيم »

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــــدير

نبعت فى نفسى فكرة ذلك الموضوع منذ بدأت فى تدريس مادة تاريخ الدولة البيزنطية لطالباتى الغاليات فى كلية البنات جامعة عين شمس ٠٠ وكامرأة وجدت فى نفسى رغبـــة ملحة للكتـــابة عن المرأة فى الحضـــارة البيزنطية ٠

حقيقة لقد حظيت الحضارة البيزنطية بالكثير من الجهود العظيمة من جانب الكثير من المؤرخين القدامى والمحدثين ، لكن موضـــوع المرأة ذاته كموضوع متكامل الدراسة من كافة جوانبه لم يتم بعد ، حقيقة تنـاولت بعض الأبحاث الحديثة مثلا المرأة فى القانون البيزنطى لكن باقى النواحى المتعلقة بالمرأة البيزنطية لم تلق حظها الواجب من الدراسة ٠

لذا رأيت أن ألم فى هذا الموضوع بجميع النـــواحى المتعلقة بالمرأة البيزنطية فأتناول دورها فى الحكم والحياة السياسية ، ودورها فى الحيـاة الدينية ، ودورها فى الحياة الثقافية ، ثم فى الحياة الاجتماعية ، وأخيرا وضعها فى القانون البيزنطى ومهدت لذلك كله بمقدمة عن وضع المـرأة فى الفكر اليونانى والأساطير اليوناتية والحضارية اليونانية القديمة وذلك لشدة تاثر الحضارة البيزنطية بالحضارة اليونانية

وبذلك أستطيع أن أعطى صورة أقرب الى التكامل عن المرأة البيزنطية فى العصور الوسطى التى هى مجال تخصصى ٠

وان كنت قد قصرت فى شىء فالكمال لله وحده ٠

والله ولى التـوفيق ٠

رمضان ١٤٠٢ هـ
يونيه ١٩٨٢ م

المؤلفـــة
علية عبد السميع الجنزورى

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

مقـــــدمة

وضع المرأة فى الفكر اليونانى والأساطير اليونانية

والحضارة اليونانية القديمة

لما كان للحضارة اليونانية تأثيرا كبيرا على البيزنطيين وحضارتهم لذا رأينا أنه من المنطق أن نقدم نبذة بسيطة عن المرأة لدى اليونان لنســـتطيع بعد ذلك أن نتفحص بامعان وضع المرأة البيزنطية كى نرى الى أى حد تأثرت الأخيرة بالمرأة اليونانية وبالحضـــارة اليونانية ، لشدة قربها واحتكاكها بها ٠

والمعروف أن اليونان كانوا أرقى الأمم القديمة حضـــارة ، وازهرها تمدنا ٠ وفى عصورهم الأولى كانت المرأة فى غاية من الانحطاط وســـوء الحال ، من حيث الأخلاق والحقوق القانونية والاجتماعية وغيرها ، بل كان من مفكريهم الكبار من ينادى « بوجوب حبس اسم المرأة فى البيت كما تحبس جسمها » ، وكانت محرومة من الميراث ، وكان ينظر الى الزوجة على أنهـا وظيفة لاستيلاد الأطفال ، لا تعلو كثيرا عن وظيفة الخدم ٠ حتى قـــال خطيبهم الشهير (ديموستين) « اننا نتخذ العاهرات للذة ، ونتخذ الخليلات للعناية بصحة أجســـامنا اليومية ، ونتخـــذ الزوجات لتلدن لنا الأبناء الشرعيين » (١) ٠

وبانتشار العلم والحضارة ارتفعت مكانة المرأة فى المجتمع بعض الشىء وأصبحت أحسن حالا وأرفع منزلة عن ذى قبل الا أن منزلتها القانونية بقيت على حالها لم تتبدل (٢) ٠

والحقيقة لقد كانت المرأة اليونانية وعلى وجه الخصوص الأثينية ـ من الناحية الشرعية ـ ينظر اليها باستمرار على أنها قاصر ، فعندما تتزوج يصبح زوجها هو الوصى عليها ، وعندما تترمل ، تنتقل الوصاية عليها الى والديها

---

(١) محمد بن عبد الله عرفه : حقوق المرأة فى الاسلام ص ٢١ ٠

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٢ ٠

http://www.al-maktabeh.com

أو الى زوج جديد يكون قد عين من قبل بواسطة زوجها الأول (٣) · وكفتاة كان ليس لها الحق فى ميراث والديها ، الا فى حالة عدم وجود أخ لها ، ولا تتلقى ذلك الميراث الا لكى تنتقل عن طريقه الى الزواج (٤) ·

أما عن مهام المرأة اليونانية التى كان من المفروض أن تقوم بها فكانت: العناية بالمنزل ، خدمة الأسرة ، تعليم بناتها حتى يبلغن سن الزواج ، أما أبنائها فكانت تعلمهم فقط حتى سن السابعة تقريبا ، وعلى ذلك كان هناك - على حد تعبير موريس كروازيه - تفاوتا كبيرا بين وضع المرأة القانونى ووضعها الحقيقى · « فلم نرى أو نسمع فى أى بلد على الاطلاق أن مشاعر الناس وعاداتهم خضعت كلية فى تنظيمها لسلطة القوانين » (٥) ·

وفيما يتعلق بتأثير المرأة ودورها فى أثينا ، نجد أنها بمرور الزمن أصبحت ، فى بعض الأحيان تتمتع بالاستقلال فى مزاجها عن زوجها · ومن الممكن أن تكون مستشارة ذكية حكيمة تنصح وتجد أذنا صاغية لنصيحتها · وكان دورها يبرز أكثر بالنسبة لادارة شئون الأسرة وتدبيرها ، خاصة اذا كان الزوج ضعيفا ، مترددا ، غير مبالى بالأمور ، يعالجها بشىء من الاستهتار (٦) · وربما وجدنا فى ذلك تفسيرا لوضع الامبراطورة ثيودورا وزوجها الامبراطور جستنيان ·

والحقيقية « أن تعليم البنات فى أثينا لم يكن اجباريا بل ترك للرغبة » فلم يكن لهن مدارس على الاطلاق · وعلى ذلك كن يتلقين العلم بالمنزل وهو تعليم ابتدائى · وكن يغتنمن الفرصة للاستفادة مما يتعلمه اخوتهن الذكور (٧) ·

---

3. Maurice Croiset : La Civilisation de la Grèce Antique, p. 243.
4. M. Croiset : Ibid, p. 243.
5. M. Croiset : Ibid, p. 243.
6. M. Croiset : Ibid, pp. 243-244.

وهنا يضيف نفس المرجع « أنه لم يعثر على التاريخ التفصيلى لشئون الأسرة فى أثينا لدى مؤرخ بعينه ، لكن الشواهد والأمثلة التى قد يستطيع جمعها من هنا وهناك من الممكن أن يجدها فى كتب السير ولدى الشعراء الذين يعالجون بعض المآسى أو المهازل (M. Croiset : Ibid, p. 244)

7. M. Croiset : Ibid, p. 246.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لذلك كانت الفتيات عندما يبلغن سن الزواج ، يكن جاهلات تماما بشئون الحياة • ويبدو لنا ذلك بوضوح من صورة زوج حديث الزواج يعلم زوجته الفتاه الصغيرة بعض المعارف والمعلومات الهامة وهى فى الواقع « صورة لا تخلو من الظرف واللطافة لكنها تدعو للتفكير » (٨) •

والحقيقة أن الذى يتعمق فى دراسة المرأة وصفاتها فى ذلك الوقت يخرج ببعض ملاحظات هامة عن النساء عامة ، منها على سبيل المثال لا الحصر انهن كن « طائشات ثرثارات ، مفشيات للاسرار يتلذذن بذم الناس » (٩) •

وبتأثر المرأة اليونانية بالعلم والحضارة وبارتفاع مكانتها فى المجتمع أخذت الشهوات تتغلب عليها ، وتبوأت العاهرات مكانة عالية فى المجتمع اليونانى ، وصارت بيوت العاهرات مركزا يؤمه طبقات المجتمع ، ومجتمعا يرتاده الأدباء والفلاسفة ورجال السياسة • ولم يكتفى اليونانيين بما هم فيه من انحطاط خلقى بل جعلوا هذا الانحطاط رمزا للكمال وأكسبوه القدسية (١٠)

تخيل اليونان الأسرة الالهية بانها تتألف من اثنى عشر عضوا ، خمس ربات وسبعة أرباب تسكّن فوق جبل أوليمبوس Olympus (١١) • وسوف نقصر كلامنا هنا على الربات الخمسة لنتعرف على جانب مهم يدفعنا للتعرف عليه رغبتنا فى الوقوف على حقيقة مكانة المرأة فى الأساطير اليونانية القديمة • هذا الى جانب التعرض بايجاز لشخصية الاله زيوس ، لأهميته فى تلك العائلة الالهية •

---

8. M. Croiset : Ibid, p. 246 عن (L'Economique de Xérophon)
9. M. Croiset : Ibid, p. 246.

(١٠) محمد عبد الله عرفه : حقوق المرأة فى الاسلام ، ص ٢٢ •

(١١) د• عبد اللطيف أحمد على ، د • محمد صقر خفاجة : أساطير اليونان ، ص ٧ • وبمعنى آخر : تألفت الأسرة الالهية فوق أوليمبوس من الاله زيوس واخوته الخمسة وأبنائه الستة وابن هيرا وحدها المسمى هيفا يستوس • غير ان الاغريق درجوا على تقدير عددهم باثنى عشر الها والهة • وكانوا يتحدثون عن الالهة الأوليمبية الاثنى عشر • ويقيمون المعابد للالهة الاثنى عشر • ويقسمون اليمين بالاثنى عشر • ومنذ القرن الرابع ق • م أصبح كل واحد منهم يقترن ببرج من الأبراج السماوية الاثنى عشر • بل ان أفلاطون اقترح ان يقترن كل واحد من هؤلاء الالهة بشهر من شهور السنة • (د • عبد اللطيف على : التاريخ اليونانى ، ص ٢١١)

http://www.al-maktabeh.com

هنا نتوقف قليلا لنستفسر عن نوع تلك الأساطير والقصص ، ونجد الجواب الوافي لتساؤلنا فى كتابات أستاذنا الدكتور عبد اللطيف أحمد على، فيمكن تقسيمها ـ بوجه عام ـ الى ثلاثة أشكال أو أنواع :

(أ) الخرافات البحته (Myths) .
(ب) القصص البطولية (Saga) .
(جـ) الحكايات الشعبية (Marchen) (١٢) .

أما الخرافة البحتة فهى وليدة التفكير الخيـــالى فى نشأة الكون والظواهر الطبيعية وأصل الآلهة والمعتقدات والطقوس الدينية (١٣) .

ويقصد بالنوع أو الشكل الثانى من الأساطير ، تلك القصص المتواترة عن السلف التى يطلق عليها غالبا اسم (Saga) ، وهى كلمة اسكندناوية بمعنى قصة وأحيانا قليلة (Legends) الانجليزية . وتختلف الساجا فى أصلها عن الخرافات اختلافا بينا . لأن الساجا مع احتوائها على قـدر كبير من الخرافات تقوم على أساس من الواقع التاريخى . وبعبارة أخرى هى قصص يمتزج فيها الخيال بالحقيقة التاريخية (١٤) .

أما النوع الثالث وهو الحكايات الشعبية فكان قليلا فى بلاد اليونان بالقياس الى النوعين الآخرين . وغالبا ما يطلق على الحكايات الشـعبية لفظ مرشن Marchan استعارته كثير من اللغات الأوربية عن الألمانية ، والحكايات الشعبية هى ما يصفها بعض الباحثين بأنها (طفـولة

---

(١٢) د. عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، حـ ١ ، ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .

(١٣) د . عبد اللطيف أحمد على : المرجع السابق ص ١٨٥ . وهو يضيف مثال على ذلك . بأنه فى محاولة تفسير ظاهرة عبور الشمس للسماء (حسب تصورهم) كل يوم من الشرق للغرب ثم عودتها من رحلتها دون أن يراها أحد الى مقرها لتطلع من جديد . الجواب عن الشق الأول : أنها (أى الشمس) تمتطى عربة تجرها مجموعة من الجياد اللامعة عبر السماء التى تصوروها كقبة منحنية فوق الأرض المسطحة . وأما عودة الشمس الى مقرها دون أن يراها أحد فقد فسروها تفسيرات مختلفة أشهرها أنها كانت تبحر فى كأس هائل عبر نهر عظيم يحيط بالأرض اسمه أوقيانوس (المحيط).

(١٤) د . عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، ص ١٨٧ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخيال) ولا يعرف لها مؤلف ، وتنتقل من فم الى فم ، بل من شعب الى شعب متخطية حواجز اللغة · وهى تختلف عن (الخرافات البحتة) و (قصص البطولة الخارقة) فى أنها نشأت عن مجرد الرغبة فى التسلية والترويح عن النفس (١٥) ·

وقد تمتزج هذه الأنواع الثلاثة من الأساطير فى أى قصة يونانية واحدة ولا سيما اذا كانت القصة طويلة متشعبة موغلة فى القدم أعيدت روايتها مرات ومرات (١٦) ·

والواقع أن الأساطير أصبحت علما مستقلا يعرف بعلم « الميثولوجيا » (Mythology) الذى يتناول النوعين الأولين بوجه خاص · أما النوع الثالث وهى الحكايات الشعبية فيكاد أن ينفرد كفرع متميز يدخل فى اطار علم الأدب الشعبى أو الفولكلور (Folklore) الذى ازدادت العناية به فى السنوات الأخيرة فانشئت له مراكز خاصة للتوفر على دراسته فضلا عن أهميته فى دراسة الانسان (علم الأنثروبولوجيا) والمجتمع (علم الاجتماع (١٧) ·

الاله زيوس : Zeus

يأتى زيوس فى مقدمة أرباب أوليمبوس · واسمه مشتق من لفظ بمعنى الضياء واللمعان أو السماء الصحو · فهو اله السماء أو هو السماء نفسها وهو أيضا رب الجو ·

---

(١٥) د · عبد اللطيف أحمد على : المرجع السابق . ص ١٨٨ ·

(١٦) د · عبد اللطيف على : التاريخ اليونانى ، ص ١٨٩ · وهنا يضيف أستاذنا الكبير تفسيرا لتداخل تلك الأنواع الثلاثة بقصة طروادة · فهذه القصة تستند أساسا الى حرب واقعية نشبت بين الآخيين أو الاغريق القدامى (وخلفائهم من سكان بعض جزر البحر الايجى) وبين الطرواديين (وخلفائهم من بعض الامارات المجاورة لمملكتهم فى آسيا الصغرى) · فالى هذا الحد تعتبر اذا قصة بطولية (Saga) لكنها كثيرا ما تتناول أعمال الالهة التى تدخل فى نطاق الخرافة البحتة (Myth) ، كما تتضمن من وقت لآخر وقائع تدخل فى صميم الحكايات الشعبية (Marchen) .

(١٧) د · عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ١٩١ ·

http://www.al-maktabeh.com

وزيوس « هو أبو الآلهة والناس ، وهو الحاكم بين كل الخالدين وأمامه يقف الانسان كمخلوق من طبقة أدنى ، مخلوق عاجز لا حيلة له · وزيوس خالد والانسان فان · وهو قوى كل القوة والانسان ضعيف » (١٨) ·

تصوره كثير من الأساطير الها يقع فى حب نساء عديدات أكثرهن آلهات وقليلات منهن آدميات · فنسمع عن زواجه بأكثر من واحدة غير (هيرا) زوجته الشرعية المستديمة ، وثمة احتمالان ، فاما أن زيوس كان له عدة زوجات فيما يشبه « الحريم » أو كان ـ اذا كانت له زوجة شرعية واحدة ـ رجلا خائنا لعهد الزواج ميئوسا من صلاحه · والواقع أن الفكرة الثانية لم يستنكرها الاغريق استنكارهم للاولى · فقد كان الاغريق من الشعوب التى تمارس عادة الزواج بواحدة أى تؤمن بزوجة شرعية واحدة · لكنهم كانوا لا يضيقون ذرعا بانحراف الأزواج ويسمحون أو يغمضـــــون العين على العلاقات غير المشروعة · ولم يكن هناك ما يشين الأزواج أو الأبناء المولودين خارج نطاق الزواج (١٩) ·

أما الربات الخمسة :

١ـ أفروديت Aphrodite (الكيثيرية القبرصية)
(فينوس Venus) (٢٠) ·

كانت ربة الحب والجمال فضلا عن الخصب والتناسل وكانت ربة لعوبة مخادعة ، شغوفة بالضحك ، تفتن بابتسامتها الحلوة من يقعون فى شباك حبها ، وتسخر منهم دون أن يظفروا منها بطـــــائل · وهى وفقا لرواية (هوميروس) « ابنة زيوس من ديونى Dione » وهى عشيقة له أوزوجة سابقة على هيرا · لكن هناك رواية أخرى عند (هيسيود) تقول أنها « نشأت من زبد الموج وأن اسمها يعنى وليدة الزبد (Aphros)" وقد حدث مولدها العجيب على مقربة من جزيرة كيثيرا بجنوب البلوبونيز ثم حملتها الأمواج الى قبرص · ومنذ ذلك الحين ارتبطت هاتان الجزيرتان ارتبطا مقدسا بأفروديتى·

---

(١٨) د · عبد اللطيف على : المرجع السابق ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ ·

(١٩) د · عبد اللطيف أحمد على : المرجع السابق ، ص ٢١٧ ـ ٢١٩ ·

(٢٠) عند الرومان ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

كان ميدانها هو الحب وحده ، وكانت بوجه خاص ربة التناسل والاخصاب ومن ثم جاء تمثيلها للغريزة الجنسية ، وجاء ايضا رعايتها لعاهرات المعابد في كورنثه ، حيث لقبت أحيانا بالمحظية (Hetaira) أو العاهرة (Parnê) (٢١)

٢ ـ أرتميس : Artemis (ديانا (Diana (٢٢)

لم تتزوج أرتميس أبدا فظلت كأثينه وهستيا ربة عذراء · ولما كانت ربة المناطق غير المنزرعة كالجبال والغابات والمروج البرية حيث تكثر الوحوش انتشرت عبادتها انتشارا واسعا بأنها ربة الصيد · وكانت أرتميس فوق ذلك كله تحمي مواليد الحيوان والانس ، ومع حرصها على الصغار ورعايتها لهم الا أنها حالت دون ابحار الأسطول الاغريقي الى طروادة قبل أن يضحي له بصبية عذراء ويكشف هذا السلوك عن جانب مناقض لصفاتها المعروفة ولا يعدو أن يكون احدى المتناقضات التي تزخر بها الأساطير ولا تعرف لها تفسيرا (٢٣) ·

٣ ـ أثينه Athênê (Minerva (٢٤)

كانت أثينه زعيمة الربات الثلاث اللائي لم يتزوجن أبدا ، (أثينه وأرتميس وهستيا) واللائي لم يكن لربة الجمال أفروديت سلطان عليهن (٢٥)·

---

(٢١) د · عبد اللطيف أحمد على ، د · محمد صقر خفاجة : أساطير اليونان ، ص ٧ : ١٠ ، د · عبد اللطيف على : التاريخ اليونانى ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩ ·

(٢٢) عند الرومان ·

(٢٣) د · عبد اللطيف أحمد على ، د · خفاجة : أساطير اليونان ، ص ١٩ ، ٢٢، ٢٣ د · عبد اللطيف على : التاريخ اليونانى ، ص ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ·

(٢٤) عند الرومان ·

(٢٥) د · عبد اللطيف أحمد على ، د · خفاجة : أساطير اليونان ، ص ١٣ · والحقيقة أن أثينه كانت أصلا ربة أمومه · لكنها فقدت فى العصر الكلاسيكى (القرن الخامس ق · م · وما بعده) هذه الصفة اذ تحولت أمومتها الى عذرية دائمة · فكيف حدث ذلك ؟ وفى الحق أن وصف أثينه (بالعذراء) Parthenos لا ينبغى أن يفهم بالمعنى الحديث وانما · بمعنى البكاره المتجدده ونضارة الشباب والقدرة التى لا تنضب على الحمل والانجاب (د · عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، ص ٢٦٦) ·

http://www.al-maktabeh.com

كانت آثينه ربة محاربة أو ربة حرب بوجه عام ، ولما كانت ربة مدينة أثينا التى أحرزت فيها الصناعات وبخاصة صناعة الغزل والنسيج والخـــزف والأشغال النسوية بوجه عام · ولذلك لقبت أثينة براعية المهن الصناعية (٢٦) ·

٤ ـ هستيا Hestia (فستا Vesta) (٢٧)

هى أخت زيوس ، ربما الأخت الكبرى · رفضت كل عروض الزواج التى تقدم بها الآلهة والبشر · ولم تكن العذرية وحدها هى موضع افتخار هستيا فقد كانت هى الوحيدة من بين الآلهة التى لم تشترك أبدا فى حروب أو منازعات · ولهذا السبب استجاب زيوس الى رغبتها فى أن تكون الذبيحة الأولى من نصيبها فى أى حفل عام للقرابين ، وأن تحتل فى أى منزل مكانة الأوسط ·

وبذلك أصبحت هستيا ربة الموقد ، رمز الحياة العائلية ، وما يسودها من سلام وتضامن وهناء · لقد كان اضرام النار فى العصور القديمة عملية شاقة تستغرق وقتا طويلا ، ولذلك أصبح ابقاؤها مشتعلة أمرا مرغوبا فيه · ويبدو أن موقد الزعيم أو الملك كان على جانب كبير من الأهمية بين الجماعات الأولى · كانت النار ترادف الحياة تقريبا ومن ثم أصبحت عبادة الموقـــد الجماعى أو الموقد المقدس عامة شاملة (٢٨) ·

٥ ـ هيرا Hera (جونو Juno) (٢٩)

كانت ربة قديمة ولا نعرف اسمها الأصلى الذى حملته قبـــل مجىء الآخيين ولكن اسمها اليونانى (Hera) يعنى الســـيده ، مؤنث هيروس Herôs بمعنى سيد أو فارس ، وقد جعل الاغريق منها أختـــا لزيوس وزوجة له ·

---

(٢٦) د · عبد اللطيف على ، د · خفاجة : أساطير اليونان ص ٢٩ ، د · عبد اللطيف على : التاريخ اليونانى ص ٢٧٣ ·

(٢٧) عرفت عند الرومان بفستا ربة النار المقدسة ·

(٢٨) د · عبد اللطيف أحمد على ، د · خفاجة ، أساطير اليونان ، ص ٣٣ ـ ٣٥، د · عبد اللطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ·

مكتبة المتنبي عند الإسلامية ·

كانت هيرا برغم متاعبها الزوجية بسبب عدم وفاء زيوس لعهد الزواج وبرغم أنها لم تنجب منه الا الها أوليمبيا واحدا · كانت ربة الزواج وراعية النساء وكل ما يتصل بحياتهن الجنسية كالحمل والولادة والرضاعة ·

تظهر هيرا فى أغلب الأساطير فى صورة الرقيبة على حركات زيوس وسكناته · وذلك أن زيوس كبير الآلهة ، لم يكن على جلال قدره زوجا مخلصا فكان يتحايل بشتى الطرق للاتصال بغيرها من الآلهات وغير الآلهات · · كان زيوس مزواجا الأمر الذى أثار الغيرة الشديدة فى قلب زوجته فأنفقت معظم وقتها فى الكيد لزوجاته الأخريات وأبنائهن منه ·

لقد حقدت هيرا على زيوس لأنه أنجب آثينه دون الاتصال بها ، وهى زوجته الشرعية واستبد بها الغضب فسعت هى الأخرى الى انجاب الأبناء دون معاونته وان لم تحاول ابدا تدنيس فراش الزوجيـــة ، فقد كانت ربة الزواج المقدس وبخاصة الزواج من امرأة واحدة (٣٠) ·

هنا نجد فى استعراضنا لتلك الأساطير استرجاعا للأصـــول الأولى لبعض التصرفات والأفعال بل والشخصيات التى سنتناولها بشىء من التفصيل فيما بعد فى بحثنا هذا · فأفروديت تذكّرنا مثلا بالامبراطورة ثيودورا زوجة جستنيان الأول ، وهيرا تعيد لذاكرتنا موقف فاوستا الزوجة الثـــانية لقنسطنطين العظيم من ابنه كرسبوس من زوجته الأولى · أما تصرف زيوس المزواج فيرتبط فى تفكيرنا بالامبراطور ليو السادس وزيجاته الأربعة وعداء الكنيسة له الى آخره من الأمثلة المختلفة التى ترجع أصولهـــا الأولى الى أساطير اليونان القدماء ·

---

(٣٠) د · عبد اللطيف أحمد على ، د · خفاجة : أساطير اليونان ، ص ٣٦ : ٣٧، د · عبدال لطيف أحمد على : التاريخ اليونانى ، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥ ـ ٢٢٨ ـ ٢٢٩ · ٢٣٠ ·

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

دور المرأة البيزنطية في الحكم والحياة السياسية

اذا تناولنا بالدراسة والبحث موضوع المرأة البيزنطية والحكم نجد انها حكمت أو ملكت (١) قيادة الشعب البيزنطي وسياسته :

اولا : كوصية ، وقد ظهرت وصايتها في عدة انماط ، فكانت وصية أخت مثل وصاية (بولكيريا Pulcheria) على اخيها ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) · ووصية زوجة مثل وصاية (صوفيا) على زوجها « الامبراطور المخبول » جستين الثاني (٥٦٥ ـ ٥٧٨ م) ، ووصاية (ايرين دوكاس Irene Ducas) على زوجها الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨ م) (٢) · ووصية أم ، مثل وصاية الامبراطورة (ايرين) على ابنها قنسطنطين السادس وذلك من (٧٨٠ ـ ٧٩٧ م) (١٦٤ ـ ١٨١ هـ) ، ثم وصاية (ايودوكيا ماكريمبوليتيسا) والدة ميخائيل السابع (١٠٧١ ـ ١٠٧٨ م / ٤٦٤ ـ ٤٧١ هـ) ، و (انا دالاسينا) والدة الكسيوس كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨ م / ٤٧٤ ـ ٥١٢ هـ) ·

واخيرا كشريكة في مجلس وصاية على ابنائها ، مثل ثيودورا زوجة الامبراطور ثيوفيل (٨٢٩ ـ ٨٤٢ م / ٢١٤ ـ ٢٢٧ هـ) ·

ثانيا : كشريكة في الحكم مثل ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) ، حيث كانت تحضر مجالس زوجها ، ولو انها كانت تعتذر عن التحدث في تلك المجالس (٣) · وكذلك الامبراطورة بروكوبيا Procopia التي صاحبت زوجها الامبراطور ميخائيل الأول (٨١١ ـ ٨١٣/ ١٩٦ ـ ١٩٨ هـ) في حملاته العسكرية (٤) ·

---

(١) يقول ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، حـ ١ ، ص ١٥٧ (١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م) « الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويجبى الأموال ويبعث البعوث ويحمى الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة » ·

(٢) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ٧٢ ـ ٧٣ · (عن بيورى) ·

(٣) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ٧٣ · عن (بروكوبيوس) ·

4. G. Buckler : Op. cit., p. 413.

http://www.al-maktabeh.com

ثالثا : كامبراطورة أو بمعنى أصح امبراطور وهذه حالة فريـــدة تمثلها الامبراطورة ايرين زوجة الامبراطور ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠ م / ١٥٨ - ١٦٤ هـ) ٠

ويقترب منها حكم الامبراطورتين زويه وثيودورا ابنتـــا الامبراطور قنسطنطين الثامن (١٠٢٥ - ١٠٢٨م / ٤١٦ - ٤١٩ هـ) اللتان حكمتا مشتركتين وتقاسمتا السيادة ، وهذه هى الحالة الفريدة التى تتقاسم فيهـا امرأتان الحكم الأوتوقراطى المطلق (٥) ٠

رابعا : كخليلة امبراطورية مثل سكلبرينا خليلة الامبراطور قنسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م (٦) / ٤٢٤ - ٤٤٧ هـ) ٠

ولقد مارست جميع الأوغسطات Augustae نفوذا غاية فى القوة وذلك لسبب واحد على حد تعبير ونسيمان « أن الحاجة كانت ملحة لبقاء نسخة أنثوية مماثلة للامبراطور فى الأغراض الرسمية » (٧) ٠

وكان للامبراطورة تتويج خاص وهتافات خاصة بالتصديق والموافقـة عليها ، وذلك لضرورتها الحيوية ، وكان « عدد الامبراطورات غير محدود » فقد كان يشمل أخوات وبنات أو أمهات الى جانب الزوجات ٠ فلم يكن من الضرورى أن تكون الامبراطورة زوجة للامبراطور (٨) ، وبذلك كانت امكانية وجود بلاط بدون أغسطا شيئا لا يمكن حتى التفكير فيه (*) ٠

كانت زوجة الامبراطور ترفع على الدوام ، دون أى استثناء تقريبا ،

---

(٥) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٤ ٠

6. G. Buckler: Op. cit., p. 412

7. G. Buckler : Ibid., pp. 412-413 رنسمان : الحضارة البيزنطية ترجمة عبد العزيز جاويد ، ص ٧٢ ٠

(٨) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٢ ٠

* G. Buckler : Op. cit., p. 413.

هنا يذكر رنسيمان : المرجع الســـــابق ص ٧٢

(أن لقب أوغسطا كان هو اللقب الرسمى دائما وان أصبح لقب الملكة (باسيليا) هو اللقب العامى المألوف منذ القرن السابع) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الى منصب الامبراطورة عند زواجها أو عند ارتقائها العرش · وكان التتويج يخول للامبراطورة نصيبا فى الولاية والسيادة ، بل انها كانت تقوم فعلا بنصيب فى الحكم · فان لم يكن هناك امبراطور أودعت السلطة الامبراطورية فى يدها وكانت تستطيع أن تعين وريث العرش (٩) · ولم يحدث ألبته أن عهود الحكم النسائى هذه اعتبرت غير شرعية يوما ما (١٠) · وعلى حد تعبير ابن خرداذبة ، « لم يكن الملك لدى الروم (البيزنطيين وراثة ولا كتاب متبع انما هو غلبة · وقد ملكهم رجال ونساء » (١١) ·

وسنحاول هنا أن نتناول بشىء من التفصيل ـ بقدر ما أسعفتنا المصادر والمراجع المختلفة ـ تأثير بعض الامبراطورات أو الأوغسطات فى الحكم ملتزمين بقدر الامكان بالتسلسل التاريخى ·

أولا : المرأة البيزنطية كوصية

تمثل الوصية الأخت (بولكيريا) أو (بولشيريه) أخت الامبراطور ثيودوسيوس الثانى التى تولت الوصاية عليه (١٢) · توجت بولكيريا فى عهد مبكر من حكم شقيقها وحكمت نيابة عنه لصغر سنه ، بل انها ذهبت الى ما هو أبعد من ذلك بتعيينها (مرقيانوس Marcian) وريثا للعرش (١٣) وكان مرقيانوس هذا جنديا قديرا ، أصبح امبراطورا (٤٥٠ ـ ٤٥٧ م) بعد وفاة ثيودوثيوس ٤٥٠ م « وتزوج من الأخت النشيطة للامبراطور السابق » (١٤) ·

كانت بولكيريا تكبر ثيودوسيوس بعامين فقط ، وقد أطلق عليها وهى

---

(٩) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ·

(١٠) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٤ ·

(١١) ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ١٠٩ ·

12. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 55.

(١٣) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٧٢ ـ ٧٣ ·

14. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 59.

http://www.al-maktabeh.com

فى السادسة من عمرها لقب أوغسطا Augusta Pulcheria ، وظلت تحكم الامبراطورية الشرقية قرابة الأربعين عاما ، وصية على أخيها (١٥) ٠

كانت بولكيريا الوحيدة بين كل ذرية ثيودوسيوس التى ورثت عنهم قسطا من قدراته وروحه الشهمة ٠ كانت تتوخى الحسم والسرعة فى أعمالها، « وبينما كانت تدير عجلة الحكم دون زهو كانت تنسب فى فطنة وحكمة الى عبقرية الامبراطور كل ما اتسم به عهده من هدوء طويل » ٠٠ وهنا يشير جيبون الى أنه « بما أننا لا نستطيع أن نشيد بقوة حكم بولكيريا ، فلا بد لنا من بعض الاشادة بما اتسم به هذا الحكم من الاعتدالا والازدهار » (١٦) ٠

اضطلعت بولكيريا وحدها بمهمة تعليم أخيها فنون الحكم غير أن تعاليمها قد تشجع على بعض الشك فى مدى كفايتها فقد « علمته أن يمثل الطابع الخارجى لامبراطور رومانى فى رشاقة ووقار » (١٧) ٠

وقد ظل الامبراطور الضعيف ثيوسيوس الثانى تحت تأثير أخته حتى تزوج فأصبح التأثير على شخصيته أقوى من جانب زوجته Athenais-Eudocia ، ابنه أستاذ علم البلاغة والبيان وفن الخطابة فى أثينا ، الذى كان وثنيا (١٨) ٠ عندئذ رجحت كفة وصاية الزوجة على وصاية الأخت ٠

أما الوصية الزوجة فتمثلها أولا : ايرين دوكاس (Irene Ducas) زوجة الامبراطور الكسيوس كومنين الأول (١٠٨١ ـ ١١١٨ م) فالواقع

---

(١٥) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ٢ ، ص٢٤٥ هنا يضيف جيبون « اعتاد الرومان فترة طويلة على وجود سلطة ملكية بحيث أنهم سمحوا لأول فرد من أفراد الأسرة الامبراطورية أظهر شجاعة وهمة ، رغم أنه كان من الاناث بأن يرتقى عرش **ثيودوسيوس الشاغر** » ٠

(١٦) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ٠

(١٧) نفس المرجع ، ص ٢٤٨ ٠ ويفسر جيبون ذلك بقوله « أنها علمته ان يحتفظ بمسلك الجد والجلالة ، وأن يسير ويمسك أرديته ويجلس على العرش بطريقة تتناسب مع ملك عظيم ، وأن يتورع عن الضحك ، وأن يصغى الى المتحدث اليه فى تنـــازل وتفضل » ٠

18. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 55

حدده جيبون بأنه الفيلســـــوف ليونتيوس ٠

وأن ايرينوكيا قبل تعميدها كانت تسمى أثينيس (جيبون) جـ٢ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ان الكسيوس كومنين يدين باستقراره وثبات أسرته (آل كومنين) الى تعاون أسرة دوكاس الايجابى معه ، وخاصة زوجته القوية ايرين ، التى ساعدته على ارتقاء العرش البيزنطى من الامبراطور نقفور الثالث (١٩) بوتنياتس Botaneites (١٠٧٨ ـ ١٠٨١ م) (٢٠) · بل انه « كان لها دورا فعالا فى نشاطات زوجها » (٢١) ·

وقد اعترف الكسيوس كومنين فى البداية بالشاب الصغير قنسطنطين دوكاس كوريث شرعى للامبراطور ميخائيل السابع ثم رتب من ناحية أخرى لزواج ابنته (أنا) من قنسطنطين دوكاس ـ وقد قيل أن الهتافات صدرت من البلاط منادية بأنا كومنينا وخطيبها الذان سميا معا « امبراطور وامبراطورة الكسيس "The Emperor and the Emperess Alexias" لكن ما أن ولد ابن الكسيوس كومنين الأول (حنا) حتى انتقل اليه حق وراثة العرش ، مما جعل مؤرخا مثل (شالندون (Chalandon) يربط بين اعتراف الكسيوس كومنين بحنا كومنين كوريث وبين خلافه مع أسرة دوكاس (٢٢) الذى كان قد بدأ ·

فالحقيقة ان حكم الكسيوس كومنين كان مهددا بالعديد من المؤامرات بل وبالكثير من الأقطاب الطموحة حوله · فلم يكن الوريث الشرعى للأسرة المقدونية · ولكنه سرعان ما عزل شريكه الاسمى قنسطنطين دوكاس الصغير، الذى يدين لأسرته بعرشه واختار ابنه (حنا) كامبراطور مساعد ١٠٩٢م (٢٣) ٤٨٥ هـ ·

واذا كانت وفاة قنسطنطين دوكاس قد اعتبرت ـ فى رأى البعض ـ نقطة فاصلة فى اتجاه تأسيس أسرة كومنين ، فبوفاته خيل للكثيرين انه ليس هناك أية صعوبات أمام أسرة كومنين · لكن الأميرة الطموحة (أنا) ظهرت

---

19. The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A alto Arethmetic, 1768, p. 483.
20. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 578.
21. G. Bucker : Op. cit., p. 413.
22. Ostrogorsky : Op. cit., p. 376.
23. G.W. Previte Orton : The Shorter Cambridge Medieval History, V. I, p. 537.

http://www.al-maktabeh.com

عندئذ وبرهنت على أنها عقبة كأداء أمام الترتيبات الجديدة . فقد تزوجت، بعد الوفاة المبكرة لقنسطنطين ، من نقفور برنيوس ١٠٩٧ م/ ٤٩٠ هـ ورغبت فى أن يكون التاج الامبراطورى له (٢٤) .

والواقع أن تطور الأمور على هذا المنوال جعل من الطبيعى جدا أن يحاط الكسيوس كومنين بالعديد من المؤامرات ، ولكنه واجه تلك التطورات باعتداله المعتاد . والحقيقة أن العقبات التى أحاطت بالكسيوس كومنين لم تكن كلها من خارج أسرته ، بل الغريب فى الأمر أن تدبر داخل أسرته نفسها مؤامرة هائلة بغرض تغيير حق وراثة العرش من بعده (٢٥) .

كانت زوجته ايرين دوكاس ذات نفوذ كبير عليه (٢٦) . وفى نفس الوقت كانت ايرين تكره ابنها الشريك فى الوصاية على العرش . فى حين كانت ابنتها (لنا كومنينا) تتوق الى العرش مع زوجها القيصر برنيوس ، وعلى ذلك « بذلت الأم وابنتها قصارى جهدهم كى يضغطوا على الامبراطور وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، كى يحول وراثة العرش الى برنيوس . بينما تودد (حنا) فى نفس الوقت الى السناتو والشعب» (٢٧) .

كان على الكسيوس أن يتحمل - وهو على فراش الموت - «التوسلات المزعجة لزوجته وابنته . لكنه « لم يورط نفسه بقرار صريح ، فقد احتال كى يحول التاج الى ابنه (٢٨) . الذى كان ماهرا ونشيطا ما فيه الكفاية كى يحتفظ به . وبمعنى آخر صمم الكسيوس على النضال « وشجع بطريقه سرية المعارضة مما أدى الى وقوع انقلاب بقيادة ابنه حنا » (٢٩) الذى سيطر على العرش . وعلى ذلك استفاد الكسيوس كومنين من تآمر زوجته وابنته واحتاط للأمر وأخذ كافة الاحتياطات اللازمة لانجاحه فى صورة انقلاب (٣٠) .

---

24. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 376.
25. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 537.
26. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 376.
27. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.
28. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 377.
29. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.
30. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 377.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عند ئذ أسقط فى يد « الامبراطورة المخدوعة » ايرين التى لم تستطع أن تفعل شيئا عند ئذ سوى أن توبخ زوجها بقولها : « انك لم تفعل شيئا طوال حياتك سوى الغش والتضليل ، ولقد فعلت نفس الشيء أيضا وأنت على فراش الموت » (٣١) ٠

والواقع أن قصاص (حنا) كان قاسيا من أمه ايرين بعد أن تولى العرش (١١١٨ - ١١٤٣ م (٣٢) فقد « حلق شعر رأسها وأودعها فى أحد الأديرة » (٣٣) وبذلك طويت صفحة حياة تلك الامبراطورة ذات الجبروت ، الذى لم يجد الفرصة المناسبة كى يخرج الى حيز التنفيذ ٠ والراجح أن شخصية ابنها لعبت الدور الفعال فى عرقلة جهود تلك الامبراطورة التى ربما تغير تاريخ حياتها ، بل وتاريخ الدولة البيزنطية فى تلك الحقبة ، لو كان ابنها حنا ضعيف الشخصية هذا الى جانب دبلوماسية زوجها الكسيوس كومنين ٠

ثانيا : تمثل الوصية الزوجة أيضا صوفيا Sophia زوجة «الامبراطور المخبول جستين الثانى » (٣٤) وكانت صوفيا ابنة أخت الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان ، « وهى التى زوجتها لجستين عندما كان عميدا للقصر Curopalate ، وكان هو الوريث المنتظر للعرش » (٣٥) حينئذ ٠

والراجح أن صوفيا تولت الوصاية على جستين الثانى بعد أن زاد اضطراب أوضاع الدولة فى الداخل والخارج ، فقد غزا اللمبارديين ايطاليا

---

31. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 538.

(٣٢) نشأ حنا نشأة صارمة وكان على خلق قويم كما كان لا يقر حياة الترف والاسراف وقد عرف عنه الكرم والذكاء ٠ وهكذا استحق بفضل شخصيته وخصاله كنية « يوحنا الطيب » ولشجاعته الفائقة وشغفه بتحقيق الشهرة العسكرية قدر مسئولية الحكم حق قدرها ٠ (عمر كمال توفيف : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٨) ٠

33. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 248.

وهو يسمى حنا هنا Iwani أو Joannes

(٣٤) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٢ - ٧٣ عن (بيورى) ٠ وقد توفى جستين الثانى فى الخامس من اكتوبر ٥٧٨ م ٠ وهو ابن شقيق الامبراطور جستنيان الأول ٠ (The Encyclopedia American, Vol. 16, p. 266)

35. Diehl : Theodora, p. 155.

http://www.al-maktabeh.com

فى عهده الى جانب انتزاع الفرس للعديد من الأقاليم الآسيوية « مما جعل جستين وصوفيا يعهدون بادارة الامبراطورية الى أحد القـــــادة وهو طبريوس » (٣٦) · وذلك لأن الامبراطورية كانت فى وضع حرب وتأهب لذا كان لا بد من وجود عنصر عسكرى لمواجهة الموقف ·

أما الوصية الأم : فقد كانت الامبراطورة الأم تعين وصية ان كانت على قيد الحياة فى مدة وضع ابنها الامبراطور الطفل تحت الوصاية بكاملها أو فى جزء منها (٣٧) ·

وتمثل الوصية الأم أولا : الامبراطورة ايرين (٣٨) التى امتدت فترة وصايتها على ابنها الامبراطور قنسطنطين السادس من (٧٨٠ - ٧٩٧ م / ١٦٤ - ١٨١ هـ) والتى اتصفت فيها ايرين - بل وفى كل حياتها - « بالطموح الشديد » (٣٩) ·

فبالوفاة المبكرة للامبراطور ليـــــو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠ (٤٠) / ١٥٨ - ١٦٤ هـ) فى ٨ سبتمبر ٧٨٠ م اعتلى العرش البيزنطى ابنه القاصر قنسطنطين السادس الذى كان يومئذ فى العاشرة من عمره (٤١) ·

---

36. The Enclclopaedia Americana Vol. 16, p. 266.

(٣٧) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٣ ·

(٣٨) أنظر كتاب المؤلفة : الامبراطورة ايرين ·

39. Larousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History, p. 273, M.V. Anastos: Cam. Med. Hist. Vol. IV part I, p. 82, Gaston Zananiri : Histoire de l'Eglise Byzantine, pp. 164-168.

40. Charles Diehl : Histoire de l'Empire Byzantine, p. 76, M.V. Anastos: Cam. Med. Hist. Vol. IV part I, p. 82

هنا يذكر ان العبرى وميخائيل السريانى بعض الآراء التى تحتاج لشىء من التدقيق والتمحيص فى تناولها · فمثلا ان العبرى يذكر « أن ليو الرابع توفى فى ٧٨١ م » · والصحيح ٧٨٠ م وأن ابنه « قنسطنطين حكم ٢٢ سنة بعده » والراجح أن هذه هى فترة حكم والدته · ثم يعود فيقول أنه « لما كان قنسطنطين قاصرا لذا شاركته امه ايرين الحكم » والصحيح أنها تولت الوصاية عليه
(The Chronography of Bar Hebraeus V. I, p. 117)

أما ميخائيل السريانى فيذكر « ان ايرين شاركت ابنها فى الحكم لأنه كان فى الثانية عشرة من العمر » والراجح أنها حكمت كوصية عليه لا كشريكة · أما شابو =

مكتبة المهتدين الإسلامية

ومن الممكن تقسيم فترة وصاية ايرين الى فترتين : الأولى من ٧٨٠ الى ٧٩٠م/ ١٦٤ - ١٧٣ هـ عندما انفرد قنسطنطين بالسلطة والثانية من ٧٩٠ الى ٧٩٧م/ ١٧٤ - ١٨١ هـ عندما سملت ايرين عينى قنسطنطين وأبعد الى أحد الأديرة ٠

فقرب نهاية الفترة الأولى حاول قنسطنطين السادس التخلص من ستوراقيوس وزير والدته ومساعدها الأول ، وذلك لسببين أولهما أنه رأى أن الخصى ستوراقيوس قد استولى على كل السلطات التى كان من المفروض أن تؤول اليه (٤٢) وثانيهما أنه بعد فسخ والدته لخطوبته من ابنة شارل العظيم ملك الفرنجة أجبرته أمه على الزواج من ماريا الأرمينية التى تم اختيارها بواسطة ستوراقيوس مما أحنق قنسطنطين وصمم على الاطاحة بستوراقيوس وينفى أمه (٤٣) ٠

ولكن المؤامرة اكتشفت وقبض على رفاق قنسطنطين وشتتوا ، أما قنسطنطين نفسه فقه جلد وحددت اقامته (٤٤) ٠ وأكثر من ذلك أخذت ايرين تعهدا من الجيش بعدم الاعتراف بحاكم آخر سواها طوال حياتها وذلك فى ربيع ٧٩٠م (*) / ١٧٣ هـ ٠ لكن ذلك الاجراء قوبل بمعارضة شديدة خاصة من الثيماتا الأرمينية ، حيث كان مؤيدى قنسطنطين الخامس والمعارضين فى نفس الوقت لايرين - بسبب اتجاهها الدينى الذى سنوضحه فيما بعد - ثم امتدت المعارضة الى بقية الولايات العسكرية فى آسيا

J.B. Chabot = مترجم كتاب ميخائيل السريانى فقد خلط بين قنسطنطين السادس الذى حكم من ٧٨٠ : ٧٩٧ م وبين قنسطنطين السابع بورفيروجنيتوس Porphyrogenete الذى حكم من ٩١٣ : ٩٥٧ م (Chronique de Michel le Syrien, T. III, p. 2).

(G. Ostrogorsky : p. 590) وضبط تواريخ الأباطرة البيزنطية من

41. G. Ostrongorsky : Ibid., p. 177, C.W. Previte Orton: Op. cit. V. 1, p. 249, M.V. Anastos : Ibid, Vol. IV Part, I, p. 82.
42. M.V. Anastos : Ibid, p. 88.
43. L. Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 91.
44. L. Bréhier : Ibid, p. 91, Emile Amann: Histoire de l'Eglise, N. 6. p. 166, عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٣ ٠

* Emile Amann : Ibid, p. 166, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.

http://www.al-maktabeh.com

الصغرى (٤٥) · عند ئذ نادت قوات الجيش بالامبراطور الشرعى قنسطنطين السادس كحاكم بمفرده فى اكتوبر ٧٩٠ م (٤٦) / ١٧٤ هـ · لذلك « خشيت ايرين » (٤٧) من تطور الأمور أكثر من ذلك « فتنازلت عن الحكم » لابنهـــا قنسطنطين السادس (٤٨) · هنا يقال أن كل هدفها فى ذلك الوقت كان الحفاظ على حياتها (٤٩) ·

---

45. G. Ostrogorsky: Ibid., pp. 179-180, L. Bréhier: Op. cit., p. 91, L. Halphen : Les Barbares, p. 311.

ويوضح أوستروجورسكى نظام الثيماثا بقوله : « كانت آسيا الصغرى بحكم احتكاكها باستمرار بالمسلمين ، قد قسمت منذ أيام هرقل الى مقاطعات عسكرية كبيرة سميت (Themata, Themes) وقد أدى ذلك الى نشأة النظام الذى ميز التنظيم الادارى للمقاطعات فى الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى · وكانت آسيا الصغرى عبارة عن عدة وحدات عسكرية ادارية ، كل منها تحت تصرف حاكم يسمى (Strategus) يمارس أعلى السلطات العسكرية والمدنية والأهلية فى مقاطعته ·

والواقع أن نظام الدفاع عن الحدود انهار تحت ضغط الهجمات المعادية ، لذلك انسحبت القوات التى على الأطراف الى قلب آسيا الصغرى واستقرت فى الاقاليم التى بقيت تحت الحكم البيزنطى · وقد صار من المألوف انزال ألوية معينة من الجند أى ثيماتا Themata بصفة دائمة فى أقاليم معينة · ثم تحول الاسم رويدا رويدا فأصبحت الأقاليم نفسها تعرف فى مجموعها باسم ثيماتا أى الألوية بمعنى المنـــاطق العسكرية وصارت كل منها تحمل اسم فرقتها الخاصة النازلة بها · وعلى ذلك كانت هناك على عهد هرقل المقاطعات أو الثيماتا الأبسيكية Opsikion ، الأرمينية Armeniakon ، الأناضولية Anatolikon نسبة الى الفرق الاسيكية والأرمينية والأناضولية ·

ولقد كان نظام الثيماثا هو الأساس الذى بنى على أساسه جيش وطنى فعال · ووفر على الامبراطورية التكاليف الباهظة نتيجة تجميع المرتزقة الأجانب · والواقع أن الجيش الجديد تكون من جنود الحقول الذين استقروا على أراضيهم والذين أمدتهم حقولهم باحتياجاتهم الاقتصادية ، لذا شعروا بالاطمئنان وعملوا على زيادة تسليح أنفسهم ·· وكان لهذا النظام الجديد آثارا بعيدة المدى فى انعاش خزانة الدولة (G. Ostrogorsky : Ibid, pp. 96-98)

46. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 180, L. Bréhier: Ibid., p. 91, M.V. Anatos, p. 88.
47. Emile Amann : Op. cit., p. 166.
48. Emile Amann : Ibid., p. 166, L. Halphen: Op. cit., p. 311.
49. L. Halphen : Ibid., p. 311.

مكتبة المهتدين الإسلامية

واذا كان هذا هو رأى المصادر والمراجع الغربية فان المصدر السريانى وبالتحديد ميخائيل السريانى يعطينا رأيا منفردا فى هذا الموضوع قد يكون له نصيب من الصحة وهو « أن قنسطنطين أبعد أمه عن مسرح السياسة فى ذلك الوقت لأنه أثير حنقه واستنكاره بسبب ما قيل من أن كبير الأشراف فى صقلية المسمى (البيدوس) قد ارتكب المعصية مع الامبراطورة - أمه - ولذا صمم على كحل عينيه الا أن البيدوس فر عند العرب · وأمر قنسطنطين بعدم المناداة بأمه امبراطورة ، بل أبلغ ذلك رسميا لكل القنصليات وتم التصديق عليه باليمين · فى حين قبض على أطفال البيدوس وزوجته وأودعوا فى السجن » (٥٠) ·

ومن المرجح أن يكون ذلك الكلام وخلافه قد أثير بالفعل على شكل اشاعة تناقلها الجميع مما دفع قنسطنطين الى اتخاذ ذلك الاجراء تجاه أمه · وعندما ثبت له عدم صحته وبضغط حزب أمه عليه كما سنرى اضطر الى اعادة المناداة بأمه - امبراطورة من جديد · لكنها لم تنس لابنها هذا الموقف أبدا فيما بعد ·

والواقع أن ايرين قوبلت بعدة عقبات فى داخل الامبراطورية فى مستهل حكمها ، وخاصة فى فترة وصايتها المبكرة ، ولكنها بثباتها وتصميمها القويين استطاعت بسرعة القضاء على تلك العقبات (٥١) · أولها تلك المحاولة التى قام بها القيصر نقفور - الذى كان أخ غير شقيق لليو الرابع (٥٢) - وذلك للسيطرة على زمام الحكم لصالحه ، والاطاحة بالحكم القائم ، وذلك بعد حوالى أربعين يوما فقط على وفاة ليو الرابع · ولكن ايرين قضت بسرعة على تلك الحركة ونكلت بزعمائها ، بل ونفتهم خارج البلاد (٥٣) ·

وتمثلت العقبة الثانية فى اخوة الامبراطور ليو الرابع الذين ردت ايرين على حركتهم بتجريدهم وأجبروا على التنازل عن كل حقوقهم فى

---

50. Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9.
51. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 117.
52. M.V. Anastos : Cam. Med. Hist. Vol. IV part I, p. 82.
53. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 177, M.V. Anastos, Ibid., p. 82.

http://www.al-maktabeh.com

العرش ، كما أجبروا أيضا على الدخول فى سلك الكَهنوت (٥٤) ٠

وأخيرا استطاعت ايرين التغلب على قوات الجيش المتذمرة (٥٥) ٠ التى كانت لا تزال على ولائها واخلاصها لقنسطنطين الخامس (٥٦) ٠

ولكن ماذا أنجزت ايرين للامبراطورية البيزنطية من انتصارات عسكرية وعلاقات دبلوماسية فى فترة وصايتها على ابنها ، وخصوصا فى العشر سنوات الأولى منها ؟

أولا : سارعت ايرين فى بداية وصايتها وبالتحديد فى ٧٨٠م / ١٦٤ هـ الى خطب ابنها قنسطنطين السادس الى ابنة شارل العظيم ملك الفرنجة التى كانت معروفة باسم Rothrudis أو Rotrude ، والتى سماها البيزنطيون Eruthro ، ووافق شارل على ذلك (٥٧) ٠ والراجح أن هدف ايرين من وراء ذلك كان هدفا سياسيا بحتا لتقوية مركزها لأن قنسطنطين فى ذلك الوقت لم يكن قد تجاوز الثانية عشرة من عمره (٥٨) ٠ ولكن عندما وجدت أن اتمام تلك الزيجة سيأتى بنتيجة عكسية فسخت تلك الخطوبة (٥٩) ، لأنها ستتسبب فى تقوية مركز ابنها على حسابها بمساعدة والد زوجته ٠ وبذلك وقفت ايرين ندا أمام شارل العظيم ولم تحسب أى حساب لما يترتب على فسخ خطوبة ابنته ٠

ثانيا : لما كانت الهجمات الاسلامية على طول الجبهة البيزنطيـــة

---

54. G. Ostrogrsky : Ibid., p. 177.
55. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 249.
56. C. Diehl : Histoire de l'Empire Byzantine, p. 77.
57. A.A. Vasiliev : Histoire de l'Empire Byzantine, T. I, p. 353, L. Bréhier : Op. cit., p. 91, C.W. Previte-Orton : op. cit., V. 1, p. 305, G. Zananiri : Op. cit., p. 165.
58. A.A. Vasiliev : Ibid., T. I, p. 353.

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٢ ٠

59. L. Bréhier : Op. cit., p. 91, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 305, M.V. Anastos : Op. cit., p. 87.

عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الشرقية والجنوبية الشرقية ، متكررة ومستمرة لذلك كان أى امبراطور بيزنطى يضع فى اعتباره الأول صد تلك الهجمات ، وذلك اذا كان على قدر كبير من القوة وأتاح له هدوء الجبهة الداخلية الفرصة للقيام بهجوم ـ وليس بدفاع على المسلمين ٠

وفى البداية المبكرة لوصاية ايرين وهو عهد الخليفة المهدى (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) اتخذ العرب خطة الهجوم بنجاح فى آسـيا الصغرى (٦٠) ٠ وقد وصلت احدى الحملات ـ بقيادة هارون الرشيد ابن الخليفة المهدى الى شواطىء البسفور (٦١) ٠ وهى الحملة التى أشير اليها فى المصادر العربية بصائفة جمادى الآخرة ١٦٥هـ (٦٢) / ٧٨٢ م ٠

هنا اضطرت ايرين الى طلب الهدنة لمدة ثلاث سنوات (٦٣) فى مقابل دفع ضريبة سنوية قدرها يتراوح ما بين سبعون وتسعون ألف دينار (٦٤) ٠ بالاضافة الى أن ايرين وافقت على أن تقيم للرشيد « الأدلاء فى الأسواق وفى الطريق » (٦٥) وعلى ذلك فقد اعتبرت تلك الهدنة « مخزية للغاية فى حق الامبراطورية البيزنطية » (٦٦) ٠

---

60. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 317.

61. E. Amann : Op. cit., p. 113. عن (Theophane), M.V. Anastos op. cit., p. 83.

(٦٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٦ ٠ (دار صادر وبيروت ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م) ٠

63. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 317,

ابن الأثير الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٦

Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 2, The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 118,

وهنا يرجع كل من ابن العبرى وميخائيل السريانى طلب ايرين الهدنة الى عادة النساء وشعورهن المرهف ،

M.V. Anastos : Op. cit., p. 83

64. A.A. Vasiliev :Ibid, p. 317, M. V. Anastos : Ibid., p. 83.

(٦٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٦ ، ص ٦٦ ٠

66. A.A. Vasiliev: Op. cit., p. 317, M.V. Anastos : Op. cit., p. 83.

http://www.al-maktabeh.com

وهنا يقال أن البيزنطيين كانوا من الممكن أن يحققوا النصر على العرب لولا تضافر عاملين ساعدا على انتصار العرب · أولهما خيانة قائد الثيماتا البوكليرية بسبب حسده وحقده على ستوراقيوس ، لقرب منزلته من ايرين مما دفعه للهرب والانضمام الى جانب العرب ·

والعامل الثانى هو قلة دراية المبعوثين البيزنطيين الذين كان من بينهم ستوراقيوس « الذى دخل الى المعسكر العربى دون تبادل تمهيدى للأسرى » ، مما اضطره الى دفع فدية هناك (٦٧) · لكن الراجح ـ كما سنرى فيما بعد ـ أن انشغال الجيوش البيزنطية بالحرب ضد ثوار صقلية ومقدونيا واليونان شتت القوى العسكرية البيزنطية فى أكثر من جبهة ·

ثالثا : لم يرتاح القادة البيزنطيين فى الغرب وبالذات فى صقلية الى ارتقاء ايرين العرش لذلك اندلعت ثورة شديدة فى صقلية بقيادة البيدوس، قائد صقلية والمسئوول البيزنطى الأول فى الغرب ، وذلك ٧٨١م / ١٦٥ هـ · واذا كان الثائر لم يقهر فى الحال بسبب الاستعدادات لمواجهة العرب فى آسيا الصغرى (٦٨) · الا أنه بعد عقد الهدنة الاسلامية البيزنطية ١٦٥ هـ أرسلت حملة عسكرية الى صقلية طردت البيدوس الذى فر الى افريقية وتوج ملكًا للرومان هناك بواسطة العرب ٧٨٢ م (٦٩) / ١٦٦ هـ · فى حين ألقت القوات البيزنطية القبض على زوجة البيدوس وأطفاله وسجنتهم (٧٠) ·

---

67. M.V. Anastos: Ibid, p. 83.

68. M.V. Anastos : Ibid., p. 82.

69. Chronique de Michel le Syrien, T. III, p. 9, M.V. Anastos : Ibid, p. 83

وربما كان التأخر فى ردع ثورة البيدوس · هو ما أشيع عن علاقة بينه وبين ايرين · والواقع أنه بعد فراره الى أفريقية تعهد لأميرها بأن يسلمه جزيرة صقلية · وعلى ذلك تمت المناداة به امبراطورا للروم ثم زوده حاكم افريقية بأربعة آلاف رجل عبر بهم الى الأراضى البيزنطية بعد أن « أقسم على اجتياح كافة بلاد الروم » ولكن ما أن وصلوا الى تلك البلاد حتى أتلفت الثلوج أقدام العديد منهم فهلكوا من البرد · وتفرق الباقون الى بلدان كثيرة مثل الرها التى قيل انه وصلها أربعمائة شخص منهم · (Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9)

70. Chronique de Michel : Ibid., p. 9.

مكتبة المهتدين الإسلامية

رابعا : أرسلت ايرين القوات العسكرية الى مقدونيا والى البيونان ثم للبلوبونيز وذلك فى ٧٨٣ م / ١٦٧ هـ لردع السلاف (٧١) • وقد اسفرت الحرب ضد السلاف بالذات على اجبارهم على الاعتراف بالسيادة البيزنطية وعلى دفع ضريبة سنوية • وبلغ من عظمة هذا النصر أن ستوراقيوس احتفل به احتفالا عظيما (٧٢) •

وقد نتج عن تشتيت الجهود العسكرية البيزنطية ـ كما رأينا ـ اضعاف وضع البيزنطيين فى آسيا الصغرى (٧٣) • مما ساعد العرب على اعادة تحصين بعض القلاع الثغرية وعلى سبيل المثال لا الحصر قلعة طرســـوس (٧٨٦ ـ ٧٨٨ م (٧٤) / ١٧٠ ـ ١٧٢ هـ) وقد ساعد عدم تمتع ايرين بالشعبية الكافية من جيشها فى الداخل على توالى الهزائم الخارجية على أيدى كل من العرب والبلغار بل اللمبارديين فى ايطاليا (٧٥) •

أما الفترة الثانية لوصاية ايرين على ابنها فتمتد من ٧٩٠ الى ٧٩٧م / ١٧٤ ـ ١٨١ هـ وهى الفترة التى تبدأ بتولى قنسطنطين السلطة بمفرده فى اكتوبر ٧٩٠ م (٧٦) • وباعتلائه العرش « لم يكن لديه القدرة للمحافظة عليه الى جانب ارتكابه الأخطاء على التوالى » (٧٧) •

استهل قنسطنطين تلك الفترة بابعاد ستوراقيوس وأتباعه (٧٨) • ثم

---

71. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 317, E. Amann : Op. cit., p. 113, M.V. Anastos : Op. cit., p. 83.
72. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 192, A.A. Vasiliev : Ibid, p. 317.
73. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 317.
74. M.V. Anastos : Op. cit., p. 83,

كتاب المؤلفة : الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى، ص ٣٢ ، ١٤٥ •

75. Diehl : Op. cit., p. C.W. Previte Orton: Op. cit., V. I, p. 250.
76. G. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 180, L. Brehier : Op. Cit., p. 91, M.V. Anastos : Op. cit., p. 88.
77. L. Brehier : Ibid, p. 91.
78. Emile Amann : Op. cit., p. 166.

http://www.al-maktabeh.com

بدأت تتضح صفاته الشخصية ، فقد كان شجاعا نشطا لكّنه كان ساذجا يعوزه الثبات والحنكة السياسية والتصميم (٧٩) ٠

لكن تحت النحاح حزب ايرين المستمر ، الذى ظل يحث قنسطنطين على ضرورة ارجاع أمه (٨٠) ، وربما أيضا بسبب تكرار الهزائم البيزنطية أمام كل من العرب والبلغار فى سنة ٧٩١ م / ١٧٥ هـ ، أسرع قنسطنطين السادس بتلبية رغبة حزب أمه (٨١) ، فتم الصلح بينه وبينها فى يناير ٧٩٢ م (٨٢)٠ وهذا ما عبر عنه ميخائيل السريانى بقوله أنه « مهما كان الأمر ومهما كانت الدوافع فقد أعيد الصلح بل السلام من جديد بين قنسطنطين وأمه » (٨٣) ٠

أعاد قنسطنطين ايرين كمساعدة له فى الحكم ، وأعاد لهـــا لقب أوغسطا ، بل أكثر من ذلك أعاد معها وزيرها ســـتوراقيوس الى منصبه السابق (٨٤) ٠ وبذلك عادت من جديد الصيغة القديمة للتوقيعات (قنسطنطين وايرين) (٨٥) ٠

لكن سرعان ما أصبح قنسطنطين ألعـــــوبة فى يد أمه ومكرها الشيطانى (٨٦) ولم يقدر خطرها (٨٧) ٠ فقد عادت دفة الأمور فى الدولة من جديد الى يد ايرين ومستشارها ستوراقيوس (٨٨) وقد اتبعت ايرين ـ التى عادت برغبة قوية للانتقام لنفسها ـ خطة ميكافيلية بارعة تجاه ابنها

---

79. C.W. Previte Orton : Op. cit., Vol. I, p. 250, M.V. Anastos : Op. cit., p. 88.
80. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180.
81. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 180, M.V. Anastos : Op. cit., p. 88.
82. E. Amann : Op. cit., p. 166.
83. Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9.
84. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180, L. Bréhier : Op. cit., p. 91, M.V. Anastos : Op. cit., p. 88,

عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ٠

85. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 180.
86. C.W. Previte Orton : op. cit., p. 250.

(٨٧) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ٠

88. E. Amann : Op. cit., p. 166.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أفقدته عن طريقها حب العاصمة بل وحب الامبراطورية بأكملها (٨٩) ، وذلك بعد أن أوقعت بينه وبين أعوانه وعملت على الحط من شأنه أمام الجيش وتشويه سمعته أمام رعاياه والافساد بينه وبين رجال الدين (٩٠) ٠

والحقيقة أن أهم أسباب زوال شعبية قنسطنطين السادس بل والاطاحة به فى النهاية هى :

١ ـ سريان شعور الاستياء بين قوات الثيماتا الأرمينية نتيجة لتنكيل قنسطنطين الفظيع بقائد الثيماتا الأرمينية ـ وذلك بسجنه وتعذيبه وسمل عينيه ـ انتقاما للهزيمة التى لحقت به على يد البلغار (٩١) ٠ ويقال أن ايرين هى التى حثته على هذا التصرف المشين ربما بدافع الانتقام منه لأنه كان قائد التمرد ضدها (٩٢) ٠

هنا نتوقف قليلا لنفسر موقف ايرين المتشدد من الثيماتا الأرمينيـــة آنذاك ، فبالاضافة الى أسباب دينية سنوضحها فى موضعها المناسب فيما بعد، نجد أن الثيماتا الأرمينية تمسكت بالتعهد الذى كان قنسطنطين قد أخذه على جميع البلاد التابعة له بعدم المناداة بأمه امبراطورة بسبب ما أشيع عن علاقتها بالبيدوس قائد صقلية ، لذلك عندما اصطلح قنسطنطين مع أمه ثانية وطلب المناداة بها امبراطورة مرة أخرى ، رفض أهالى أرمينيا ذلك تمسكا بيمينهم بعدم المناداة بها مرة ثانية ، ومن هنا تعسف قنسطنطين فى التخلص من العديد منهم « باعدامهم بقســـــــوة » حتى أنهم لقبـــوه « بالطاغية » (٩٣) ٠

٢ ـ نتيجة لموقف قنسطنطين السادس من قائد الثيماتا الأرمينيـــة

---

89. E. Amann : Ibid., p. 166.

(٩٠) عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ، كتاب المؤلفة عن الامبراطورة ايرين ، ص ٤١ الى ٤٦ ٠

91. L. Brehier : Op. cit., p. 91, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180.

92. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 180, M.V. Anastos : Op. cit., pp. 88-89, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 250.

93. Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9, The Chronography of Bar Hebraeus V. I, p. 119.

http://www.al-maktabeh.com

دبرت مؤامرة للمناداة بالقيصر السابق نقفور امبراطورا (٩٤) ، لكن سرعان ما اكتشف قنسطنطين سر المؤامرة وتحرك للتنكيل بالمتآمرين بقسوة ، بتحريض من أمه أيضا (٩٥) . فسمل عيني عمه وقطع لسان أربعة آخرين من أعمامه (٩٦) . عندئذ قامت حرب أهلية فى الثيماتا الأرمينية امتدت حوالى ستة أشهر (من نوفمبر ٧٩٢ الى مايو ٧٩٣ م (٩٧) / ١٧٦ - ١٧٧هـ) ، ثم شملت كافة آسيا الصغرى مما اضطر قنسطنطين الى قيادة حملة عسكرية بنفسه ضد الثوار - أتباعه السابقين - وأنزل بهم عقوبات غاية فى القسوة (٩٨) .

هنا يعقب (أستروجورسكى) على هذا الموقف بقوله « أن التعاطف الذى كان يتمتع به الامبراطور فى ذلك الاقليم انقلب الى عداء مرير » (٩٩).

٣ - لما كان قنسطنطين قد تزوج بالاكراه من ماريا البافلاجونية فانه لم يكن يشعر نحوها بالحب مطلقا (١٠٠) . ولذلك أثارت (ثيودوت) وصيفة والدته انتباهه بعد أن وضعتها أمه فى طريقه عن قصد وشجعته على طلاق زوجته والزواج من تلك الوصيفة (١٠١) . عند ئذ استجاب قنسطنطين لتحريض أمه ففى يناير ٧٩٥ م / ١٧٨ هـ طلق ماريا ودخلت أحد الأديرة ، ثم فى أغسطس من نفس السنة « توجت ثيودوت أوغسطا » (١٠٢) .

وقد أدى هذا الزواج الثانى الى احتقار الرأى العام لقنسطنطين

---

94. L. Bréhier : Op. cit., p. 91.
95. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 250.
96. G. Ostrongorsky : Op. cit., p. 180, L. Bréhier : Op. cit., p. 92, M.V. Anastos : Op. cit., p. 88.
97. L. Bréhier : Ibid., p. 92.
98. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180, L. Bréhier: Op. cit., p. 92, Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9.
99. G. Ostrogorsky : Ibid, p. 180.
100. E. Amann : Op. cit., p. 166.
101. L. Bréhier : Op. cit., p. 92, M.V. Anastos: Op. cit., p. 89, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 250.
102. E. Amann : Op. cit., p. 166.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وسخطهم عليه حتى انه أشير اليه بانه « الامبراطور الزانى » (١٠٣) وكانت أمه على رأس المشيرين (١٠٤) رغم انها ـ كما رأينا ـ هى التى أوصلته الى هذا الوضع ٠

لكن ماذا كان رأى المصدر الشرقى فى قنسطنطين ؟ هنا نجد ابن العبرى وميخائيل السريانى يعتبران قنسطنطين قد وطأ بقدميه القانون والعادات والتقاليد المسيحية ، بل وضرب بهم عرض الحائط ، عندما اتخذ زوجة ثانية ، بينما كانت زوجته الأولى لا تزال على قيد الحياة (١٠٥) ٠

٤ ـ تسببت زيجة قنسطنطين الثانية فى تأليب رجال الدين عليه بشدة وخاصة الديرين المتطرفين ، وفى البداية حاول قنسطنطين أن يعالج الموقف فى هدوء ، لكنه سرعان ما اضطر أمام شدة معارضتهم ونقدهم اللاذع له الى التنكيل بهم سواء بالسجن أو النفى وبذلك « فقد تأييد كلا من الحزب الأرثوذكسى الحاكم وحزب المعارضة اللا أيقونى » (١٠٦) ٠

وفى النهاية استغلت ايرين غضب وثورة الرأى العام ووجهت كل ذلك لمصلحتها الخاصة ٠ واسدلت بيديها ستارا قاتما على حياة ابنها وفلذة كبدها ، فدون أدنى احساس أو عاطفة تربط أم بولدها ، أصدرت ايرين أوامرها بالقبض على ابنهـــا قنسطنطين السادس وسملت عينيه فى نفس الحجرة الأرجوانية التى ولد فيها قبل ذلك بسبع وعشرين عاما (١٠٧) ٠ وتم ذلك فى ١٥ أغسطس ٧٨٧ م (١٠٨) / ١٨١ هـ ٠

هذا ما أسهبت المصادر والمراجع الغربية فى ذكره عن ذلك الحادث ، فى حين أشارت اليها المصادر العربية بشىء من الايجاز حين ذكرت أنه فى

---

103. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180.
104. E. Amann : Op. cit., p. 166.
105. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I., p. 120, Chronique de Michel Le Syrien, T. III, p. 9.
106. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181.
107. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 181, L. Bréhier : Op. cit., pp. 92-93, M.V. Anastos : Op. cit. V. I, p. 89, Diehl, Op. cit., p. 77.
108. G. Ostrogorsky : p. 181, M.V. Anastos : Ibid., p. 89.

http://www.al-maktabeh.com

١٨٢هـ « سملت الروم عينى ملكهم قنسطنطين بن اليون » (١٠٩) الا أن ابن الأثير أرجع تصرف ايرين تجاه ولدها الى سبب انفرد هو بذكره وهو أنه « لما كبر ابنها قنسطنطين أفسد ما بينه وبين الرشيد وكانت أمه مهادنة له ، فقصده الرشيد وجرى له معه وقعـــة فانهزم وكاد يؤخذ فكحلته أمه» (١١٠) ٠لكن الراجح أن موقفه الغير بطولى أمام البلغار ٩٧٢م / ١٧٦هـ كان أكثر اثارة لاشمئزاز قواته نفسها (١١١) ٠ وربما اتضح لنا هذا السبب أكثر اذا أخذنا برأى ميخائيل السريانى وابن العبرى عندما جعلا السبب المباشر لسمل عينى قنسطنطين هو ما نقله أمراء الجيش المصاحب له فى حرب البلغار لأمه من أنه بعد أن تقدم الى تراقيا « استسلم للفسق والفجور وادمان الخمر » لذا وعدتهم أمه بأنها ستضع حدا لذلك (١١٢) ٠

فاذا أضفنا الى ذلك أيضا « فشل الحملة البيزنطية ضد العرب فى مارس ٧٩٧ م / ١٨١ هـ على نحو مخزى » ٠ وفى نفس الوقت وفاة ابن قنسطنطين من ثيودوت والذى كان قد ولد فى اكتوبر ٧٩٦ م (١١٣) / ١٨٠هـ وجدنا أن ايرين استغلت فرصة انقطاع آخر رباط شرعى يربط ابنها بالحكم ونفذت خطتها الخاصة بالاطاحة به عن طريق سمل عينيه ٠

وهنا نتوقف قليلا لتصحيح خطأ ورد فى أحد المصادر العربيـــة بخصوص هذا الموضـــوع ، فقد ذكر القرمانى (١١٤) أن « اليون بن قنسطنطين كانت أمه أرش شريكة معه فى الملك لصغر سنه الى أيام هارون الرشيد فمات وسملت عينا أمه أرش بعد ذلك لأخبار يطول شرحها ثم ملك على الروم بعده يعفور » ٠

فمهما كانت طريقة كتابته للأسماء المعروفة لنا فالراجح أن يكون

---

(١٠٩) الطبرى : تاريخه ، ج ٨ حوادث ١٨٢ هـ ص ٢٦٩ (طبعة دار المعـارف من سلسلة ذخائر العرب) ، ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ص ١٦١ ٠

(١١٠) ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ٢٣٦ ٠

111. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 180.

112. Chronique de Michel Le Syrien, T. III p. 12, The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 120.

113. Emile Amann : Op. cit., p. 167.

(١١٤) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص ٣٧٧ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

(قنسطنطين بن ليو) هو المقصود بالكلام · كذلك نجد أنه عكس الوضع فالذى سملت عينه هو قنسطنطين ، والتى ماتت هى ايرين (أرش) ثم تولى بعدها نقفور (يعفور) ·

والعجيب هنا أن ايرين لم تكتف بهذا الحد القاسى من عقاب ولدها ، بل انها تركت الأتقياء والمعاصرين لها « يحتفلون بذكرى المصائب التى حلت بولدها التعس على أنها عقوبة العناية الالهية » (١١٥) ·

وهكذا أسدل الستار على تلك الفترة ـ المليئـــة بالمغليان فى كافة مظاهره ـ من حياة الامبراطورة ايرين التى نست أو تناست فيها كل المشاعر الأمومية السامية والتى تجعلها تتنازل عن الكثير من مطالبها ،حتى الضرورية فى سبيل ارضاء أبنائها · والراجح أنها تركت ولدها دون أى توجيه او ارشاد يصلح ويقوم من حاله وهو على كرسى العرش بجوارها ، بل شهدت بعينها سقوطه هو وعرشه الى الهاوية دون أن تنبس حتى ببنت شفه ـ ان لم تكن بصرخة مدوية كأم ـ لتبعد عنه الخطر المحدق به · وانمـــا على العكس كانت من المشجعين له على القفز فى الجحيم · وفى النهاية أدانته مع الجميع واعتبرته نقطة سوداء فى جبينها ، لا لشىء الا لكى تتمتع هى بالعرش والعظمة والجبروت بمفردها ·

ثانيا : الامبراطورة ايودوكيا مكرومبوليتسا Macrembolitissa

أم ميخائيل السابع دوكاس (١٠٧١ ـ ١٠٧٨ م / ٤٦٣ ـ ٤٧١ هـ) وابنة أخت البطريرك ميخائيل كريولاريوس (١١٦) Michel Cerubrius

---

115. Emile Amann : Op. cit., p. 167.

(١١٦) لعب البطريرك ميخائيل كريولاريوس دورا حاسما فى الثورة التى أدت الى اعتـــلاء اسحق كومنين العرش البيزنطى (١ سبتمبر ١٠٥٧ م) · ولقد كافأ الامبراطور البطريرك باعطائه حق تعيين هيئة ادارة كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية بعد ان كان هذا الحق من امتيازات الامبراطور · والواقع ان ازدياد نفوذ وقوة الكنيسة البيزنطية فى القرن الحادى عشر انما يرجع الى ذلك البطريرك وشخصيته القوية · ولم يقنع البطريرك بذلك بل راوده حلم توحيد السلطتين المدنية والروحية وجمعها فى قبضة يده وذلك بأن يصبح بطريركا وامبراطورا فعلا ·· حتى أنه اتخذ الخف الأحمر الذى يعتبر من رسوم منصب الامبراطور ، بل وتطاول على الامبراطور نفسه بقوله « لقد رفعتك الى كرسى العرش ، أيها الغر ، وسوف أهوى بك منه »

http://www.al-maktabeh.com

(١٠٤٣ - ١٠٥٨ م / ٤٣٥ - ٤٥٠ هـ) ٠

كانت ايودوكيا زوجة للامبراطور قنسطنطين العـــــاشر دوكاس Constantine X Ducas (١٠٥٩ - ١٠٦٧ م / ٤٥١ - ٤٥٩ هـ) وبوفاته فى ٢١ مايو ١٠٦٧ م (١١٧) تحولت دفة الحكم الى ايودوكيا كوصية على أبنائها ميخائيل وقنسطنطيوس (١١٨) ٠

= وفى النهاية وقع النضال الذى ادى الى انهيار كل من البطريرك والامبراطور ٠ ولما كان البطريرك يتمتع بشعبية كبيرة فان احدا لم يستطع أن يشهر السلاح ضـــده فى داخل القسطنطينية ، ولم يستطع جند الحرس القاء القبض عليه وحمله الى المنفى الا فى ٨ نوفمبر ١٠٥٨ أثناء توجهه لزيارة أحد الاديرة خارج أسوار القسطنطينية ٠ وتحتم على الامبراطور أن يعقد مجمعا يصدر حكم العزل فاجتمع فى بلدة صغيرة ووضع بسيللوس عريضة الاتهام التى انطوت على خمس تهم : المروق عن الدين ، الاستبداد ، القتل ، انتهاك حرمة الأماكن المقدسة وتدنيسها وارتكاب الفاحشة ٠

لكن ميخائيل توفى وهو فى طريقه الى المجمع ٠ عندئذ أصبح قنسطنطين لخوديس Constantine Leichudes بطريركا وبسيللوس وزيرا أول ٠ ولم تختف المعارضة ضد اسحق كومنين بوفاة كريولاريوس ، بل أن البطريرك المتوفى كان فى مماته أشد خطورة على اسحق كومنين منه أثناء حياته ، وقد لقى اسحق كومنين الكراهية من كل الارستقراطية البيروقراطية والشعب والكنيسة وفى لحظة يأس انتابت اسحق كومنين أثناء مرضه فى ديسمبر ١٠٥٩ م تخلى عن العرش بناء على نصيحة بسيللوس وتوجه اسحق الى أحد الأديرة بعد ان عهد بالحكم الى أحد رفاقه وهو قنسطنطين دوكاس ١٠٥٩ - ١٠٦٧ م والذى كان متزوجا من ابنة أخت كريولاريوس وهى ايودوكيا ٠
(G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 338-341,

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٠ : ٧٢٣ ٠ عن Diehl) Marcias, Cam. Med. Hist., Ostrogorsky)

117. Nicolas Oikonomidès : Documents et études sur les institutions de Byzance, Part III, p. 102.

118. G. Ostrogosky : Op. cit., p. 344.

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٥

يضيف هذين المرجعين ابنا ثالثا هو اندرونيكس ، فى حين لا يذكر Oikonomidès الا ميخائيل وقنسطنطين فقط (p. 102) ٠ اما اندرونيكس فيشير اليه بانه ابن القيصر حنا شقيق قنسطنطين العاشر ، والذى عين كامبراطور مساعد مع أبناء عمه بواسطة رومانوس ديوجين الذى تزوج ايودوكيا بعد ذلك وأصبح امبراطورا فى يناير ١٠٦٨ م / ٤٦٠ هـ ٠ (N. Oikonomides : p. 127)

مكتبة المهتدين الإسلامية

هنا تكشف لنا وثائق ودراسات (Nicolas Oikonomidès) (١١٩) عن الأجزاء الغامضة فى فترة حكم تلك الامبراطورة • فعندما كان قنسطنطين دوكاس لا يزال على قيد الحياة وبالتحديد فى فترة مرضـــه فى اكتوبر ١٠٦٦ م / ٤٥٨ هـ ، كان ابنه الأكبر ميخائيل قاصرا ، لذلك عهد بالوصاية لأخيه القيصر حنا بالاشتراك مع البطريرك حنا زيفيلينوس John Xiphilinus — Jean Xiphilin (١٢٠) (١٠٦٤ ـ ١٠٧٥ م / ٤٥٧ ـ ٤٦٨ هـ) • ولكن بعد مضى فترة وجيزة ساءت حالة قنسطنطين أكثر « فتحتم على زوجته ايودوكيا العناية بشئون الدولة » (١٢١) •

وعندما أحس قنسطنطين العاشر باقتراب نهايته بحث عن وسيلة لتدعيم مركز أبنائه من بعده • وحصل على تعهدات ممن حوله بأنهم « لن يعينوا امبراطورا آخر غير أطفاله » وقد طلب من زوجته L'Augusta Eudocie وعدا عن طريق يمين مكتوب ، بألا ترتبط أبدا بزواج ثان ، وبالفعل تم له ذلك فى حضور مجمع كنسى ومجلس شيوخ (١٢٢) • هنا يقول (أيكونوميد) « أن الامبراطورة كانت تترقب برعب احتمال موت زوجهـــا الامبراطور قنسطنطين دوكاس ، الذى كانت تتمنى أن تموت قبله ، ومن أجل الحب الذى

---

119. N. Oikonomidès : Op. cit., pp. 101-104, 122-128.

120. N. Oikonomidès : Ibid., p. 102.

كان البطريرك حنا زيفيلينوس من طرابيزون فى آسيا الصغرى ، وقد وضع العديد من القوانين فى الشئون الكنسية ، وكانت له بعض الخطب ذات الأهمية فى اللاهوت • وقد ظل هو والفيلسوف بسيللوس يديران شئون الدولة مع قنسطنطين العاشر دوكاس حتى نهاية عهده حينما دخل الاثنان أحد الأديرة واتخذا مسوح الرهبان بعيدا عن ملذات الحياة :

(G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 327, The Encyclopaedia Americana, International Edition volume 29, 1768, p. 597).

شغل العديد من الوظائف مثل رجل القانون وعالم اللاهوت ثم بطريرك للقسطنطينية ، ولقد أهلته استقامته وتعليمه أن يكون أحد الشخصيات المشهورة فى القرن الحـادى عشر الميلادى ، وقد أصبح زيفيلينوس عميدا لكلية القانون وذلك عند اعادة تنظيم جامعة القسطنطينية ١٠٤٥ م • وفى ١٦٥٤ م دخل دير الروح المقدسة فى جبل أولمبوس فى بثينيا، وأصبح بعد ذلك رئيسا للدير حتى دعى للكرسى البطرقى فى القسطنطينية ١٠٦٣ م •

(The New Encyclopaedia Britannica V. X, 1768, p. 782)

121. N. Oikonomidès : Ibid., p. 102.

122. N. Oikonomidès : Ibid., p. 102.

http://www.al-maktabeh.com

كانت تحمله له ، ورغبة منها فى تأكيد ذلك الحب حلفت اليمين أمام الجميع، وتوسلت الى والدها الروحى البطريرك أن ينزل اللعنة عليها ـ هو وخلفائه من بعده ـ اذا حنثت فى يمينها » (١٢٣) ٠

وثمة رأى يذكر هنا أن الحكومة ـ فى فترة وصاية ايودوكيا على أبنائها بعد وفاة زوجها قنسطنطين العـــاشر ـ وجهت بواسطة بسيلوس والقيصر حنا دوكاس شقيق الامبراطور الراحل (١٢٤) ٠ والراجح ، استنادا الى وثائق (ايكونوميد) أن الامبراطورة ايودوكيا أصبحت وفقا لرغبة زوجها الامبراطور ، هى صاحبة التصرف فى كل الأمور ، وأصبح فى يدها البت فى كثير من الأمور التى كان يصرفها زوجها مثل : ترشيح أصحاب الرتب العالية والمناصب الكبرى فى الدولة ، البت فى الشئون الأهلية ، الموارد ، الضرائب ٠ وبذلك تمتعت ايودوكيا بسلطة ونفوذ الحاكم المطلق "Un Autokrator" الى جانب أنها كوصية بذلت كل ما فى وسعها لتلقين أبنائها « فن الحكم » (١٢٥) ٠

والواقع أن ايودوكيا لم يدرج اسمها ضمن قائمة الحـكام المطلقين حتى ذلك الوقت ـ رغم تمتعها بكل سلطات الحاكم المطلق ـ وذلك لسببين ، أولهما : أن السناتو كان قد أقسم اليمين بألا يهتفوا الا لأبناء قنسطنطين العاشر من بعده ٠ وثانيهما : لأنها حتى عندما أرادت نقض يمينها والزواج فيما بعد من رومانوس ديوجين ، ورفعه للعرش الامبراطورى ، لم تفعل ذلك الا بعد موافقة الأباطرة الشرعيين أبناء قنسطنطين العاشر « ميخـــائيل وقنسطنطيوس » (١٢٦) ٠

وبمعنى آخر تقلدت ايودوكيا سلطة Autokrator وهى Augusta وأم لها منزلتها واحترامها على أصحاب الحق فى الوراثة ٠ وقد أدى تقلدها تلك السلطة فى بداية وصايتها على أبنائها ـ فى انتظار بلوغهم سن الرشد الى سوء فهم وضعها بصورة أوضح (١٢٧) ٠

---

(١٢٣) أنظر نص اليمين فى الملحق رقم (١) ٠

124. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 344,

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ص ٧٢٥

125. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 123.

126. N. Oikonomidès : Ibid., p. 123.

127. N. Oikonomidès : Ibid., p. 124.

مكتبة المهتدين الإسلامية

لكن الى أى مدى نجحت ايودوكيا فى فترة وصايتها فى المحافظة على مصالح الدولة وتدبيرها مع أولادها ؟ ٠

الواقع أن الشئون الخارجية للامبراطورية سارت بطريقة غير مرضية منذ اللحظة الأولى لتوليها الوصاية ٠ فالحدود الشرقية كانت مهددة باستمرار من جانب الأتراك السلاجقة الذين دمروا قيصرية كبادوكيا وهددوا أنطاكيا٠ وفى نفس الوقت أسىء تنظيم الجيش البيرنطى ، فكان غير قادر على ايقاف الغزاة (١٢٨) ٠ ولذلك زادت قوة المعارضة بسبب الكوارث المتعددة على أطراف البلاد ، واشتدت الحاجة الى قيام حكومة عسكرية (١٢٩) ٠ وبمعنى آخر ساد القسطنطينية شعور بحاجة ملحة لامبراطور يكون قادرا على مواجهة الصعوبات ٠

هنا خشيت ايودوكيا من قيام ثورة يفرض بعدها امبراطور ، لذلك كان المخرج الوحيد أمامها هو الزواج من أحد القادة العسكريين المتازين ، ثم رفعه للعرش الامبراطورى (١٣٠) ٠

ولا يهمنا هنا كيفية تحلل ايودوكيا من تعهدها بعدم الزواج مرة ثانية، لأننا سنناقش ذلك فى جزء آخر ضمن الحياة الاجتماعية ٠ لكن ما نود أن نشير اليه هو أنه صدر قانون جديد يقول « أن المصلحة العامة من الممكن أن تلغى الاتفاقات الخاصة » ٠ فقد كان من غير المعقول أن تعانى الدولة البيزنطية من المخاطر لعدم وجود امبراطور على رأسها « وذلك بسبب غيرة رجل واحد » (١٣١) هو قنسطنطين العاشر الذى كبل ايودوكيا بتعهدها معه٠

كان رومانوس ديوجين ، ابن قنسطنطين ديوجين ، النبيل الذى اشتهر أثناء الحروب البلغارية فى عهد باسل الثانى (٩٧٦ - ١٠٢٥ م / ٣٦٦ - ٤١٦ هـ) وكان على قدر كبير من الشجاعة العسكرية حتى أن الامبراطور قنسطنطين العاشر دوكاس كان قد خلع عليه لقب (Vestarque) واعترف له

---

128. N. Oikonomidès : Ibid., p. 124.

129. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 344,

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٥

130. N. Oikonomidès : Ibid., p. 125.

131. N. Oikonomidès : Ibid., p. 125.

http://www.al-maktabeh.com

الامبراطور بانه « لم يفعل ذلك تفضلا منه ، وانما استنادا الى شجاعتـــه التى جعلته يستحق ذلك اللقب » (١٣٢) ٠

وبعد وفاة قنسطنطين العاشر دوكاس ، تآمر رومانوس ديوجين ضد الحكم القائم ووشى به وادين وكان عقابه الموت ٠ هنا يقال ان الامبراطورة ايودوكيا « التى تأثرت بجمـــــاله » عفت عنـــه ٠ ونفى رومانوس فى الحال (١٣٣) ٠

وسرعان ما دعت ايودوكيا رومانوس الى القسطنطينيـــة وفى ٢٥ ديسمبر ١٠٦٧ م / ٤٦٠ هـ لقبته Magistros Stratelate (١٣٤) وعلى ذلك فرغم معارضة بسيللوس والقيصر حنا الا أن البطريرك حنا زيفيلينوس انتهى الى اتفاق معهم (١٣٥) ٠ وفى ينـــاير ١٠٦٨ م / ٤٦٠ هـ تزوجت ايودوكيا من رومانوس ديوجين الذى تمت المنـــــاداة به امبراطورا Emperor (١٣٦) أو كحاكما مطلقا Autokrator (١٣٧) ٠وهناك رأى ثالث يقول أن ايودوكيا تزوجت من رومانوس ليصبح امبراطورا مشاركا (Emperor-Colleague) لابنها ميخائيل (١٣٨) ٠

وثمة رأى يذكر أن رومانوس الرابع ديوجين (١٠٦٨ ـ ١٠٧١ م / ٤٦٠ ـ ٤٦٣ هـ) « لم يلعب كوميديا الخضوع لايودوكيا لمدة طويلة » ٠ فقد توج كامبراطور مساعد (١٣٩) ، اندرونيكوس دوكاس الذى جلس على

---

132. Radolphe Guilland : Titres et fonctions de l'Empire Byzantine, Part XIV, pp. 9 : 10.
133. R. Guilland : Ibid., p. 10.
134. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 125, R. Guilland : Ibid., p. 10.
135. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 344.
136. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 344.

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٦

137. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 125.
138. C.W. Previte Orton : The Shorter Cambridge..., V. I, p. 278.
139. G. Ostrogorsky, Op. cit., p. 107,

كتاب المؤلفة : الامبراطورة ايرين ، ص ١٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

الكرسى الامبراطورى ، مع أبناء قنسطنطين العاشر ، كما جعل القيصر حنا دوكاس معاونا رئيسيا له ، لكنه أخذ السلطة المطلقة ، وفيما بعد أشرك فى العرش ولديه من ايودوكيا (نقفور وليون) · ذلك العمل الذى وضع أسرة دوكاس فى خطر وأثار رد فعل عنيف · ذلك أن اندرونيكوس ابن القيصر حنا ، تسبب بخيانته فى هزيمة ماتريكرت ،التى أسر بعدها رومانوس ديوجين بواسطة السلاجقة فى ١٩ أغسطس ١٠٧١ م (١٤٠) / ٤٦٣ هـ (١٤١) · فلا غرو أن أطلق عليه استروجورسكى « خائن مانزيكرت » (١٤٢) ·

وقد سبب خبر أسر الامبراطور بواسطة الأتراك ، صدمة للقسطنطينية « وتحول الحكم الى ايودوكيا بالاشتراك مع ابنها ميخائيل » عند ئذ استدعت ايودوكيا القيصر حنا من بثينيا ومنحته دورا فعالا فى ادارة شئون الدولة· لكن صدمة القسطنطينية كانت أقوى عندما علموا أن ألب أرسلان السلجوقى أطلق سراح رومانوس ديوجين وأنه عاد ليطالب بالعرش · عند ئذ اتخذ القيصر حنا وحزب أسرة دوكاس اجراءات فاصلة بأن أعلن ابن أخيه ميخائيل السابع امبراطورا بمفرده وذلك فى ٢٤ اكتوبر ١٠٧١ م /

140. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 127, G. Ostrogorsky: Op. cit., pp. 344, 349.

(١٤١) ابن العماد : شذرات الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٩١ (المكتبة التجارية للطباعة والنشر بيروت لبنان ، ابن الأثير : الكامل ، ج ١٠ ، ص ٦٥ (دار صادر وبيروت ١٣٨٦ ـ ١٩٦٦ م) ، أبو المحاسن النجوم الزاهرى ، ج ٥ ، ص ٨٦ (سلسلة تراثنا ـ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر) ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ١٢، ص ١٠٠ (الطبعة الأولى ١٩٦٦ مكتبة المعارف بيروت) وينفرد المصدر الأخير بتحديد تاريخ الموقعة بالاربعاء ٢٥ ذى القعدة وتضيف غالبية المصادر السابقة الى جانب مصادر أخرى · ان (ارمانوس ملك الروم) كان قد خرج بجيش يقدر عدده بمائتى الف من الروم والفرنج والفرس والروس والبنجال والكرج وغيرهم وكان الب ارسلان فى أذربيخان ولما سمع بكثرة عدد جيش الروم وقربه منه لم يتمكن من جمع عدد كبير من قواته لبعدها عنه · فسار لملاقاة الروم بجيش مكون من خمسة عشر الف فارس · ثم طلب الهدنة من (ملك الروم) فرفض قائلا : لا هدنة الا بالرى · عند ئذ صمم الب ارسلان على ملاقاتهم بجيشه الصغير · وأشير على السلطان أن يلقى الروم يوم الجمعة بعد الزوال فى الساعة التى تكون الخطباء على المنابر « فانهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالاجابة » وبالفعل تم ذلك وأنزل الله نصره على المسلمين وأسر ملك الروم ·

142. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 349.

http://www.al-maktabeh.com

٤٦٤ هـ (١٤٣) وأبعـــدت ايودوكيا الى أحد الأديرة فى Pipéroudi على البسفور ومعها ولدى رومانوس ديوجين اللذان جردهما ميخائيل من الشـــارات الامبراطورية · وفى النهاية اعتبر رومانوس ديوجين مغتصبا للعرش ، وبالتالى سملت عيناه · وبذلك تم انقاذ أسرة دوكاس بواســطة القيصر حنا وأخفقت ايودوكيا فى مجهودها للمحافظة على مصالح الدولة فى رأى البيزنطيين ·

لكن من الانصاف أن نقول قولة حق ، هى أن ايودوكيا كبلت منذ اللحظة الأولى لحكمها بأغلال قوية سواء من جانب زوجها أو أخيه أو الكنيسة ، فى الوقت الذى كان فيه ولداها لا يزالان فى سن صغيرة جدا لا تسمح لهما بتولى دفة الحكم ، فلم تقصر وعلمتهما فن الحكم · ولكن لسوء حظها أن الدولة البيزنطية هددت فى ذلك الوقت بواسطة التيار السلجوقى الجارف · فى الوقت الذى تدهورت فيه أحوال الجيش فما كان منها الا أن بحثت بكل الوسائل للخروج من ذلك المأزق بالزواج من رجل حرب شهد الجميع بشجاعته وعدم انصياعه حتى لزوجته التى كانت سببا فى ارتقائه العرش · الا أن الحظ خانه فى حرب السلاجقة فوجد حزب الدوكاسيين فى ذلك فرصة مناسبة للتخلص منه ومن ايودوكيا وأولادهما · وعلى ذلك فاذا كانت المقادير لم تعطى ايودوكيا كل ما رغبته لنفسها ولدولتها ، فليس معنى ذلك أنهـــا أخفقت فى مهمتها كما قيل ، فليس كل ما يتمنى المرأ يدركه ·

ثالثا : انا دالاسينا Anna Dalassena والدة الكســـيوس الأول كومنين (١٠٨١ ـ ١١١٨ م / ٤٧٤ ـ ٥١٢ هـ) ·

توجها الكسيوس (١٤٤) كانت فظة خشنة الطبع (١٤٥) وكان لهـــا تأثيرا واسع المدى على ابنها الكسيوس ، قامت بالوصـــاية على العرش

---

143. G. Ostrogorsky: Ibid, pp. 344-345, N. Oikonomidès: Op. cit., p. 128.

(١٤٤) رنسيمان الحضارة البيزنطية ،ص ٧٢ · عن (بروكوبيوس)

145. The New Encyclopaedia Britannica, V. I, (A. alto Arithmetic), V. I 1768, p. 483.

مكتبة المهتدين الإسلامية

البيزنطى فى فترة غياب ابنها من القسطنطينية أثنـــاء الحرب ضـــد روبرت جويسكارد Robert Guiscard . (١٤٦) ٠

رابعا : ماري الأنطاكية Mary of Antioch

وهى الزوجة الثانية لمانويل كومنين (١٤٧) (١١٤٣ ـ ١١٨٠ م / ٥٣٨ ـ ٥٧٦ هـ) والوصية على ابنها الكسيوس الثانى (١١٨٠ ـ ١١٨٣ م / ٥٧٦ ـ ٥٧٩ هـ) ٠ وهى ابنة ريموند دى بواتييه أمير أنطاكية (١٤٨) ٠ الذى

---

146. G. Ostrogorsky : op. cit., p. 376.

وروبرت جويسكارد هوجندى نورماندى ورجل دولة فى نفس الوقت (١٠١٥ ـ ١٠٨٥ م) كنيته جويسكارد أى الداهية ، بدأ نجمه يلمع عندما خلف أخاه كدوق لأبوليا ١٠٥٧ م ثم ثبت فى دوقيتها الى جانب كالبريا ١٠٥٩ . هذا الى جانب توليه أمر صقلية ٠ ففى ١٠٦٠ م أكمل فتح صقلية ٠ وفى السنة التالية سقطت مسينا ٠ أما فى ١٠٧١ م فقد انتزع بالرمو وبارى آخر المعاقل البيزنطية القوية فى أبوليا ، ثم تطلع روبرت الى الشرق ورغب فى أن يصبح سيدا للامبراطورية البيزنطية بالدفاع عن قضية قنسطنطين دوكاس ، ابن ميخائيل السابع ، وذلك بعد زواج قنسطنطين من ابنه روبرت ٠ وقد أبحر روبرت عبر الأدرياتى وهزم الامبراطور الكسيوس كومنين واحتل كورفو ودورازو وذلك ١٠٨٢ م ٠ وبعد ذلك زحف روبرت على القسطنطينية مباشرة ، لكنه اضطر أثناء زحفه الى العودة الى ايطاليا لنجدة البابا جريجورى السابع ، المحاصر بواسطة الامبراطور هنرى الرابع ، وذلك بعد أن ترك قيادة قواته فى البلقان فى صيف ١٠٨٢ لابنه بوهيموند الذى صار فيما بعد بطلا من أبطال الحملة الصليبية الأولى ٠ وبعد رفع الحصار عن البابا ، عاد روبرت للشرق مرة أخرى ولكنه توفى فى صيف ١٠٨٥ بتأثير الحمى فعاد النورمان الى ايطاليا٠ (The Encyclopedia Americana Vol. 23, p. 567,

د ٠ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ ، ص ١١٩ : ١٢١ الطبعة الثالثة ٠

147. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 601.

كان مانويل أكثر آل كومنين جاذبية فى شخصيته فقد كان ذكيا محبوبا كريما ، كما كان متعلما مثقفا ومهتما بدراسة اللاهوت ٠ وكانت له خصائص الفارس الغربى ٠ فقد كان أكثر ميلا للعادات الغربية من أى امبراطور بيزنطى آخر ٠ بل انه تزوج من اميرة لاتينية هى مارى أميرة انطاكية ٠ وقد أعجب به اللاتين الذين شابههم أكثر من اعجابهم بأى امبراطور بيزنطى آخر ٠ (د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٧٨ ، ١٩٢) ٠

(١٤٨) مارى هى ابنة ريموند دى بواتييه وكونستانس ٠ تزوجها الامبراطور مانويل كومنين بعد وفاة زوجته الأولى ١١٥٩ م وقد تم ذلك الزواج فى ديسمبر ١١٦١ م ومارى هى أيضا أخت بوهيموند الثالث (١١٦٣ ـ ١٢٠١ م) ٠ د ٠ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٣١ ، ٦٥٨ ، ٦٦٦ ٠ عن (وليم الصورى Setton Chaladon.)

http://www.al-maktabeh.com

كان أحد نبلاء بلاط هنرى الأول ملك انجلترا ، قبل استدعائه الى سـوريا بواسطة فولك ملك بيت المقدس · فوصل فى نهاية ١١٣٦ م /٥٣١ هـ وتزوج من الأميرة كونستانس ، التى كانت لا تزال قاصرا عند ئذ (١٤٩) ·

كان الكسيوس الثانى فى الثانية عشرة من عمره عندما توفى والده مانويل الأول ٢٤ سبتمبر ١١٨٠ م ، فأصبح الكسيوس امبراطورا مع والدته كوصية عليه · وقد تكفل السناتو بالاعتراف بالكسيوس الثانى كامبراطور بمفرده Basileus Autokrator اذا بلغ السادسة عشرة من عمره · على أن يحتفظ رجال السناتو بولائهم للأمير الصغير فى الفترة التى يكون فيها ما زال قاصرا ، وفى نفس الوقت يخضعوا لأوامر الامبراطورة مارى حتى يصل الأمير الى سن السادسة عشر · وعلى ذلك تقلدت مارى سلطة Autokrator (دون الهتاف لها) حتى وصل الكسيوس الثانى الى سن الرشد ، كما كان الحال بالنسبة لأيودوكيا أم ميخائيل السابع (١٥٠) كما مر بنا ·

ورغم معارضة الكثيرين لحكم مارى ورغم تآمرهم ضدها وعلى رأسهم أخت الكسيوس الثانى نفسها - ربما من أبيه - وزوجها (Renier of Montfernant) الا أن جهودهم باءت بالفشل ·

حكمت مارى اللاتينية بمساعدة ابن شقيق الامبراطور السابق مانويل، وهو المسمى الكسيوس كومنين The Protosebastus Alexius Comnenus وأصبح لهذا الأخير دورا فعليا فى ادارة شئون الحكم · والواقع أن الاختيار كان غير موفقا ، فقد كان الكسيوس هذا شخصية تافهة · وقد سببت شخصيته بوضعها الجديد صراعات مريرة بين أفراد عائلة كومنين · ولقد « كرهت مارى الغربية والكسيوس ذو المنزلة الرفيعة لديها بالتساوى من قبل الشعب البيزنطى » · فلقد حظى اللاتين تحت تلك الوصاية على قدر كبير من

149. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 394, W.B. Stevenson : The Crusaders in the East, pp. 132, 138.

وكوستانس هى ابنة بوهيموند الثانى أمير انطاكية واليس (سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، الطبعة الثالثة ، ص ٥٦٧) ·

150. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 124.

مكتبة المهتدين الإسلامية

التحيز ، بينما اعتبر المواطن البيزنطى العادى أن سياسة الدولة فى ذلك الوقت كانت هى المسئولة عن الفساد السريع للوضع البيزنطى سواء فى الداخل أو فى الخارج · ولذلك تضاعف الاستياء ضد اللاتين بصورة ملحوظة ، وبذلت محاولات شتى للاطاحة بذلك الحكم ولكن بدون جدوى (١٥١) ·

وفى النهاية كان الدور الفاصل لأندرونيكوس الأول كومنين ، ابن عم مانويل الذى كان فى ذلك الوقت حاكما فى اقليم بونطس (١٥٢) · فقد تقدم عبر آسيا الصغرى ، وانتظر فى خلقدونية عندما قام شغب ضد اللاتين فى العاصمة - القسطنطينية (مايو ١١٨٢ م / ٥٧٨ هـ) وقبض على The Protosebastus Alexius وسملت عيناه ، عند ئذ دخل اندرونيكوس العاصمة التى كانت تغلى بالغضب ضد اللاتين ، وحدثت مذبحة مريعة بينهم · وقد قتل اندرونيكوس الخصوم المناوئين ومن بينهم الامبراطورة الأرملة مارى ، ثم عين اندرونيكوس امبراطورا مساعدا لألكسيوس فى سبتمبر ١١٨٣ م / ٥٧٩ هـ · لكن بعد شهرين أعدم الكسيوس بواسطة اندرونيكوس وقذف جسده فى البحر (١٥٣) · وبذلك خلى العرش لأندرونيكوس الأول كومنين (١١٨٣ - ١١٨٥ م) (١٥٤) ·

وثمة رأى نود أن نضيفه هنا قبل أن ننهى الكلام عن مارى الأنطاكية هو ، أن الزيجات لأغراض سياسية ، من أميرات كانت تهدف فى التاريخ البيزنطى ، كما كان الحال فى أى جزء من أجزاء العالم فى العصور

---

151. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 394-395.

152. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 395.

153. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 396. The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A. Bib. 1768), p. 230.

154. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 578.

كان اندرو نيكوس اخر أباطرة آل كومنين وأغربهم فى شخصيته وقد جمع بين أفضل المواهب من حسن الادراك السياسى والشجاعة فى القتال وبين حبه للدسائس والمغامرة والافتقار الى الوازع والمبادىء الخلقية والقسوة البالغة · والواقع أنه بعد أن تربع على العرش وبفضل ما أظهره من مقدرة كبيرة أجبر معاصريه على اعتباره من أعظم الأباطرة البيزنطية (عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ص ١٧٩) ·

http://www.al-maktabeh.com

الوسطى ، الى التغلب على الرعايا الثائرين المتمردين وقمعهم ، أو الى عقد التحالفات الأجنبية (١٥٥) ٠

هناك شكل أخير للوصية الأم كان الرأى العام والكنيسة البيزنطيـــة غير متفقين عليه ممثلا فى زويه (كاربونوبسينا Zoe Carbonopsina) الزوجة الرابعـــة للامبراطور ليـــو الســـادس Leo VI (٨٨٦ ـ ٩١٢ م (١٥٦) / ٢٧٣ ـ ٢٩٩ هـ) والحقيقة أننا لن ندخل هنا فى تفاصيل الزواج الرابع لليو السادس ، حيث أننا سنتناول هذا الموضوع بشىء من التفصيل عند معالجة الحياة الاجتماعية ٠ وكل ما يهمنا فى الأمر أن ابن ليو السادس الوحيد وهو قنسطنطين الســـابع Porphyrogenitus الذى ولد فى مايو أو سبتمبر ٩٠٥ م كان نتاج ذلك الزواج الأخير (١٥٧) ٠ وهو الذى توج امبراطورا مساعدا فى ١٥ مايو ٩٠٨ (١٥٨) / ٢٩٥ هـ ٠

وبوفاة ليو السادس فى ١٢ مايو ٩١٢/٢٩٩ هـ انتقلت دفة الحكم لمدة سنة الى أخيه الكسندر Alexander (٩١٢ ـ ٩١٣ م / ٢٩٩ ـ ٣٠٠ هـ) وكان « طائشـــا باحثا فقط عن اللذات » بينما كان ابن أخيه قنسطنطين يبلغ من العمر آنذاك ست سنوات (١٥٩) ٠

وكان الوضع الطبيعى فى الظروف العادية أن تتولى أم قنسطنطين الوصاية عليه بدلا من عمه ، لكن الأم كانت غير معترف بزواجها منذ البداية من ليو السادس وكانت تلك المسألة هى أحد الجوانب الشـائكة فى فترة حكم

---

155. G. Buckler : Woman in Byzantine law, p. 413.

(١٥٦) يعرف أيضا باسم الفيلسوف أو الحكيم ٠
(G. Ostrogorsky : op. cit., p. 599).

د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٤ ٠

157. Romilly, J.H. Jenkins : Studies on Byzantine History of the 9th and 10th Centuries, Part VIII, Eight Letters of Arethus of the Fourth marriage of Leo the wise with Basil Laourdas, pp. 344-336.

158. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 260, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, 131.

159. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 261, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 134.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الامبراطور ليو والتى تسبب عنها اضطرابات عنيفة فى الكنيسة البيزنطية ٠

وعلى ذلك أقصى الكسندر الامبراطورة زويه الى أحد الأديرة (١٦٠) وجرد أهم مستشارى ليو السادس من وظائفهم وأحل محلهم رجاله ٠ وأما عن العلاقات الخارجية فقد تسبب الكسندر بامتناعه عن دفع الضريبة السنوية التى كانت تدفع للبلغار منذ عهد ليو السادس ـ وفق معاهدة السلام ٨٩٦ م ـ الى اعطاء سيمون البلغارى فرصة لتجديد الحرب ضد البيزنطيين (١٦١) ٠

لكن ماذا كان وضع الامبراطور الصغير قنسطنطين ؟

باعتباره الممثل الوحيد الحى للأسرة المقدونية ، فقد عهد بادارة شئون الدولة الى مجلس وصاية Council of regency يرأسه البطريرك نيقولاس ميستيكوس Nicholas Mysticus (١٦٢) ٠

160. G. Ostrogorsky: Ibid., p. 261, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 132.

161. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 261, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 134.

وسيميون البلغارى Tsar Symeon هو قيصر البلغار من (٨٩٣ ـ ٩٢٧ م تلقى تعليمه فى بيزنطة حيث عاش كرهينة ، كما كان مولعا بعظمة وحضارة البيزنطيين ، ولقد أطلق عليه لقب بطليموس الجديد بفضل ما حصله من علم فى القسطنطينية ٠ وقد شجع سيميون أثناء حكمه حركة فكرية فنية هامة اكسبته لقب (شرلمان بلغاريا) ، هذا فضلا عن انه كان محاربا قديرا ٠٠ استطاع أن يحرز انتصارا عظيما على البيزنطيين فى عهد ليو السادس تيسر له بعده الوصول حتى أسوار القسطنطينية وقامت المفاوضات على أثر ذلك انتهت بعقد صلح تعهد فيه سيميون بالامتناع عن القيام بأى عمل عدائى فى المستقبل على أن يدفع الامبراطور جزية سنوية قيمة ٠ (د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٣ ـ ١٥٤ ف ٠

162. Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, pp. 134-135.

ونيقولا هو بطريرك القسطنطينية من ٩٠١ ـ ٩٠٧ م ، ٩١٢ ـ ٩٢٥ م وقد أطلق عليه الامبراطور ليو السادس لقب (Mysticus) أى المستشار وأمين السر ٠ وقد رفض طلب الامبراطور فى اتمام زواجه الرابع بعد وفاة زوجته الثالثة ٠ وعندما حاول البطريرك أخذ رأى البابا سرجيوس الثالث فى ذلك الموضوع ، عوقب بالنفى الى أحد الأديرة خارج القسطنطينية ، لكنه أعيد استدعاءه مرة ثانية للمنصب البطريركى =

http://www.al-maktabeh.com

كان الوضع معقدا محفوفا بالمخاطر ، فقد قوبلت الحكومة الجديدة بمعارضة قوية من جانب العناصر الشديدة الاخلاص للأسرة الامبراطورية ، متمركزة فى شخص زوية ، أرملة الامبراطور السابق (١٦٣) ٠

كان من أهم أحداث فترة الوصاية هذه أن سيميون البلغارى طمع فى أن يكون هو صاحب العرش الامبراطورى ٠ وتصور أن باستطاعته أن ينتزعه من بيزنطة ٠ ولقد زار سيميون القسطنطينية واستقبل بحفـــاوة بالغة من قنسطنطين السابع والبطريرك نيقولاس مستيكوس ، وأسفرت المباحثـــات بين الجانبين البلغارى والبيزنطى عن خطبة احدى بنـــــات سيميون لقنسطنطين السابع ، هذا الى جانب تتويج سيميون نفســـه بيد البطريرك نيقولاس كامبراطور ٠ والواقع أنه اعتبر امبراطورا للبلغار وليس امبراطورا مساعدا لقنسطنطين السابع (١٦٤) ٠

وبمجرد رحيل سيميون ، قامت ثورة فى بيزنطة قضت على كل آمال سيميون ٠ لكن الأهم من هذا أنه بقيام تلك الثورة عادت الامبراطورة الأرملة الى القصر وزاولت قوتهـــا ٠ وبالطبع رفض المشروع البيزنطى البلغارى للتحالف عن طريق الزواج ، وكانت النتيجة الحتمية تفجر الصراع من جديد بين البيزنطيين والبلغار (١٦٥) ٠

= وذلك فى آخر سنة من سنوات حكم الامبراطور ليو أو فى فترة حكم الامبراطور الكسندر (٩١٢ ـ ٩١٣ م) ٠ (The New Encyclopaedia Britannica Vol. VII (Montpel Piranesi 1768), p. 325

كان نيقولا عدوا لدودا لزويه ، وهو الذى حلق شعر رأسها وحولها الى راهبة باسم (الأخت أنا Sister Anna) ، لكن عندما اختير رئيسا لمجلس الوصـاية على ولدها اضطر الى اعادتها مرة أخرى الى القصر (Cam. Med. Hist., V. IV Part I, pp. 134-135) ولكن ثمة رأى آخر منصفا بالنســـــبة لموقف نيقولا وهو أنه حاول فى البداية ان يتمم زواج زويه ويعترف بابنها ، الا أنه قوبل بمقاومة شديدة من العديد من الأساقفة ، مما جعله يتخذ موقف المعارضة الصلب من زويه ٠

(Romily, J.H. Jenkins: Studies on Byzantine Hist., Part VIII pp. 336-337.

163. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 261.

164. G. Ostrogorsky : Ibid., pp. 262-263.

165. G. Ostrogorsky : p. 263, Cam. Med. Hist. V. IV Part I, p. 135.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وهكذا كانت أولى الحقبات القوية التى واجهت حكومة الامبراطورة زويه فى مستهل حكمها هى « ضرورة القيام بهجوم مضاد للبلغار (١٦٦) ٠

كانت القيادة العليا للجيش بيد ليوفوكاس Leo Phocas الذى لم يكن على قدر كبير من الكفاية مثل والده الشهير ٠ أما الأسطول فكان تحت قيادة رومانوس ليكابينوس Romanus Lecapenus ولقد أمضى الجيش البيزنطى فترة لا بأس بها حينذاك فى الاستعدادات الحربية ثم تقدم لغزو أراضى العدو البلغارى ، على طول ساحل البحر الأسود ٠ لكن فى ٢٠ اغسطس ٩١٧ م / ٣٠٥ هـ هوجموا بواسطة سيميون عند نهر Achelous بالقرب من انخيالوس Anchialus فى تراقيا فأبيدت القوات البيزنطية ، ثم تلى تلك الكارثة هزيمة فادحة أخرى قرب Catasyrtae القريبة من العاصمة البيزنطية وذلك فى نهاية ٩١٧ م أو بداية ٩١٨ م (١٦٧) ٠

والواقع أن كارثة انخيالوس كانت شديدة الوقع على بيزنطة وقد يبدو لنا ذلك واضحا جليا اذا رجعنا الى كتابات المؤرخ البيزنطى ليون الشماس الذى زار موضع المعركة فى أواخر القرن العاشر الميـــلادى وسجل تلك الملاحظات : « وحتى الآن يستطيع المرء أن يرى أكوام العظام على مقربة من انخيالوس حيث مزق الجيش الرومانى تمزيقا أثناء هروبه المشين » (١٦٨) ٠

كان نتيجة كل تلك الهزائم المتتالية للبيزنطيين على يد البلغار أن أصبح سيميون البلغارى سيدا لشبه جزيرة البلقان (١٦٩) ٠

---

166. G. Ostrogorsky: I bid., p. 263.

167. G. Ostrogorsky, Ibid., p. 263, Cam. Med. Hist. V. IV Part 1, pp. 137, 506.

ويقال أن البطريرك نيقولاس ميستيكوس حاول أن يوفق بين الجانبين عن طريق عدة رسائل جاء فى وصفها انهـــا كتبت « بالدموع لا بالمداد » ثم حاول أن يهدد عدوه بمحاولة عقد اتفاقيات للتحالف مع الروس والبجناكيه وعناصر الالانيين والاتراك الغربيين (المجر) ٠ لكن سيميون كان يدرك صعوبة تشكيل مثل هذه الأحلاف ولم يكترث بتلك التهديدات ٠ (د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٥) ٠

(١٦٨) د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٥٥ ٠

169. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 264, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 506.

http://www.al-maktabeh.com

هنا نتساءل عن مدى مسئولية زويه عن تلك الهزائم ؟

والواقع أن هناك رأيين للرد على ذلك التساؤل ، الأول أن زويه كانت ضحية قائدها الأعلى للقوات المسلحة ، ليوفوكاس (١٧٠) · والثانى هو أن حكم زويه قدر له الاخفاق فى تلك الفترة بسبب موقفها الصلب العنيد ، بعيدا عن القوات والقدرات المختلفة فى فترة ابتعادها عن القصر (١٧١) ·

لكن الراجح أن قوة ليوفوكاس لم تكن متـــوازية مع قوة سيميون البلغارى فى ذلك الوقت · والحقيقة أن الجيش البيزنطى لم يكن ينقصـــه الكفاءات فى كل الجبهات ولم تكن زويه تخلو من مقومات النجاح حيث أظهرت نشاطا بالغا فى ميادين أخرى فقد استطاعت فى ٩١٥ م / ٣٠٣ هـ أن تنظم مع البابا (حنا العاشر) (١٧٢) حملة صليبية غربية ســاعدت الامارات اللمباردية على طرد العرب من ايطاليا ، كان مصيرها النجـــاح وتمكنت بيزنطة بعدها من استعادة نفوذها فى ايطاليا (١٧٣) ·

هذا الى جانب وقفتها الجريئة مع الملك اشوت ملك أرمينيا (ابن سمباط الشهير) الذى كان قد فر من بلاده تحت ضغط المســلمين وتوجـــه الى القسطنطينية ٩١٤ / ٣٠٢ هـ للبحث عن مساعدة · وبالفعل استطاعت زويه أن تعيده الى عرشه مما اكسب بيزنطة نجاحا كبيرا بتدخلها الناجح ، الذى اعتبر نقطة هامة فاصلة فى تاريخها ، فبحمايتها لعرش الملك الأرمنى كما كان يرغب تشجع الأرمن على العودة للذهب الأرثوذكسى (*) البيزنطى ·

والحقيقة أن تطور الأحداث نفسها أثبت قدرات الامبراطـــورة زويه الدبلوماسية · ففى الفترة المظلمة التى كان مصير الامبراطورية فيها متأرجحا، وذلك بين سنتى ٩١٧ ، ٩١٩ م تمت المحافظة على الامبراطورية البيزنطيـــة

---

170. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 136.

171. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 264.

(١٧٢) حنا العاشر John X ، كان رجلا على قدر كبير من الفضيلة والمقدرة، كان رئيسا لأساقفة رافنا فى ٩٠٥ م ثم أصبح (بابا) ٩١٤ م · وقد قاد الجيش الذى طرد العرب من ايطاليا ٩١٦ م ·

(The Encyclopaedia American, Vol. 16. Jefferson, Chariles E. to Latin, 1974).

173. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 136, 730.

* Cam. Med. Hist. V. IV. Part. 1, p. 136.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بواسطة دبلوماسية زويه التى أعطت لنفسها فترة راحة قيمة عن طريق الايقاع بين سيميون والصرب (١٧٤) ٠

ولما كان ممثل الخليفة الفاطمى المهدى قد حافظ على نفوذه فى بالرمو ، فان « ممثله قام بعملية انزال مباغته فى Reggio جنوب ايطاليا واستولى عليها فاضطرت زويه الى دفع ضريبة تقدر بـ ٢٠٫٠٠٠ قطعة ذهبية عن ممتلكاتها الايطالية للخليفة الفاطمى (١٧٥) ٠ وبذلك استطاعت زويه أن تحقق بعض المكاسب عن طريق الدبلوماسية عندما أعيتها القوة العسكرية التى فرقتها الخلافات الداخلية ٠

وبينما كانت حكومة الوصاية غارقة وسط الاستياء والمؤامرات بدأ نجم الادميرال رومانوس ليكابينوس فى الظهور حيث بدأ اتجاهه الراسخ نحو السيطرة على السلطة (١٧٦) ٠ ولما كان وضع الامبراطورية بسماته السابقة الذكر فى حاجة ماسة الى نظام عسكرى قوى ، لذا كان لا مفر من أن تتجه الأنظار الى رومانوس ليكابينوس الذى تفوق على ليوفوكاس واستطاع أن يسيطر على الأشلاء الباقية من الحكم ٠ « وبدهاء عظيم وبالتدريج أبعد زويه ومستشاريها من مراكزهم الحساسة ، وخطوة تلو الأخرى أحكم سيطرته على الحكم (١٧٧) » ٠

ففى مايو ٩١٩ / ٣٠٦ هـ تزوج الامبراطور الشاب قنسطنطين السابع من (هيلين) ابنة الوصى الجديد رومانوس ٠ ثم لقب الأخير بلقب (والد الامبراطور Basileopator) ـ وهو اللقب الذى تلقب به من قبل Stylianus Zautzes على عهد ليو السادس ٠ وفى ٢٤ سبتمبر ٩٢٠ م / ٣٠٨ هـ رفع قنسطنطين السابع حماه الى رتبة قيصر Caesar ثم فى ١٧ ديسمبر من نفس العام عين رومانوس امبراطورا مساعدا لقنسطنطين وبذلك « نجح رومانوس ـ ابن الفلاح الأرمنى ـ فيما فشل فى تحقيقه سيميون البلغارى (١٧٨) » ٠

---

174. Cam. Med. Hist. V. IV Part I, p. 507.
175. Cam. Med. Hist. V. IV part, I, p. 730.
176. Cam. Med. Hist. V. IV, part I, p. 507.
177. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 264.
178. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 264.

http://www.al-maktabeh.com

عندئذ شب صراع شديد بين رومانوس وسيميون الذى صمم بما الى اليه أمر القسطنطينية ٠لذلك بدأ سيميون يعيد الكرة مرة أخرى لغزو الأراضى البيزنطية ، وبالفعل استعاد أدرنة ٩٢٣ م / ٣١١ هـ ، عندئذ تحصن رومانوس بأسوار القسطنطينية وأصبح سيد الموقف ٠ لذا قام سيميون بمحاولة جديدة وذلك « بالاستعانة بالقوات المصرية » وذلك بعقد تحالف مع العرب فى مصر للقيام بهجوم مشترك على القسطنطينية ٠ لكن المحاولة أحبطت بواسطة الدبلوماسية البيزنطية الحذرة ٠ « فلم تكن مهمة صعبة أن يزايد الامبراطور البيزنطى على العرض المقدم من الحاكم البلغارى ويكسب جانب العرب عن طريق الهدايا والضرائب السنوية (١٧٩) » ٠

وعلى ذلك فعندما ظهر سيميون مرة أخرى ٩٢٤ م / ٣١٢ هـ أمام القسطنطينية ، اعترف بأن « قوته وقفت مكتوفة أمام أسوار العاصمة الامبراطورية (١٨٠) » ٠

لكن اذا كان هذا هو ما انتهى اليه وضع الامبراطورية البيزنطية عندئذ ، فماذا كانت نهاية زويه نفسها ؟ لقد تآمرت زويه مع ليوفوكاس ضد رومانوس ليكّابينوس ، ولكن يبدو أن الأخير ضيق عليها الخناق مما دفعها الى معاودة حياة الديرية مرة أخرى ، باسم (الأخت أنا) ٠ والحقيقية أن زويه لعبت دورا جديرا بالذكر فى تدعيم الأسرة وفى رفع شأن الامبراطورية ، « هذا الدور الذى يستحق أن يعيد فيه المؤرخون النظر بطريقة عادلة ليردوا لها اعتبارها بعد اهمالهم لها مدة طويلة (١٨١) » ٠

فمن الانصاف أن نشير الى نشاط زويه وثقتها بنفسها الى جانب

---

179. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 265.

والراجح أن زويه لعبت دورا هاما فى تلك الدبلوماسية التى عرفت عنها ٠
(Cam. Med. Hist. V. IV, part I, p. 507).

180. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 265.

وهو يضيف هنا « أن سيميون طلب مقابلة
حاكم الدولة البيزنطية ، وحدثت المقابلة بين الجانبين فى خريف ٩٢٤ م تلك المقابلة التى عاشت طويلا فى أذهان المعاصرين وأضيف عليها الكثير من المبالغات ، مما أعطاها طابع الأسطورة ٠ ولكن اذا كانت مقابلة سيميون مع البطريرك نيقولاس مستيكوس فى ٩١٣ م سجلت البداية السعيدة لخطة سيميون العظيمة ، فان مقابلته مع الامبراطور رومانوس بعد ذلك باحدى عشرة سنة أعلنت اخفاق آماله ٠

181. Cam. Med. Hist., V. IV, part. I, p. 137.

مكتبة المهتدين الإسلامية

تصميمها وشجاعتها واخلاصها · والواقع أن الوحيد الذى أشـــاد بتلك الامبراطورة هو (Arethas of Caesarea) وذلك فى خطبته الجنائزية التى قالها فى تأبين البطريرك Euthymius ٩١٧ م والتى أشار فيها الى زويه بفقرة حماسية بأنها « بعيدة عن اللوم والعار » · مع توبيخه لألكسندر على طردها من القصر · ثم أعلن (أرثياس) جهرا أنه من حزبها وأنه معارض للبطريرك نيقولاس (١٨٢) ·

هناك مثال آخر للمرأة البيزنطية **لا كوصية بمفردها ، ولكن كشريكة فى مجلس وصاية على امبراطور قاصر** يتمثل فى **الامبراطورة ثيو دورا** أرملة الامبراطور ثيو فيل (١٨٣) (٨٢٩ ـ ٨٤٢ م / ٢١٤ ـ ٢٢٧ هـ) ، ووالدة ميخائيل الثـــالث (٨٤٢ ـ ٨٦٧ م / ٢٢٧ ـ ٢٥٣ هـ) ـ الذى كان يلقب « بالسكير » (١٨٤) ـ وهى التى أشارت اليها المصادر العربية بأسماء مختلفة منها (تذورة) (١٨٥) و (تدورة) (١٨٦) و (بدورة) (١٨٧) وذلك عنـد التأريخ لسنة ٢٢٧هـ / ٨٤٢ م ·

ففى ٣ يناير ٨٤٢ م / ٢٢٧ هـ توفى الامبراطور ثيوفيل تاركا خمس

---

182. Cam. Med. Hist. V. IV, Part, I, p. 136.
183. Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 5.

هنا يرسم (أورتون) صورة متكاملة موجزة لشخصية الامبراطور ثيوفيل بقوله : « حقيقة كان ثيوفيل شديد القسوة والتنكيل بمن خالفوه دينيا ، لكنه من ناحية أخرى كان حاكما خيرا ، قاوم الخلفاء بعناد ـ يقصد هنا العباسيين ، وبالذات الخليفـــة المعتصم ـ وكان تواقا الى تحقيق العدل فى القضاء ، وكان رجلا اقتصاديا ناجحـا فى الشئون المالية · الى جانب حبه للعظمة والأبهة ، مما شجع الفن ، كذلك أحيا من جديد الشبكة الواسعة للدبلوماسية البيزنطية بالاضافة الى زيادة عدد المقاطعـــات العسكرية ـ الثيماتا ـ فى عهده ، الى جانب المعدات الخاصة بالدفاع » ·
(C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 252)

184. C.W. Previte Orton : Ibid., V. I, p. 252.

(١٨٥) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٢٣ ·

(١٨٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ، ص ٢٩٥ (دار الفكر بيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٠ ، ص ٢٩٧ (الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة المعارف بيروت) ·

(١٨٧) أبو الفدا : المختصر ، جـ٣ ، ص ٣٥ ، ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ١ ، ص ٣٣٤ (الطبعة الأولى دار المعرفة ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م) ·

http://www.al-maktabeh.com

بنات ، وولدا واحدا (١٨٨) · وكان ابنه الوحيد ووريثه ميخـــائيل فى الثالثة (١٨٩) أو السادسة (١٩٠) من عمره آنذاك ، فتحولت دفة الحكم الى الامبراطورة الأم ثيودورا (١٩١) · يساعدها مجلس وصاية ، اشتهر من أعضائه اثنان توليا مسئولية الحكم بدلا عن الصغير ميخائيل الثالث (١٩٢)· هذان الوصيان البارزان هما ثيوكتيستوس The Logothête Theoctistus (١٩٣) قائد القوات البحرية (١٩٤) وعم ثيودورا ، ووزير المالية (١٩٥) ،

---

188. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 115, Emile Amann: Hist. de l'Eglise, n. 6, p. 243.

أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ ·

هنا يذكر برييه ان احدى بنات ثيوفيل تزوجت من الكسيوس موزيل Alexis Mousel أما أوستروجورسكى فقد حدد أسماء الخمس بنات كالتالى : Maria وهى التى تزوجت الكسيوس موزيل ، Pulcheria Anastasia ' Anna ' Thecla

(G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 573)

والكسيوس موزيل هو الذى قاد التمرد ضد الامبراطورة ايرين لمصلحة ابنها قنسطنطين السادس فى نهاية فترة وصايتها · ولذلك لم تنس ايرين ذلك ولم تغفره له ، فعندما اشتدت مقاومة الثيماتا الأرمينية لايرين الأيقونية وامتدت المعارضة لبقية الولايات العسكرية فى آسيا الصغرى حثت ايرين ابنها على التنكيل بالكسيوس موزيل قائد الثيماتا الأرمينية · فنكل به تنكيلا فظيعا بسجنه وتعذيبه بسمل عينيه ، لا لشىء اقترفه الا انتقاما للهزيمة التى لحقت به على يد البلغار والتى تسرع فيها قنسطنطين بالدخول فى الحرب ضدهم لتصديقه أقوال أحد المنجمين

(L. Bréhier: Vie et Mort, p. 91, G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 179-180)

189. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 219, The Chronography of Bar Hebraeus, p. 140.

190. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 115.

191. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. 1, p. 252.

192. Cam. Med. Hist. V. IV, part I, p. 104.

193. E. Amann : Hist. de l'Eglise No. 6, p. 243, G. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 220.

194. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 115.

(١٩٥) أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والمدير العام للبريد (١٩٦) وكان المع الأعضاء . هذا الى جانب عمانوئيل Amanu'il عم الامبراطور (١٩٧) وقائد القوات البرية (١٩٨) .

وثمة رأى انفرد به (أوستروجورسكى) يشير الى أنه « يبدو أن الأخت الكبرى لميخائيل الثالث والتى كانت لا تزال على قيد الحياة آنذاك ـ ثيكلا Thecla ـ قد خولت حق المشاركة فى مجلس الوصاية ، فقد ظهرت منذ ذلك الوقت على العملة مع كل من ميخائيل وثيودورا وتلى اسمها معهم فى البروتوكولات الحكومية ، ولكن يبدو أنها أحجمت كلية عن التدخل فى شئون الدولة » (١٩٩) أى أنها كانت ممثلة تمثيلا شكليا فقط فى مجلس الوصاية .

والواقع أنه عند تناول فترة وصاية ثيودورا لابد أن نتناول مستشارها الأول ثيوكتستوس ، الذى كان أبرز أعضاء مجلس الوصاية على الاطلاق فى فترة وصايتها على ابنها (٢٠٠) . ولا يرجع نفوذ ثيوكتستوس الكبير الى خدماته المخلصة للامبراطور ثيوفيل لكن يرجع فى الحقيقة بالدرجة الأولى الى كونه السبب الرئيسى فى اعتلاء ميخائيل الثانى العرش بعد مقتل ليو الخامس ، حتى أنه من الممكن أن يقال أن الأسرة العمورية مدينة له بنشأتها المبكرة كأسرة حاكمة (٢٠١) . فلقد كان ولاءه لكل من ميخائيل الثانى وثيوفيل شديدا ، ذلك الولاء الذى ربطه بشدة بمصير الدولة والجيش ، وكان يتمنى أن يحافظ على تلك الأسرة بالباس الجيش ثوب الفخار والعظمة (٢٠٢)

وتعتبر وظيفة اللغثيت Logothete التى تولاها ثيوكتستوس فى

---

196. The New Encyclopaedia Britannica, Vol. VII (1768) p. 302.

(وهو الذى كان من أهم اختصاصاته التى عهدت اليه تقديم الهدايا للسفارات الأجنبية ، وشيئا فشيئا أصبح المستشار الأعلى للحاكم فى الشئون الخارجية ويعتبر ثيوكتستوس أقوى شخصية تولت تلك الوظيفة) .

(١٩٧) أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ .

198. The Chronography of Bar Hebraeus V. I, p. 140.

199. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 219.

200. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 105.

201. Cam Med. Hist. IV. Part, 1, pp. 105-106.

202. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 106.

http://www.al-maktabeh.com

عهد ثيودورا ثم ستيليا نوس زوتزيس Styliamus Zoutzes على عهد ليو السادس من أهم الوظائف العظيمة والمتزايدة الأهمية (٢٠٣) ٠

ولقد ساعدت ثقافة ثيوكتستوس العالية على تعزيز التعليم فى داخل الدولة البيزنطية ، والى المساعدة فى الاعداد لاحياء ونهضة الثقافة الناشئة ٠ كذلك ساعدت سياسته المالية الدقيقة على حماية اقتصاد الدولة وتوفير احتياطى كبير من الذهب لصالحها (٢٠٤) ٠

وتعد فترة وصاية ثيودورا من أهم الفترات الخصبة بالنسبة للنشاط العسكرى والدبلوماسى البيزنطى ٠ حيث احتكت الدولة البيزنطية خلالها بأكثر من جبهة خارجية سواء أوروبية أو آسيوية أو افريقية ٠

فمن ناحية الجبهة الأوروبية نجد أنه فى مستهل وصاية ثيودورا على ابنها ميخائيل وبالتحديد نهاية ٨٤٢ م أو بداية سنة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ استولى المسلمون على Messina وذلك بمساعدة أهالى نابولى الذين كانوا قد تحالفوا معهم ٨٣٦ م (٢٠٥) ٠

ومسينا هى احدى مدن جزيرة صقلية الايطالية وكانت بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الغربية ٤٧٦ قد خضعت على التوالى للقوط ثم للبيزنطيين ٥٣٥ م حتى استولى عليها العرب ٨٤٢ م (٢٠٦) ٠ والواقع أن بعد جزيرة صقلية عن البيزنطيين وسطوتهم « كان يغرى طامحا بعد آخر

---

203. G. Ostrongorsky : Op. cit., p. 250.

واللغثيت هو الوزير الذى له أوثق الصلات بالامبراطور ٠ كان يقابله كل يوم تقريبا ، ومن واجباته تقديم الوزراء والضباط للامبراطور لكى يقلدهم وظائفهم ، وكذلك عمل الترتيبات اللازمة لاستقبال السفراء الأجانب وتجهيز البعثات السياسية الامبراطورية الى البلاد الأجنبية واختيار أفراد تلك البعثات ٠ ومن واجباته أيضا الاشراف على الاحتفالات الرسمية التى يظهر فيها الامبراطور للشعب ٠ (د ٠ اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٨٦ ٠ عن (رانسيمان ٠ Bury) .

204. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 220.

205. Cam. Med. Hist. V. IV Part I, p. 728.

206. The Encyclopaedia Britannica, Vol. VI (1768) p. 824.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بالاستقلال ، وقامت غير محاولة من هذا القبيل كانت آخر واحدة منها سببا فى دخول المسلمين صقلية » (٢٠٧) ٠

واذا كانت بعض المصادر العربية قد أشارت الى فتح بعض أجزاء من صقلية بشيء من الاختصار بقولها انه فى سنة ٢٢٨ هـ فى خلافة الواثق « فتح المسلمون عدة أماكن من جزيرة صقلية » (٢٠٨) فان ابن الأثير ـ بما اشتهر به كتابه الكامل من أنه موسوعة فى تاريخ العالم الاسلامى سواء ما يقع منه فى الشرق أو ما يقع منه فى الغرب (٢٠٩) ـ وضح لنا باسهاب ، كيف سار الفضل بن جعفر الهمدانى فى البحر سنة ٢٢٨ هـ « فنزل مرسى مسينى وبث سرايا ففنموا غنائم كثيرة واستأمن اليه أهل نابل وصاروا معه (٢١٠) ٠ ويقال ان القتال اشتد بين الطرفين وفى النهاية رجحت كفة المسلمين عن طريق الحيلة ، ذلك أن طائفة من جيش الفضل استدار واخلف جبل مطل على مدينة « مسينى » فصعدوا الجبل ونزلوا الى المدينة وأهل البلد مشغولين بقتال جعفر ومن معه ، فلما رأى أهل البلد أن المسلمين طوقوهم من خلفهم أيضا انهزموا وفتح البلد (٢١١) ٠

وقد تمت الهدنة بين المسلمين والبيزنطيين فى صقلية على اثر ذلك النصر ، ولكن ثيودورا سرعان ما خرقت تلك الهدنة بارسالها جيشا فى ٨٤٥ م / ٢٣١ هـ لكنه هزم (٢١٢) ٠

وربما كان خرق ثيودورا للهدنة هو الدافع لقيام المسلمين بهجمات

---

(٢٠٧) د ٠ احسان عباس : العرب فى صقلية ، ص ٣١ ٠ عن
(Bury : Hist. of the Eastern Roman Empire)

(٢٠٨) أبو الفدا : المختصر ، المجلد الأول ، جـ٣ ، ص ٤٦ (دار البحار بيروت)، ابن الوردى : تتمة المختصر جـ١ ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م دار المعرفة بيروت لبنان ، ص ٢٣٤ ، القلقشندى : مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ، جـ١ ، ص ٢٢٦ ٠

(٢٠٩) د ٠ سعيد عاشور : بحوث ودراسات فى تاريخ العصور الوسطى ، دراسة حول كتاب الكامل فى التاريخ لابن الأثير ، ص ٣٩٣ (جامعة بيروت العربية ١٩٧٧) ٠

(٢١٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٦٧ ٠

(٢١١) ابن الاثير : نفس المصدر السابق ، ص ٢٦٧ ـ ٢٦٨ ٠

212. Cam. Med. Hist. V. IV Part I,, p. 728.

http://www.al-maktabeh.com

جديدة على الممتلكات البيزنطية فى صقلية ، فمثلا تم الاستيلاء على ليونتينى Leontini الواقعة بين قطونة وسيراكوزا وذلك فى ٨٤٦ ـ ٨٤٧م (٢١٣)/ ٢٣٢ ـ ٢٣٣ هـ ٠

وقد أدى مسلك ثيودورا هذا ايضا الى تشجيع أهل مسينا على الخروج على والى صقلية المسلم (٢١٤) ٠ وتم الاتفاق بينهم وبين بطريرك صقلية سرا ٢٣٢هـ / ٨٤٦ م على أن يأتى لنصرتهم فى الوقت المناسب وأن تكون العلامة عند وصوله أن توقد النار ثلاثة ليال على جبل معين حدده لهم ٠ واتفق أنهم اذا شاهدوا ذلك فمعناه أنه سيصل اليهم فى اليوم الرابع فيتحدوا جميعا ويهاجموا المسلمين بغتة ٠ لكن أخبار ذلك الاتفاق وصلت الى القائد الفضل بن جعفر فأرسل من أوقد النار ثلاثة ليال ـ وفق الاتفاق المبرم بين البطريرك وأهل مسينا ـ ثم استعد وكمن الكمناء وأمر الذين يحاصرون المدينة أن ينهزموا الى جهة الكمين ، فاذا خرج أهلها عليهم قاتلوهم حتى اذا جاوزوا الكمين انقضوا عليهم ٠ وبالفعل لم يكتشف أهل البلد تلك الخدعة وتظاهر المسلمون بالانهزام وتقهقروا للخلف جهة الكمين « ولم يبق بالبلد أحد الا خرج » فلما جاوزوا الكمين عاد المسلمون عليهم وخرج الكمين خلفهم « ووضعوا فيهم السيف فلم ينج منهم الا القليل » عند ئذ سألوا الأمان على أنفسهم وأموالهم حتى يسلموا المدينة فأجابهم المسلمون الى ذلك فسلموا المدينة (٢١٥) ٠

هذا وقد أرسل البيزنطيون عشر سفن حربية (شلنديات) ضد المسلمين بصقلية وذلك ٢٣٣ هـ / ٨٤٧ م لكنهم ضلوا الطريق فرجعوا خائبين « فغرق منها سبع قطع » وعندما رجحت كفة المسلمون فى صقلية اضطر بعض أهالى المدن التى لم تكن قد دخلت فى حوزة المسلمين الى مصالحة الفاتحين وسلموا

---

213. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 728.

وليونتينى مدينة جنوب شرق صقلية تبعد ٢٢ ميل شمال غرب سيراكوزا ٠
(The Encyclopaedia Britannica V. VI (1768), p. 153)

(٢١٤) كان أمير صقلية من ٢٢٨ هـ الى ٢٣٦ هـ أو ٢٣٧ هـ ، هو محمد بن عبد الله بن الأغلب (ابن الوردى : تتمة المختصر ، جـ١ ، ص ٣٣٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٦٨ ، ص ٢٨٩) ٠

(٢١٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٦٨ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

مدنهم اليهم وذلك ما حدث على سبيل المثال سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م بالنسبة لأهل رغوس (٢١٦) ٠

ورغم وفاة أمير صقلية محمد بن عبد الله بن الأغلب حوالى ٢٣٦ هـ ٨٥٠ م الا أن واليها الجديد العباس بن الفضل بن يعقوب لم يتوان عن جهاد البيزنطيين أبدا ٠ ففى ٢٣٨هـ / ٨٥٢ م خرب وأحرق الكثير من مدنهم بصقلية مثل « قطانية وسرقوسة ونوطس ورغوس وبثيرة » وغنم الكثير ٠ كذلك فتح الكثير من حصونهم سنة ٢٤٢ هـ (٢١٧) / ٨٥٦ م وهى السنة التى تخلت فيها ثيودورا عن مقاليد الحكم ، كما سنرى ٠

ولاستكمال بقية الجبهة الأوروبية نجد أن حكومة ثيودورا قد أجبرت على ارسال حملة لمهاجمة السلاف المتنعين عن دفع الضرائب فى جنوب بلاد اليونان ٠ وبمساعدة القوات العسكرية فقط لكل من الثيماتا التراقية والمقدونية « والمقاطعات العسكرية الغربية الأخرى » نجح قائد البلوبونيز (ثيوكتيستوس بيرنيوس (Theoctistus Byrennus بعد صراع طويل على ارغام قبائل السلاف بالبلوبونيز على الخضوع للسيادة البيزنطية وارغامهم على دفع ضريبة (٢١٨) ٠ وبذلك أعيد سلاف البلوبونيز الى النظام كخطوة تمهيدية لاعادتهم للهلينيستية (٢١٩) ٠

أما من ناحية الجبهة الافريقية ـ ونخص بالذكر مصر ـ فيعتبر استيلاء الأسطول البيزنطى على دمياط ٨٥٣ م / ٢٣٨ هـ من أهم أحداث فترة وصاية ثيودورا بمساعدة اللغثيت ثيوكتيستوس لها ٠

ولكن كيف برزت جهود بيزنطة فى تلك الفترة فى مجال بعيد عن حدودها آنذاك ، وهو مصر ، ولماذا مصر بالذات ؟

وللاجابة على هذا السؤال نود أن ننوه بالدور الهام لثيوكتيستوس فى تلك الفترة والى دور جزيرة كريت فى تحريك ذلك الغزو البحرى لمصر ٠

---

(٢١٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٦٨ ٠

(٢١٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ٢٨٩ ٠

218. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 222.

219. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 253.

http://www.al-maktabeh.com

ففى مستهل وصاية ثيودورا وبالتحديد ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ أعيد فتح كريت · فقد قرر المسئولون فى القسطنطينية ارسال حملة اليها لاستردادها من المسلمين ، وبالفعل أبحرت تلك الحملة فى ١٨ مارس ٨٤٣ م ـ جمادى الثانى ٢٢٨ هـ بقيادة ثيوكتستوس فنزل بقولته على أرض الجزيرة وقاتل بشجاعة وأحرز انتصارا على المسلمين الذين فوجئوا بهذه الحملة ، فى الوقت الذى كان فيه أسطولهم يقوم بالاغارة على للبحر الايجى (٢٢٠) ·

عند ئذ رأى مسلمو كريت أنه من الممكن أن يتغلبوا على ضعف امكانيلتهم العسكرية باللجوء الى الحيلة ، وذلك بأن رشوا أحد الضباط البيزنطيين وأوغروا اليه أن يشيع فى معسكره أن الامبراطورة ثيودورا عزلت ثيوكتيستوس من مجلس للوصاية وأنها اختارت أحد منافسيه ليحل محله · عند ئذ سرت تلك الاشاعة فى المعسكر البيزنطى حتى وصلت الى ثيوكتيستوس نفسه ، فخشى على منصبه وترك جيشه وأسطوله بكريت وأسرع بالعودة الى القسطنطينية (٢٢١) ·

واذا كان هناك رأى يذكر أن ثيوكتيستوس ترك قيادة القوات البيزنطية عند ئذ بالجزيرة لقائد آخر هو Sergius Nicetiates (٢٢٢) فان (موناخوس) يؤكد أن الاضطراب والفوضى شاعت فى الجيش البيزنطى الذى أصبح بدون قائد ، فتشتت وتبعثرت قواته ، عندئذ أوسعه المسلمون تقتيلا وأسرا كما دمروا الأسطول البيزنطى تدميرا تاما (٢٢٣) ·

واذا كان الرأى المؤيد لثيوكتيستوس يعود مرة أخرى ليقول ان استعادة كريت فى ذلك الوقت « لم يكن مجرد اشارة الى حادث عابر غير مثمر ، بدليل وجود قائمة بأسماء موظفين ترجع الى عهد ميخائيل وثيودورا ، مما يدل على أن كريت كانت تحت الحكم البيزنطى آنذاك » (٢٢٤) · الا أننا

---

(٢٢٠) د · اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٨٦ · عن (موناخوس Monachus)

(٢٢١) د · اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٦ ـ ٨٧ · عن (موناخوس) ·
222. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 106.

(٢٢٣) د · اسمت غنيم : للرجع السابق ، ص ٨٧ ·
224. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 106.

مكتبة المهتدين الإسلامية

نرجح أنه ربما ترجع تلك القائمة الى أيام ثيودورا وميخائيل فعلا ، لكن في فترة تالية ٠

ونؤيد هنا الرأى الذى يقول أن ثيوكتيستوس باهتمامه بمصالحه الشخصية أضاع على بيزنطة فرصة استرداد كريت وتسبب فى اخفاق تلك الحملة وتكبيد الدولة خسائر فادحة مادية وبشرية (٢٢٥) ٠

وبالرغم من ذلك ظل ثيوكتيستوس يباشر سلطاته كما هى ولم يفقد حظوته لدى الامبراطورة ثيودورا (٢٢٦) ٠

ولما كان العرب الأندلسيون فى كريت ، لا يزالون يعرقلون سبل تجارة الروم ويهددون جزر بحرابجة وشواطئه بالقرصنة ، لذلك أمرت ثيودورا بالاغارة على سواحل مصر لتخريب ما فيها من دار صناعة بحرية هامة ـ ترسانة لصناعة السفن ـ كانت تزود عرب كريت بالسفن والعتاد وأحيانا بالرجال (٢٢٧) ٠

كان هذا هو أحد أسباب حملة البيزنطيين البحرية على مصر ٨٥٣م / ٢٣٨ هـ ٠ ويضاف الى ذلك سببا آخر هام هو رغبة كل من ثيوكتيستوس وثيودورا فى الانتقام لما أنزله أهل كريت بحلة ٨٤٣ م / ٢٢٨ هـ ، لكن الضربة لم تكن موجهة تلك المرة الى كريت وانما الى مصر ، نظرا للرابطة القوية التى كانت تربط أهالى كريت بحكّام مصر (٢٢٨) ٠

والمعروف أن كريت كانت أحيانا تتبع البيزنطيين وأحيانا أخرى كانت

---

(٢٢٥) د ٠ اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٧ ٠ عن (موناخوس) ٠

(٢٢٦) د ٠ اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٧ ٠ عن (فازيلييف : العرب والروم ، (Ostrogorsky

(٢٢٧) أسد رستم : الروم ، جـ ١ ص ٣٣٤ ٠ كان الأندلسيون قد رحلوا الى كريت من الاسكندرية (اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت ٠٠٠ ص ٤١) ، د ٠ العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٩١ ،
(L. Bréhier : Vie el Mort de Byzance, p. 128)

(٢٢٨) اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت ، ص ٨٨ ٠

http://www.al-maktabeh.com

تتبع الخلافة العباسية ، وفى فترات تبعيتها للطرف الأخير كانت كريت فى التقسيم الادارى للدولة العباسية تتبع اقليم مصر (٢٢٩) ٠

كانت كريت تمد مصر « بالعسل النحل والجبن » (٢٣٠) كذلك كانت « تصدر الى مصر وسوريا الأخشاب وزيت الزيتون » (٢٣١) والراجح أن مصر استخدمت تلك الأخشاب فى دار صناعتها لصناعة السفن ، التى كانت ترسل منها عددا الى كريت ، كما كانت تمدها أيضا بالسلاح والعتاد الحربى (٢٣٢) وكل ما يدعم حكامها (٢٣٣) ٠

ويقال أن السبب المباشر لتوجيه حملة الى سواحل مصر فى ذلك الوقت (٨٥٣ م / ٢٣٨ هـ) ما وصل الى المسئولين البيزنطيين من أن هناك كمية من السلاح موجودة بمدينة دمياط (٢٣٤) أراد المصريون حملها « الى أبى حفص صاحب اقريطش » (٢٣٥) ٠

فتوجه أسطول بيزنطى الى مصر ، وهنا تجمع غالبية المصادر العربية على أنه كان مكونا من « ثلثمائة مركب » (٢٣٦) بينما يذكر اليعقوبى أن عدده كان « خمسة وثمانين مركبا » (٢٣٧) ٠ والراجح أن اليعقوبى كان يقصد هنا عدد الجزء من الأسطول الذى بدأ الهجوم ٠ أما ابن خلدون فيذكر

---

(٢٢٩) اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٤١ ، ٤٥ عن (النعمان : المجالس والمسايرات ، لوحة ٤١٦ مخطوط) ٠

(٢٣٠) اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٨ ٠

231. William H. Mcneill : A World history, p. 42.

232. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 713

اسمت غنيم : المرجع السابق ص ٨٨ ٠

233. G. Ostrogorsky : Op. ct., p. 222.

(٢٣٤) اسمت غنيم : المرجع السابق ، ص ٨٨ ، ٨٩ ٠

(٢٣٥) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ص ١٩٤ ٠ (دار المعارف) ٠

(٢٣٦) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٣ ، ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ (ادارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧ هـ ، ص ٢٩٢ ، اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٢ ، ص ١٢١ ، الذهبى : دول الاسلام ، جـ١ ، ص ١٤٤ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٨٩ ٠

(٢٣٧) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص ٤٨٨ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

أن عدده كان « مائة مركب » (٢٣٨) · وكان الأسطول بقيادة ثلاثة من القادة البيزنطيين البحريين ، أشـــــار اليهم الطبرى باسم « عرفا وابن قطونا وأمردناقه » (٢٣٩) ، أما ابن الأثير فيذكر فقط أن الأسطول كان بقيـــادة « ثلاثة رؤساء » (٢٤٠) ·

واذا كان اليـــوم الذى حدد للهجوم على دميـــاط هو ٢٢ مايو ٨٥٣ م (٢٤١) / ٩ ذى الحجة ٢٣٨ هـ (٢٤٢) ، فان ذلك يدل على مهارة تدبير الادارة البيزنطية (٢٤٣) · فقد كان والى مصر فى ذلك الوقت هو عنبسة بن اسحاق (٢٤٤) الضبى آخر والى عربى تقلد أزمة الحكم فى مصر · وذلك فى عهد الخليفة المتوكل العبـــــاسى (٨٤٧ ـ ٨٦١ م / ٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) (٢٤٥) ·

وعلى ذلك فقد تصادف ذلك الهجوم مع خلو دمياط من حاميتها ، وقد

---

(٢٣٨) ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٧٧ ·

(٢٣٩) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٣ ·

(٢٤٠) ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢ ·

241. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 106,

أسد رستم جـ١ ، ص ٣٧٥

(٢٤٢) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ · حيث يذكر أن ذلك كان يوم عرفه ·

وهنا أخطأ أحد المراجع الأجنبية فى القول بأن تلك الحملة كانت فى عهد ميخائيل الثالث وأنها كانت فى عيد وفاء النيل ·

(Larousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History, p. 282)

(٢٤٣) د · العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٩٢ ·

(٢٤٤) ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢ · (ادارة الطباعة المنيرية ١٣٥٧ هـ) (هو عنبسه بن اسحاق بن شمر بن عبسى بن عنبسه الأمير أبو حاتم · وقيل أبو جابر، وهو من أهل هراه ـ وهى من امهات المدن الخرسانية ـ ولى امرة مصر بعد عزل عبد الواحد بن يحيى عنها · فلما ولى عنبسه مصر أمر العمال برد المظالم وخلص الحقوق وأنصف الناس غاية الانصاف وأظهر من الرفق والعدل بالرعية والاحسان اليهم ما لم يسمع بمثله فى زمانه) عن (ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٣ ـ ٢٩٤) ·

(٢٤٥) د · العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٩١ ·

http://www.al-maktabeh.com

علل سبب ذلك بسببين ، الأول أن عنبسة بن اسحاق أمر الجند الذين بدمياط أن يحضروا الى الفسطاط عندما اقترب العيد « ليتجمل بهم فى العيد » (٢٤٦) والسبب الثانى أن عنبسة أراد « ظهور ولديه يوم العيد حتى يجمع بين العيد والفرح » واحتفل بتلك المناسبة احتفالا كبيرا حتى بلغ به الأمر أن أرسل الى ثغرى دمياط وتنيس فأحضر « سائر من كان بهما من الجند والخرجية والزراقين » وكذلك من كان بثغر الاسكندرية من المذكورين (٢٤٧) . والراجح أن السببين تضافرا معا على اخلاء دمياط من « مسلحتها » (٢٤٨) على حد تعبير ابن خلدون . وأن تلك الحامية استدعيت للاشتراك فى عرض حربى فى الفسطاط ، رغب الوالى أن يجعله أكبر عرض حربى ممكن (٢٤٩) .

ومهما يكن من أمر فان موقع دمياط سهل على البيزنطيين العبث والتخريب فيها على نحو كبير . فدمياط العصور الوسطى تختلف عن دمياط الحالية التى تقع على الضفة اليمنى لمصب فرع دمياط ، على بعد اثنى عشر كيلو مترا من البحر المتوسط ويفصلها عن بحيرة المنزلة شريط أرضى اتساعه كيلو متر واحد ويستدل من أقوال الجغرافيين العرب فى العصور الوسطى أن دمياط كانت تقع على قطعة أرض مستطيلة تمتد بين مصب فرع دمياط والبحر المتوسط ، كما أن الشريط الأرضى الذى يفصلها عن بحيرة المنزلة كان من ضيق المسافة بدرجة جعلت مياه الفيضان تعلو عليه وتغمره حتى تبدو دمياط كأنها جزيرة منعزلة فى الماء (٢٥٠) .

هاجم البيزنطيون دمياط « فقتلوا من أمكنهم قتله من الرجال ، وأخذوا

---

(٢٤٦) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ .

(٢٤٧) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ .

الخرجية جامعى الخراج . الخرج ضد الدخل (مختار الصحاح للامام محمد بن أبى بكر الرازى ـ دار التراث العربى للطباعة والنشر ص ١٧٢ حرف الخاء والراء) أما الزراقين أى الذين يطعنوا بالمزراق وهو رمح قصير . زرقه بالرمح زرقا من باب قتل وطعن . (المصباح المنير للمقرى الفيومى جـ١ ، المطبعة الاميرية ص ٢٧٠) .

(٢٤٨) ابن خلدون : العبر ، جـ٣ ، ص ٢٧٧ .

(٢٤٩) د . اسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٣٥ . عن (فازيلييف) . د . العدوى: الامبراطورية البيزنطية ... ، ص ٩٢ .

(٢٥٠) د . العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٩٢ . عن صورة الارض لابن حوقل ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

من الأمتعة والقند والكتان ما كان عبى ليحمل الى العراق » (٢٥١) ٠

هنا يبين اليعقوبى فى تاريخه فداحة الخسائر البشرية حين يقول أن عدد سبايا البيزنطيون « من المسلمات الفا وثمانمائة وعشرين امرأة ومن نساء القبط الف امرأة ومن اليهود مائة امرأة » (٢٥٢) ٠ وهو رأى انفرد به اليعقوبى ونحن نرجحه لأنه أقدم من الطبرى الذى أخذت عنه غالبيـــة المصادر العربية الأخرى حين قال أن عدد السبايا بلغ حوالى « ستمائة امرأة » (٢٥٣) وأن عدد المسلمات منهم حوالى « مائة وخمس وعشرون امرأة » (٢٥٤) ٠

كذلك استولى البيزنطيون على السلاح الذى كان بدميـــــاط (٢٥٥) واستولوا على السقط (٢٥٦) ، كما أحرقوا خزانة القلوع وهى شرع السفن، وأحرقوا المسجد الجامع بدمياط والكنائس (٢٥٧) ٠ عندئذ تهارب الناس « فغرق فى البحر نحو الفين (٢٥٨) ٠

ورغم ما أبداه بعض أهالى دمياط من شجاعة نادرة فى قتال البيزنطيين، الا أن ذلك لم يغير من نتيجة تلك الغارة التى رجحت فيها كفة البيزنطيين ٠ فقد كسر بسر بن الأكشف ـ الذى كان قد حبس بأمر عنبسة ـ قيوده بواسطة

---

(٢٥١) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ٠ والمقصود بالقند هنا عسل قصب السكر (مختار الصحاح للرازى ـ دار التراث العربى ص ٥٥٢ حرف القاف والنون) ٠

(٢٥٢) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص ٤٨٨ ٠

(٢٥٣) الطبرى : المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ، السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٧ ـ ٣٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢ احداث ٢٣٨ هـ ، اليافعى : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، جـ٢ ، ص ١٢١ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص ٨٩ ٠

(٢٥٤) الطبرى : تاريخه ، جـ ٩ ، ص ١٩٤ ٠

(٢٥٥) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص ٤٨٨ ، الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢ ٠

(٢٥٦) اليعقوبى : نفس المصدر والصفحة ٠ والسقط أى المتاع (مختار الصحاح للرازى ص ٣٠٤ حرف السين والقاف) ٠

(٢٥٧) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ٠

(٢٥٨) اليعقوبى : تاريخه ، جـ٢ ، ص ١٩٤ ٠

http://www.al-maktabeh.com

عدد من أعوانه ، وخرج يقاتل البيزنطيين هو وجماعة آخرين ، وبالفعل قتل عدد منهم (٢٥٩) ٠

هنا يذكر المؤرخ اليعقوبى أن الهجوم البيزنطى على دمياط استمر « يومين وليلتين » (٢٦٠) بينما تذكر بعض المصادر العربية الأخرى أن البيزنطيين ولوا مسرعين فى البحر (٢٦١) ٠ هنا ينفرد أبو المحاسن بتفسير اسراع البيزنطيين فى مغادرة دمياط بقوله أن ابن الأكشف « هزمهم وأخرجهم عن دمياط فنزحوا عنها منهزمين » (٢٦٢ ٠

والواقع أن البيزنطيين بما أحدثوه فى دمياط كانوا هم المنتصرين لكنهم لم يكن فى مخططهم البقاء أكثر من ذلك فى المدينة لأن هدفهم كما مر بنا كان الاستيلاء على كل ما يمكن أن يرسل الى كريت لتتقوى به ضدهم ٠ وعلى ذلك توجهوا بعد ذلك الى أشتوم تنيس (٢٦٣) ٠

وقبل أن نسترسل فى الحديث عن مصير الحملة البيزنطية بعد مغادرتها دمياط ، نود أن نشير الى أنه رغم كل ما أحرزه البيزنطيون من وراء تلك الحملة ، ورغم تحقيقهم للغرض الأساسى من توجيهها الا أن غالبية المصادر البيزنطية صمتت تماما عن الاشارة اليها ٠ وكل ما عثرنا عليه من اشارات عن تلك الحلمة فى المصادر والمراجع الأجنبية قليل جدا ٠ فمثلا (أستروجورسكى) اكتفى بالاشارة الى نتيجة الحملة بايجاز بقوله « أن دمياط دمرت وحرقت تماما » ، ثم عقب على الحملة ككل بقوله أنه « لأول مرة يتجاسر البيزنطيون بالمخاطرة بعيدا فى صراع بحرى » (٢٦٤) ٠ أما

---

(٢٥٩) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥ ٠

(٢٦٠) اليعقوبى : تاريخه ؛ جـ٢ ، ص ٤٨٨ ٠

(٢٦١) السيوطى : تاريخ الخلفاء ، ص ٣٤٨ ، أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٢ ، اليافعى ، مرآة الحنان وعبرة اليقظان ، جـ٢ ، ص ١٢١ ٠

(٢٦٢) ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ ٠

(٢٦٣) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٢٠ ويسميها ابو المحاسن : النجوم الزاهرة ، جـ٢ ، ص ٢٩٥ (اشمون تنيس) ٠

264. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 222.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(بربيه) فقد ذكر « أن الحملة البيزنطية البحرية على دمياط أسفرت عن نهب وحرق المدينة » (٢٦٥) ٠

كذلك أشار أحد المراجع الأجنبية بايجاز الى نتائج تلك الحملة بقوله « أن الأسطول استولى على دمياط وأحرقها وقتل عددا من الأهالى وأخذ الباقيين أسرى ثم استولى على مخازن السلاح والمؤن » (٢٦٦) ٠ كما أشار مرجع مشابه الى أن البيزنطيين قد استولوا على دمياط فى ٢٢ مايو ٨٥٣م ، وأن ذلك قد ورد بدون شك فى مصدرين عربيين مهمين وأنهما عززا حديثا بأوراق بردى تم كشفها (٢٦٧) ٠

والواقع أننا لا ندرى أى مصدرين عربيين يقصد ذلك المرجع الحديث ، من بين الحشد السابق للمصادر العربية كذلك لم يورد شيئا عن الأوراق البردية التى ذكرها ، هذا بالاضافة الى أنه ذكّر أن حملة مايو ٨٥٣ م انتهت بالاستيلاء على دمياط ، لكن الحقيقة أن البيزنطيين لم يستقروا فيها بعد تدميرهم وتخريبهم لها مما لا يعطيها صفة الفتح المستقر الثابت ٠

لكن الغارة على دمياط حققت هدفها فى الانتقام لهزيمة ثيوكتيستوس التىلحقت به من مسلمىكريت ٨٤٣م (٢٦٨) /٢٢٨هـ ، كما فوتت على مسلمى كريت فرصة الاستفادة من السلاح والمعدات التى قد يحصلوا عليها من مصر٠ ورغم هذا كله ـ وكما رأينا ـ نلاحظ أن غالبية المصادر التى أمدتنا بالمعلومات عن تلك الحملة كانت مصادر عربية لا بيزنطية ٠ وليس هذا بالشىء المستغرب، فقد تعرض تاريخ الأسرة العمورية للكثير من التشويه ، ولاخفاء كثير من الانتصارات التى حققها أباطرة تلك الأسرة (٢٦٩) ٠

والواقع أن روح الحقد والحسد نجحت عبر القرون فى حرمان عهد ثيودورا وثيوكتيستوس وسرجيوس ، « من مجرد اسمه الذى يجعله مشهورا » ذلك العهد الذى وصف فى غالبيته بأنه « عهد حكم القديسين » (*) ٠

---

265. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 128.

266. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 713, (M. Canaard)

267. Cam. Med. Hist. V. IV Part I, p. 106. (The late H. Grégorie)

عن

عز

(٢٦٨) د ٠ اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، جـ٩١ ٠

(٢٦٩) د ٠ اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية ٠٠٠ ، ص ٨٩ ٠

* Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 107.

http://www.al-maktabeh.com

والواقع ان أحد جوانب القصور الخطيرة فى المؤرخين البيزنطيين المحدثين ، هو المدى الواسع الذى سمحوا فيه لأنفسهم أن يخدعوا بواسطة مصادر غيرت تغييرا فعليا بواسطة مؤرخين أرخوا لمصلحة الأسرة المقدونية، وكان على رأسهم الامبراطور قنسطنطين بورفيرو جينيتوس نفسه (**) ٠

نعود مرة أخرى لنتتبع ما حدث للحملة البيزنطية بعد تركها دمياط ٠ فنجد أنها اتجهت شرقا لمهاجمة تنيس ، وهى جزيرة فى بحيرة المنزلة تقع بين الفرما ودمياط ٠ ولكن التيار أفسد خطة البيزنطيين الذين تخلوا عن متابعة السير نحوها خشية أن تجنح سفنهم الى الرمال ٠ ومن ثم اتجهوا الى اشتوم التى لا تبعد كثيرا عن تنيس (٢٧٠) « بينها وبين تنيس أربعة فراسخ وأقل » (٢٧١) وكانت مركزا حصينا له سور وأبواب حديدية كان المعتصم قد أقامها ، فاقتحم البيزنطيون ذلك الحصن (٢٧٢) ٠ وأحرقوا ما كان به من الآلات الحربية (٢٧٣) من « المجانيق والعراوات » (٢٧٤) وأخذوا بعض الأبواب الحديدية وأبحروا عائدين الى بلادهم قبل أن تصل الامـــدادات الاسلامية من داخل البلاد (٢٧٥) ٠

وفى العام التالى ٨٥٤م / ٢٤٥ هـ عاد الأسطول البيزنطى مرة أخرى الى دمياط ، ربما بدافع الرغبة فى منع اعادة بناء السفن المصرية وتعويق أعمال الاصلاح التى كانت قد بدأت بأمر الخليفة ، وظلوا حوالى شهرا ينهبون كل ما تصل اليه أيديهم (٢٧٦) ، لكن بدون جدوى ٠

كذلك يقال أن جزيرة قبرس الهامة كانت فى أيدى البيزنطيين فى فترة حكم ميخائيل الثالث وثيودورا (٢٧٧) ٠

** Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 105.

(٢٧٠) د ٠ العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٩٣ ٠

(٢٧١) الطبرى : تاريخه جـ٩ ، ص ١٩٤ ٠

(٢٧٢) د ٠ العدوى : نفس المرجع السابق ، ص ٩٣ ٠

(٢٧٣) د ٠ العدوى : نفس المرجع ، ص ٩٣ ، أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٢٣٥ ٠

(٢٧٤) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٩٤ ـ ١٩٥ ٠

(٢٧٥) د ٠ العدوى : نفس المرجع السابق ، ص ٩٣ ٠

276. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 713. عن (M. Canard)

277. Cam. Med. Hist V. IV, Part I, p. 107

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما عن علاقة البيزنطيين بالمسلمين فى منطقة الثغور البرية على حدود الدولتين فى الجبهة الآسيوية فى فترتنا هذه ـ فترة ميخائيل وثيودورا ـ فأهمها ذلك الفداء الذى تم بين البيزنطيين والمسلمين واستعاد فيه كلا الطرفين أسراه . وهنا أيضا نجد التفصيل الوافى لذلك الموضوع فى المصادر الشرقية والعربية لا البيزنطية ، فيعطينا كل من الطبرى وابن العبرى مثلا صورة واضحة عن ذلك الموضوع .

واذا كان ابن العبرى يذكر أن الروم أرسلوا « سفيرا عنهم للعرب للتفاوض فى موضوع الهدنة وتبادل الأسرى » (٢٧٨) أى أنه لم يحدد بوضوح شخصية الامبراطور البيزنطى فى ذلك الوقت ، فاننا نجد الطبرى يذكر أن الخليفة الواثق (٢٧٩) تلقى « رسل صاحب الروم ـ وهو ميخائيل بن توفيل بن ميخائيل بن اليوم بن جورجيس ـ يسأله أن يفادى بمن فى يده من أسارى المسلمين (٢٨٠) ولكن من الممكن أن الطبرى اعتمد على أنه ذكر فى احداث ٢٢٧ هـ أن (تذورا) ملكت بعد زوجها (توفيل) ومعها ابنها ميخائيل الذى كان فى ذلك الوقت « صبيا » (٢٨١) . أى أنه يفهم ضمنا أن سفير الروم مبعوثا من طرف ثيودورا ـ الوصية على ابنها ـ وعلى ذلك يتفق الطبرى وابن العبرى فى أن البيزنطيين هم الذين طلبوا الصلح وتبادل الأسرى .

وقد نقل لنا ابن العبرى صورة مفصلة لما دار بشأن هذا الفداء (٢٨٢) ذلك أنه حدث فيه جدال طويل فى البداية بعد أن رفض الروم أن يأخذوا فى الفداء « امرأة عجوزا ولا شيخا كبيرا ولا صبيا » (٢٨٣) ولكن فى النهاية رضخوا للأمر الواقع .

وقد تولى أمر الفداء من جانب المسلمين الأمير خاقان الخادم ، وتم فداء

---

278. The Chronography of Bar Hebracus, V. I, p. 140.

(٢٧٩) الواثق بالله بن المعتصم تولى من ١٨ ربيع الاول ٢٢٧ هـ (زاميور : معجم الانساب ، ص ٣) وتوفى (٦ بقين من ذى الحجة ٢٣٢ هـ) عن القلقشندى . مآثر الأناقة ، جـ١ ، ص ٢٢٥ .

(٢٨٠) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٩ أحداث ٢٣١ هـ .

(٢٨١) الطبرى : نفس المصدر ، ص ١٢٣ أحداث ٢٢٧ هـ .

(٢٨٢) ملحق رقم (٢) .

(٢٨٣) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٢ أحداث ٢٣١ هـ .

http://www.al-maktabeh.com

الأسارى المسلمين فى المحرم ٢٣١ هـ (٢٨٤) وبتحديد أكثر يوم « عاشوراء لعشر خلون من المحرم سنة احدى وثلاثين ومائتين » (٢٨٥) ٠ ١٧ سبتمبر ٨٤٥ م (٢٨٦) ٠

اجتمع البيزنطيون بقيادة « انقاس ولمسنوس » كما أسماهما الطبرى ٠ وكذلك المسلمون والمطوعة « فى أربعة آلاف بين فارس وراجل » (٢٨٧) على نهر اللامس (٢٨٨) ٠

كان المسلمون يقفون فى الجانب الشرقى للنهر والروم فى الجانب الغربى ٠ وقيل أن تبادل الأسرى تم بأحد أسلوبين أولهمـــا : أن الأسرى اخترقوا النهر فى ذلك الموضع وكان على شكل مخاضـــــة ٠ « فكان هؤلاء يرسلون من هاهنا رجلا وهؤلاء من هاهنا رجل ، فيلتقيان فى وسط النهر ، فاذا صار المسلم الى المسلمين كبر وكَبروا ، واذا صار الرومى الى الروم تكلم بكلامهم ، وتكلموا شبيها بالتكبير » (٢٨٩) ٠ والثانى ونحن نميل الى تأييده وهو لا يشير الى وجود مخاضة فى النهر وأن المسلمون عقدوا جسرا على النهر وعقد الروم جسرا ، فكان المسلمون يرسلون الرومى على جسرهم ويرسل الروم المســـــــلم على جسرهم فيصير هذا الى المسلمين وذاك اليهم (٢٩٠) ٠

ويقال أنهم استمروا على هذا الحال أربعة أيام تم فيها استبدال نفس

---

(٢٨٤) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٠٣ ٠

(٢٨٥) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٣ أحداث ٢٣١ هـ ٠

(٢٨٦) اعتمدنا فى ضبط التواريخ على زامبور - معجم الانساب ، ص ٥٢٥ ٠

(٢٨٧) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٣ ٠

(٢٨٨) الطبرى : نفس المصدر والصفحة ، ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٧٥ احداث ٢٣١ هـ (دار الفكر بيروت ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ م) ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ١٠ ، ص ٣٠٧ ٠

واللامس هو نهر سلوقية الذى يعتبر على حدود طرسوس ٠
(The Chronography of Bar Hebracus, V. I, p. 140)

(٢٨٩) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٣ ـ ١٤٤ أحداث ٢٣١ هـ ٠

(٢٩٠) الطبرى : نفس المصدر ص ١٤٤ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

بنفس ، ثم « بقى مع خاقان جماعة من الروم الأسارى فأطلقهم للروم حتى يكون له الفضل عليهم » (٢٩١) ٠

وقد اختلف فى عدد أسرى المسلمين الذين تم فداءهم فى ذلك اليوم ، فالبعض ذكر أنهم كانوا أربعة آلاف وثلثمائة واثنين وستين (٢٩٢) ، والبعض الآخر ذكر أنهم كانوا يتراوحون بين أربعة آلاف وأربعمائة وستين أو أربعة آلاف وستمائة (٢٩٣) ٠ ولكن المتفق عليه أنه تم فداء جميع من كان فى بلاد الروم من المسلمين (٢٩٤) ٠

والواقع أن الخليفة الواثق بذل كل ما فى وسعه كى يفتدى جميع أسرى المسلمين آنذاك ٠ فلما كان عدد الأسرى كبيرا لذلك اشترى من بغداد ، بل ومن كل أطراف بلاده الرقيق من المماليك سواء الذكور أو الاناث الذين يرجعون الى أصول رومية (٢٩٥) ٠ ولما لم يكتمل العدد المطلوب لفداء أسرى المسلمين فقد استغنى الواثق عن بعض « وصيفات قصره اللائى كان قد اختارهن من بلاد الروم » (٢٩٦) ٠ وفى رأى آخر أنه « أخرج من قصره النساء الروميات العجائز » (٢٩٧) ٠ حتى اكتمل العدد المطلوب للفداء ٠

وثمة نقطة هامة أيضا بالنسبة لهذا الفداء وهى أن الواثق طلب امتحان الأسرى المسلمين الذين بيد الروم فى خلق القرآن « فمن قال القرآن مخلوق وأن الله يرى فى الآخرة فودى به ، ومن أبى ذلك ترك فى أيدى الروم » (٢٩٨)

---

(٢٩١) الطبرى : نفس المصدر والصفحة . ابن كثير : نفس المصدر والصفحة ٠
292. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 140

ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٠٣ احداث ٢٣١ هـ ٠

(٢٩٣) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٣ ٠

(٢٩٤) الطبرى : نفس المصدر ، ص ١٤٣ ٠
295. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 140.

ابن الأثير : الكامل جـ٥ ، ص ٢٧٥ أحداث ٢٣١ هـ (دار الفكر بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨ م) ٠

296. The Chronography : Ibid, V. I, p. 140.

(٢٩٧) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٢ ٠

(٢٩٨) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٤٢ أحداث ٢٣١ هـ ٠ هنا أخطأ ابن العبرى عندما ذكر عكس ذلك تماما ، أو ربما كان الخطأ نتيجة للترجمة ، ولو أن النص صريح حيث ذكر « أن الواثق أمر سفراءه بأن يسألوا الأسرى العرب أولا هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق ؟ فمن قال (غير مخلوق يفتدى ومن قال أنه (مخلوق) يترك فى ايدى الروم » ٠
(The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 140)

http://www.al-maktabeh.com

وقد علق ابن كثير على موقف الواثق الشاذ هنا بقوله : « هذه بدعة صلعاء شنعاء عمياء لا مستند لها من كتاب ولا سنة ولا عقل صحيح بل الكتاب والسنة والعقل الصحيح بخلافها كما هو مقرر فى موضعه » (٢٩٩) ٠

هنا نتوقف قليلا لنعطى نبذة موجزة عن تلك المسألة التى بلبلت وشتتت الفكر الاسلامى فترة من الزمن ، وذلك لاستكمال العرض التاريخى وحتى لا يدفعنا التوسع فى عرضها الى الخروج عن موضوعنا الأصلى ٠

وأول من أظهر القول بخلق القرآن هو الخليفة المأمون ، وذلك سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ٠ وكانت تلك المسألة من أهم النقاط التى هوجم بهـــا عهده « كانت مقاصد المأمون كلها جميلة ، خلا مانحا اليه من القول بخلق القرآن والتشيع وبث علوم الفلاسفة بين المسلمين (٣٠٠) ٠

خلف المعتصم فى ١٦ رجب ٢١٨ هـ (٣٠١) أخاه المأمون ٠ وكان الأخير

---

(٢٩٩) ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ١٠ ، ص ٣٠٧ ٠

(٣٠٠) القلقشندى : مآثر الأناقة فى معالم الخلافة ، جـ١ ، ص ٢١٣ ٠ هنا يذكر الدكتور أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، جـ٣ ، ص ١٨٢ : ١٨٦ «أن مسألةخلق القرآن أو محنة خلق القرآن كما اصطلح على تسميتها ، وقف فيها المعتزلة مؤيدين بالمأمون ضد أهل السنة والمحدثين . وكانت المعتزلة تقول بنفى صفات المعانى عن الله تعالى ومنها الكلام ، ٠٠ وكان المعتزلة يؤيدون قولهم بأدلة عقلية وأدلة نقلية ، ولكن أهل السنة والمحدثين عارضوهم باصرار وبدون أدلة قوية يعضدون بها وجهة نظرهم ٠ فتدخل المأمون تدخلا عنيفا واستغل سلطانه ليرغم الناس على القول بخلق القرآن ٠

وقد وضح المأمون المشكلة وموقفه منها فى كتابين أرسلهما وهو بالرقة الى نائبه فى بغداد ـ اسحق بن ابراهيم ـ ومن هذين الكتابين نقتطف ما يلى: ان الله عز وجل يقول عن القرآن : « وجعلناه قرآنا عربيا » وتأويل ذلك أنا خلقناه وقال « وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا » وقال « وجعلنا من الماء كل شىء حى » فسوى عز وجل بين القرآن وبين هذه الخلائق التى ذكرها ٠ فمن كان جاهلا بأمر دينه الذى أمره الله به من وحدانيته فهو بما سواه أعظم جهلا ، ٠٠ وانه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق ٠

وقد تزعم أحمد بن حنبل الفريق الذى عارض فكرة خلق القرآن ، ولكن المطلع على كتب الأدب والتاريخ يدرك أن أحمد بن حنبل وأنصاره لم يدافعوا دفاعا عقليا ولا نقليا عن رأيهم ، ومن أمثلة ذلك أن الواحد منهم كان يقول : ان القرآن مجعول لقوله تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا » فاذا سؤل : هل المجعول مخلوق ؟ أجاب : نعم فاذا قيل له : فالقرآن اذا مخلوق ؟ فرض أن يجيب بالايجاب » ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

قد نصحه أن يأخذ الناس بالقول بخلق القرآن · هنا يفسر لنا الدكتور أحمد شلبى موقف المعتصم بطـــريقة منطقية ولطيفة فى نفس الوقت بقوله « كان المعتصم رجل حرب ، فتلقى هذا التوجيه من أخيه كمايتلقى الجندى أوامر قائده، ونفذه تنفيذا حرفيا ، فكان قاسيا وغليظا » (٣٠٢) ·

ومن دلائل قسوة المعتصم فى هذا الأمر ما قيل من أنه « أحضر الامام أحمد بن حنبل ٢١٩هـ / ٨٣٤ م وامتحنه بالقول بخلق القرآن فامتنع فضربه حتى تقطع جلده وقيده وحبسه » (٣٠٣) ·

وخلف الواثق أباه المعتصم فاستمر بل اشتد فى امتحان الناس بخلق القرآن « وكان يعاقب من امتنع عن القول بخلق القرآن أو برؤية الله تعـــالى فى الدار الآخرة » (٣٠٤) ·

وقد قيل أن الواثق كان من أشد الناس فى القول بخلق القرآن « يدعو اليه ليلا ونهارا ، سرا وجهرا ، اعتمادا على ما كان عليه أبوه قبـله وعمـه المأمون ، من غير دليل ولا برهان ولا حجة ولا بيان ، ولا سنة ولا قرآن» ٣٠٥)

ومن أشهر من امتحنوا فى خلق القرآن زمن الخليفة الواثق أبو يعقوب ابن يوسف بن يحيى البويطى ، أحد أصحاب الامام الشافعى ومات وهو فى الحبس بسبب تلك المسألة سنة ٢٣١هـ (٣٠٦) /٨٤٥ م كذلك قتل أحمد بن نصر الخزاعى فى نفس السنة السابقة أيضا ، وكان من أئمة السنة الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وكان ممن يدعو الى القول بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق (٣٠٧) ·

---

(٣٠٢) د · أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، حـ ٣ ، ص ١٨٦ ·

(٣٠٣) القلقشندى : مآثر الأناقه فى معالم الخلافة ، حـ١ ، ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ ·

(٣٠٤)القلقشندى : نفس المصدر السابق حـ ٢٢٦ ·

(٣٠٥) ابن كثير : البداية والنهاية ، حـ ١ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ ·

(٣٠٦) القلقشندى مآثر الاناقة ···· حـ ١ ، ص ٢٢٧ ، ابو الفدا : المختصر ، المجلد الأول حـ ٣ ص ٤٧ (دار البحار ـ ١٩٥٩ م) ، ابن الوردى : تمته المختصر ، حـ ١ ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ ·

(٣٠٧) ابن كثير البداية والنهاية ، جـ١ ص ٣٠٣ · وقد فصل لنا ابن كثير ما حدث بين الوثاائق وأحمد بن نصر فقد سأله الواثق ما يقول فى القرآن ؟ فقال هو كلام الله · قال أمخلوق هو ؟ قال هو كلام الله · فما تقول فى ربك ، اتراه يوم القيامة ؟ فقال =

http://www.al-maktabeh.com

وعندما تولى المتوكل الخلافة فى ٢٣ ذى الحجة ٢٣٢ هـ (٣٠٨) أبطل ما كان أحدثه المأمون ومن بعده من القول بخلق القرآن (٣٠٩) · وانتصر الى أهل السنة ودالت بذلك دولة المعتزلة » (٣١٠) ·

وقد ظل الوضع على الحدود الاسلامية البيزنطية هادئا لمدة عشر سنوات تقريبا وفجأة هاجم البيزنطيون عين زربة ٨٥٥ م (٣١١) / ٢٤١ هـ فأسروا « من كان بها من الزط مع نسائهم وذراريهم وجواميسهم وبقرهم » (٣١٢) ·

فمن هم هؤلاء الزط وما سبب انتقالهم الى عين زربة ، أو على حد تعبير أحد المراجع الحديثة « سبب نفيهم اليها فى ٨٣٥ م » (٣١٣) ٢٢٠هـ ·

الزط قبيلة أصلها هندى (٣١٤) · أتى بهم الحجاج بن يوسف من السند فقدموا مع أهلهم وأولادهم وجواميسهم فأسكنهم بأسفل كَسكر ، ولكن بعض الفاسدين انضموا اليهم وشجعوهم على قطع الطريق (٣١٥) · وعندما قامت الحروب بين الأمين والمأمون ابنى هارون الرشيد أخذت قبيلتهم تعد نفسها مستقلة تقريبا حتى اضطرت الخلافة أن تحاربهم فقد « انقطع عن بغداد جميع ما كان يحمل اليها من البصرة فى السفن » (٣١٦) · ثم انتصرت الخلافة

= يا أمير المؤمنين قد جاء القرآن والاخبار بذلك · قال الله تعالى (وجوه يومئذ ناضره الى ربها ناظرة) وقال رسول الله (ص) : « انكم ترون ربكم كما ترون القمر لاتضامون فى رؤيته » · (ابن كثير : المصدر السابق ، حـ ١ ، ص ٣٠٤ ·

(٣٠٨) ذامبور : معجم انساب ، حـ ٢ · هو ابو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم ·

(٣٠٩) القلقشندى : مآثر الاناقه ، حـ ١ ، ص ٢٣٠ ·

(٣١٠) د · أحمد شلبى : موسوعة التاريخ الاسلامى ، حـ ٣ ص ١٨٦ ·

311. Cam. Med. Hist, V. IV, Part I, p. 712.

وعين زربه كانت من الثغور

الاسلامية المشهورة وكانت مفتاح الطريق الى سوريا من جهة بلاد الشام ·

(Bréhier : Vie et Mort, p. 161 (Paris 1969)

(٣١٢) الطبرى : تاريخه ، جـ ٩ ، ص ٢٠١ احداث ٢٤١ هـ ·

313. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 712.

(٣١٤) فازيلييف : العرب والروم ، ص ١٩٦ ·

(٣١٥) البلادرى : فتوح البلدان ، ص ٣٦٨ · (مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٩) ·

(٣١٦) البلاذرى : نفس المصدر ، ص ٣٦٨ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

عليهم وأقامت احتفالات كبيرة بهذه المناسبة (٣١٧) . وفى النهـــاية نقل الخليفة المعتصم عددا كبيرا من الزط « الى الثغر الى عين زربة » وذلك بعد يوم عشوراء ١٠ محرم ٢٢٠ هـ (*) . فانتفع أهلها بهم (٣١٨) .

والواقع أن ثيودورا « كانت تنظر الى العرب باحتقار ، ولذلك خرقت الهدنة والسلام » المعقود بين الجانبين وغزت قيليقيا وحولت كل اقليم عين زربة الى العبودية (٣١٩) ، كما أوضحنا .

هنا يذكر ابن العبرى أن ذلك حدث فى ٨٦١ م ، وفى مكان آخر يذكر أن الهجوم على قيليقية وعين زربة تم فى الفترة بين ٨٥١ م ، ٨٦١ م (٣٢٠). الا أننا نرجح أن الهجوم كان ٨٥٥م/ ٢٤١ هـ بمطابقة الحادث بما رواه الطبرى من ناحية (٣٢١) ، ومن ناحية أخرى لأن ثيودورا نفسها لم تكن هى التى تحكم فى ٨٦١ م باعتبار أنها أبعدت عن دفة الحكم ٨٥٦ م (٣٢٢) .كما سنذكر فيما بعد .

وسواء أن الخليفة المتوكل (٨٤٧ ـ ٨٦١م /٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ) ـ بعد سماعه بما حدث لعين زربة ـ هو الذى أرسل ناصف الخصى بسفارة الى ثيودورا ، وذلك بخصوص الهدنة وتبادل الأسرى (٣٢٣) ، أم أن ثيودورا هى التى أرسلت « تطلب الفداء لمن فى أيدى الروم من المسلمين » (٣٢٤) ، فان

---

(٣١٧) فازيلييف : العرب والروم ، ص ١٩٧ .

(*) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ١٠ احداث ٢٢٠ هـ .

(٣١٨) البلاذرى : فتوح البلدان ، جـ١ ، ص ٢٠٣ .

319. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 142.

320. The Chronography of Bar of Hebraeus : Ibid., p. 142.

(٣٢١) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠١ أحداث ٢٤١ هـ .

322. Bréhier : Vie el Mort, p. 116, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 222, Cam. Med. Hist. V. IV, Part, I, p. 108, 713

أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ .

323. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 142.

(٣٢٤) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ . احداث ٢٤١ هـ

Cam. Med. Hist. V. IV, Part, p. 712

http://www.al-maktabeh.com

الأسرى من الجانبين لم يكونا متوازيين بالمرة ، فكانت كفة الأسرى المسلمين لدى البيزنطيين أرجح من كفة الأسرى البيزنطيين لدى المسلمين فيقال أن عدد أسرى المسلمين لدى البيزنطيين كان «حوالى عشرين ألف شخص» (٣٢٥) بينما عدد أسرى البيزنطيين لدى المسلمين كان حوالى تسعمائة وعشرة شخصا « سبعمائة وخمسة وثمانين رجلا ومن النساء مائة وخمسا وعشرين امرأة » (٣٢٦) ٠

هنا أعطانا ابن العبرى صورة فريدة ومؤثرة لما حدث فى ذلك الوقت بين الجانبين ٠ حيث ذكر أنه بوصول سفير المتوكل الى ثيودورا أجابته بأنها موافقة على السلم ولكن كيف يتأتى للمسلمين الحصول على العشرين ألف مسيحى ، المحتمل طلبهم منهم كى يرد البيزنطيون ما بحوزتهم من أسرى المسلمين ٠ عندئذ امتدحها سفير المتوكل الخصى ببعض الكلمات فأطلقت سراح ثمانية آلاف أسيرا مسلما (٣٢٧) ٠

والراجح أن ثيودورا أرسلت سفيرا من قبلها للمفاوضة فى أمر الأسرى أسماه الطبرى « جورجس بن قريافس » (٣٢٨) ٠ وبمعنى أصح هو الذى قام بترجمة المحادثات بين ثيودورا وسفير المتوكل ٠

ولقد تم الاتفاق بين الجانبين على هدنة مبدئة من الخامس من رجب حتى الثالث والعشرين من شوال (٣٢٩) وبالفعل تم الفداء « لاثنى عشرة ليلة خلت من شوال سنة احدى وأربعين ومائتين » (٣٣٠) ٠

واذا دققنا النظر فى هذا التاريخ نلاحظ أن شوال ٢٤١ هـ يقابله فبراير

---

(٣٢٥) الطبرى ٠ نفس المصدر ، والصفحة ،
The Chronography... V. I, p. 142.

(٣٢٦) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٣ أحداث ٢٤١ هـ ، ان الاثير : الكامل جـ٥ ، ص ٢٩٥ (دار الفكر بيروت ١٣٩٨ - ١٩٧٨م) ٠

327. The Chronography, V. I, p. 142.

(٣٢٨) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ أحداث ٢٤١ هـ ٠

(٣٢٩) الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ ٠

(٣٣٠) الطبرى : نفس المصدر ص ٢٠٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٨٥٦ م (٣٣١) . وعلى ذلك فقد أصابت بعض المراجع عندما اشارت أن ذلك الفداء تم ٨٥٦ م (٣٣٢) فى حين أخطأ ابن العبرى عندما كتب أن ذلك تم ٨٦١ م (٣٣٣) .

نعود مرة أخرى الى ما تم بالنسبة لباقى أسرى المسلمين لدى البيزنطيين والبالغ عددهم تقريبا حوالى اثنا عشرة ألف شخصا (٣٣٤) . نجد أن ثيودورا - وفقا لرواية ابن العبرى - أعلنت صراحة « أن الاثنا عشرة ألفا الباقين عمدوا وأنه من المستحيل أن يسلموهم للمسلمين » (٣٣٥) .

ويقال أنه بمجرد رحيل المسلمين الذين تم فداؤهم شعرت ثيودورا أن الباقين كانوا يميلون الى مصاحبتهم والتوجه معهم الى حيث هم متجهون، رغم أنهم كانوا قد اعتنقوا المسيحية بالفعل وتم تعميدهم لذلك « قتلتهم جميعا » (٣٣٦) . بل قيل أن أحد خصيانها المسمى (نيقولا) أو (قنقله) قتلهم بدون أمرها (٣٣٧) .

هنا نجد أن ابن الأثير قد اختلف عليه الأمر فذكر « أن الفداء تم بعد أن قتلت تدورة ملكة الروم من أسرى المسلمين اثنى عشر ألفا » ثم « أرسلت تطلب المفاداة لمن بقى منهم » ، دون أن يعطينا العدد الاجمالى لأسرى المسلمين واكتفى بأنها خيرتهم بين المسيحية والاسلام ، فمن اختار الاسلام قتلته ثم طلبت الفداء للباقى . ولذلك نجد أن رواية ابن العبرى هنا أقرب للصحة أكثر (٣٣٨) .

---

(٣٣١) زامبور : معجم الأنساب ، ص ٥٢٥ .

نفس المصدر السابق ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ أحداث ٢٤١ هـ .

332. Cam. Med. Hist. V. IV, Part, p. 712.

333. The Chronography of Bar Hebraeus, p. 142.

334. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 142.

الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ أحداث ٢٤١

335. The Chronography of Bar Hebraeus..., p. 142.

336. The Chronography Ibid, p. 142

337. The Chronography, Ibid., p. 142.

الطبرى : تاريخه ، جـ٩ ، ص ٢٠٢ احداث ٢٤١ هـ وهو الذى سماه قنقله .

(٣٣٨) ابن الاثير : الكامل ، جـ٥ ، ص ٢٩٥ احداث ٢٤١ هـ (دار الفكر بيروت

http://www.al-maktabeh.com

ومهما كان الأمر فالحقيقة المسلم بها « أن القيادة العسكرية البيزنطية ضد العرب فى فترة وصاية ثيودورا اتصفت بالشجاعة والجرأة والتحدى الى جانب المباغتة » (٣٣٩) ٠

ولقد دام نفوذ ثيودورا وثيوكتيستوس أربعـــــة عشرة عاما ٨٤٢ ـ ٨٥٦ م (٣٤٠) ٠ وفى خلال هذه المدة طرأ تغييرا على عضـــوية مجلس الوصاية ، فأصبح برداس شقيق ثيودورا عضوا فى هذا المجلس (٣٤١) ٠ فنشبت مشادة بينه وبين ثيوكتيستوس كان أهم أسبابها حب السلطة وشهوة الحكم فنشأ انقسام داخلى بين الأعضاء ، أدى الى استقالة عمانوئيل عم الفسيلفس (ثيوفيل) والى سجن ثيوكتيستوس وقتله ٨٥٤م (٣٤٢) ٠ وذلك فى القصر الامبراطورى ، وفى حضور ميخائيل الثالث نفسه (٣٤٣) ٠

وفى ٨٥٦ م قام انقلاب سياسى انتقل بواسطته الحكم الى الامبراطور الشاب ميخائيل الثالث ، وأجبرت ثيودورا على تسليم دفة الحكم ، بينمـا حولت بناتها الى حياة الرهبنة فى أحد الأديرة ، وما لبثت أن شاركتهن نفس المصير (٣٤٤) وجردت من نفوذها كوسيلة وذلك بواســـطة أخيهـــا برداس (٣٤٥) ٠

واذا كانت تلك هى نهاية ثيودورا فان التاريخ لا يمكن أن يغفل آثارها هى واللغتيت ثيوكتيستوس « فى الادارة وفى الشئون المالية التى اتسمت فى عهدهما بالاتزان والمتانة » (٣٤٦) ٠ واذا كان حكم الدولة البيزنطيـة قد

---

339. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 222.

340. Bréhier : Vie et Mort..., p. 116. أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ و

(٣٤١) أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ ٠ وربما كان ذلك هو السبب فى ان (اميل امان) وضعته ضمن أعضاء مجلس الوصاية على ميخائيل الثالث ٠
Emile Amann : Hist. de l'Eglise, n. 6, p. 243.

(٣٤٢) أسد رستم : الروم ، جـ١ ، ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ٠ هنا يضيف انه يقال ان سبب سجن ثيوكتيستوس وقتله وشاية زيفها برداس الى ميخائيل ان الأول عقد النية على الزواج من ثيودورا أو احدى بناتها للوصول الى العرش ٠

343. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 222-223.

344. G. Ostrogorsky : Ibid., pp. 222-223.

345. Cam. Med. Hist. V. IV, Part, I, p. 713.

346. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 253.

مكتبة المهتدين الإسلامية

آل الى ميخائيل الثالث بعد ثيودورا ، فان عهده يعتبر من أشهر عصـــور العظمة ، وذلك لا يرجع الى أن تلك العظمة تكمن فى ميخائيل نفسه بل فى عصره بما حفل به من الشخصيات الفذة مثل برداس وفوطيوس (٣٤٧) ٠

والواقع أنه « بالرغم من مزاج ميخائيل الثالث الديناميتى ، الا أنه أقنع نفســـــه ، بتنفيذ البرنامج الذى سلم اليه بواســـــطة ثيودورا ـ أمه ـ وثيوكتيستوس » (٣٤٨) ٠

ثانيا : المرأة البيزنطية كشريكة فى الحكم

وتمثلها ثيودورا **Theodora** زوجة الامبراطور جستنيان الأول (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) ٠

لما كانت شخصية الامبراطورة ثيودورا من أطرف الشخصيات التى تستحق الدراسة بامعان ، لأن حياتها تعتبر « فريدة فى أغلبها » (٣٤٩) بل انها دائرة معارف نادرة مليئة بالأحداث المثيرة والحلقات المتباينة ـ سواء السياسية أو الدينية أو القانونية أو الاجتماعية ـ التى لم نقرأ عن مثلها فى كافة أطوار التاريخ البيزنطى ٠ وعلى حد تعبير فازيلييف ، كانت ثيودورا « المرأة الأكثر اثارة والأحسن موهبة فى العصر البيزنطى » (٣٥٠) ٠ لذلك رأينا أن نتناولها بشىء من التفصيل وذلك ضمن أقسام هذا البحث المختلفة لنغطى كل أطوار حياة تلك الامبراطورة الخارقة ، التى كان التطرف شعارها، سواء بمحض ارادتها أو بحكم الظروف التى أحاطتها ٠

وكيف لا وهى الامبراطورة التى رفعت من الحضيض والسقوط الى العرش والجبروت ، ثم أنها جمعت فى شخصيتها بين الحب الجارف والعاطفة الجياشة وبين القسوة البالغة ثم بين التردى والرذيلة وبين التقوى والورع ، بين الفقر المدقع والغنى الذى وصل أحيانا الى حد الجشع فى جمع المال ٠

---

347. G. Ostrogorsky : Op. cit., 223.

وهو يضيف هنا أنه فى عهد ميخائيل الثالث

أصبح برداس هو الحاكم الفعلى كما كان ثيوكتيستوس على عهد ثيودورا ٠

348. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 108.

349. C.W. Privite Orton : Op. cit., V. I, p. 187.

350. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire Byzantine, T. I, p. 172.

http://www.al-maktabeh.com

وبذلك كانت حياتها اسطورة فريدة خلدها وأحياها حب زوجها الجارف ، الامبراطور جستنيان ٠

لذلك يجدر بنا أن نتعرف عن قرب على البداية المبكرة لحياتها لما لها من آثار بعيدة المدى على حياتها بعد ذلك ٠

وثمة رأى يذكر أن عبث جستنيان قبل اعتلائه العرش الامبراطورى أدى به الى مختلف الأحياء والبيوت بالقسطنطينية للبحث عن زوجة فى أزقة تلك الأحياء ، وفى النهاية عثر على « امرأة دلت على انها جوهرة غالية » (٣٥١)، تلك هى ثيودورا التى كان أبوها (أكاكيوس Acacius) قبرصيا يشتغل بترويض الدببة للعب القسطنطينية (٣٥٢) وقد اشتق لقبه من مهنته (سيد الدببة) (٣٥٣) ٠

ولدت ثيودورا فى ٥٠٠م (٣٥٤) ، وكانت ذات أصل وضيع جدا (٣٥٥)٠

---

(٣٥١) فشر : ترجمة د ٠ زيادة : تاريخ أوربا العصـــور الوسطى ، ج ١ ، ص ٤٧ ٠

352. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 187, Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 (C. Diehl), G. Zananiri : Op. cit., p. 125, A. A. Vasiliev: Hist. de l'Empire.. T. I, p. 172, C. Diehl: Hist. de l'Empire p. 24,

فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ج ١ ، ص ٤٧

(٣٥٣) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ ، ج٢ ، ص ٤٠٠ ٠

(٣٥٤) د ٠ اسمت غنيم : امبراطورية جستنيان ، ص ١٦ ٠

355. L. Brdhier : Vie el Mort.., p. 22.

د ٠ عبد القادر احمد اليوسف : الامبراطورية

ص ٦٨ ٠ ولتفصيل الكلام عن نشأتها الاولى نقول : كانت ثيودورا هى ابنة أكاكيوس مدرب الحيوانات المتوحشة للفرقة الخضراء ، ترك عند وفاته ثلاث بنات هن كوميتو Comito وثيودورا وأنسطاسيا ، كانت أكبرهن فى السابعة من عمرها عند وفاة والدهن ، فأصبحن فى رعاية أمهن التى كانت على درجة كبرى من العوز والفاقة ٠ وقد تزوجت من الشخص الذى كان المفروض أن يشغل وظيفة زوجها المتوفى ٠ ونتيجة لدسيسة دبرت فى داخل الفرقة الخضراء اسفرت عن تعيين شخص آخر فاضطرت الام أن تشغل بناتها خادمات فى المسرح لمدة من الزمن ثم أرسلتهن جميعا للاشتغال فى المسرح عندما كبرن وكن جميعا على قدر من الجمال ٠ (عبد القـــادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٨ ٠ عن (بروكوبيوس) ، ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ٠٠٠ ج٢ ص ٤٠١) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفى سنوات عمرها المبكرة عملت ممثلة على المسرح (٣٥٦) . وكان النجاح الذى أحرزته ثيودورا كممثلة مسرحية عظيما ، ويقال « أن تلك الشهرة المسرحية لم تكن نتيجة لمهارة فنية وانما لتبذلها للغادين والقادمين » (٣٥٧) فلم تكن ثيودورا ترقص أو تغنى أو تعزف على الناى ، بل انحصرت مهارتها فى فنون التمثيل الهزلى ، وبرعت فى انتحال شخصية البهلوان ، وكانت سريعة الخاطر فى سوق النكات المعبرة اللاذعة (٣٥٨) .

ولقد مثلت العديد من المسرحيات التى برزت فيها فى صور غاية فى الجرأة والوقاحة ، وقد اشتهرت فى القسطنطينية بحماقاتها فى حفلاتها المسرحية ، وبتعدد عشاقها ومحبيها (٣٥٩) . وعلى ذلك أشار اليها (فشر) بأنها كانت « ممثلة وعاهرة » (٣٦٠) أيضا عركتها كثرة الرحلة وكثرة الشقاء ، حتى جمعت فى شخصها كل صفة من الصفات التى تلصق بمهمتها وتجاربها مما تشمئز منه نفوس الناس (٣٦١) .

وبذلك أثارت استنكار معاصريها « بحياتها المليئة بالمغامرات الفاضحة » (٣٦٢) ولا غرابة فى ذلك فقد شبت على شىء من الاباحية (٣٦٣) بحكم الجو المحيط بها ، وكذلك بحكم تنشأتها بواسطة « أم متساهلة » (٣٦٤) على حد تعبير (ديبل) .

وهبت الطبيعة ثيودورا قدرا كبيرا من الجمال - الذى كانت تعتبره

---

356. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 . عن (C. Diehl), L. Bréhier : Vie et Mort de Byzance, p. 23.

(٣٥٧) عبد القادر أحمد اليوسف : المرجع السابق ، ح ٦٨ .

(٣٥٨) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠٠ ، ح ٢ ، ح ٤٠١ ، عبد القادر أحمد اليوسف ، المرجع السابق نفس الصفحة .

359. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25, . عن (Diehl), A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 172.

(٣٦٠) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ح ١ ، ص ٤٧ .

(٣٦١) فشر : نفس المرجع والصفحة .

362. C. Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 23.

(٣٦٣) اسد رستم : الروم ، ح ١ ، ح ١٦٩ .

364. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 عن (Diehl)

http://www.al-maktabeh.com

أكبر الضمانات لنفوذها (٣٦٥) - الى جانب الظرف والذكاء الذى امتدحه أحد الكتاب المعاصرين (John Lydus) بقوله : « انها كانت تفوق العالم بأسره ذكاء » (٣٦٦) · حتى أنها « شغلت القسطنطينية وسحرتها ثم أثارت استنكارها وجرت عليها العار » (٣٦٧) فكان سكان العاصمة اذا التقوا بها فى شوارع المدينة ابتعدوا عنها أو غيروا طريقهم خوفا من ملامستها والتلوث بها (٣٦٨) ·

والواقع أن غالبية تلك التفاصيل المخزية عن « امبراطورة المستقبل » لا بد وأن تتقبل بشىء من التحفظ الشديد لأنها صدرت عن بروكوبيوس الذى كتب « التاريخ السرى » ليحطم به جستنيان وثيودورا ويلوث سمعتهما (٣٦٩) وذلك بطريقة قوية ومؤثرة يصعب معها التمييز بين الافتراء والحقيقة (٣٧٠) · وبذلك يعتبر بروكوبيوس راو مغرض لا تقبل شهادته بدون تبصر وروية وجرح وتعديل (٣٧١) · وخاصة أن ثيودورا ترصنت بعد طيشها (٣٧٢) فبعد مضى

---

365. Diehl : Theodora... p. 86.

وربما كان ذلك هو سبب عنايتها
المستمره الرقيقة بجمالها · فلكى تحتفظ بوجهها مستريحا ساحرا أطالت نومها فى أوقات القيلوله التى لا تنتهى ، ولكى تحافظ على لمعان ونضارة بشرتها أخذت الحمامات المتكررة وأتبعتها بساعات طويلة من الراحة · (Diehl : Theodora..., p. 85).

(٣٦٦) د · عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٢ ·

367. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 172 عن (Diehl Figures Byzantines), Cam. Med. Hist., V. II, p. 25 عن (Diehl).

368. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 172 عن (Procopii)

أسد رستم : الروم جـ ٢ ، ص ١٦٩ · عن (Historia Arcana)

ادوارد جيبون : اضمحلال ·· جـ ٢ ، ص ٤٠١ ·

369. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 172, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 25.

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ·

370. C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 187.

(٣٧١) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ، د · اسمت غنيم : امبراطورية جستنيان ، ص ١٦ والواقع أن Procopius of Ceasarea كان من ابرز مؤرخى عصر جستنيان ، كان سكرتيرا للقائد العظيم بلزاريوس ، لذلك شارك فى الحروب العديدة ضد الوندال والقوط والفرس ، وكتب تقريرا عن تلك الحروب فى حوالى سبعة كتب حتى سنة ٥٥١ م ثم اضاف اليها ثمانية مجلدات ظهرت ٥٥٣ · وقد كتب أيضا التاريخ السرى الذى ذم فيه جستنيان وثيودورا · والواقع أن بروكوبيوس لم يكن دائما مشهورا =

مكتبة المهتدين الإسلامية

السنوات العاصفة فى الجزء الأول من شبابها اختفت ثيودورا لفترة من الزمن عن العاصمة وتوجهت الى افريقية التى استقرت فيها عدة سنوات (٣٧٣) ٠

فقد هجرت ثيودورا المسرح وأصبحت محظية Hecobolius أو Ecebolis الصورى ٠ وعندما عين حاكما على برقة فى ليبيا رافقته الى هناك لتشاركه الموبقات ٠ ولكن سرعان ما نبذ ايكو بوليس تلك « الخليلة الكثيرة النفقة الخائنة » فلم تدم عشرتها طويلا معه واشتدت بها الضائقة والكَرب فاضطرت الى كسب العيش بمفاتن جسمها فى الاسكندرية بعد هجر حبيبها لها (٣٧٤) ٠

ولقد احتكت فى الاسكندرية عن قرب بالرؤساء الدينيين الموتوفيزيتيين ـ وهو ما ستناوله بشىء من التفصيل فى الحياة الدينية ـ والذين عادت بفضلهم وتحت تأثيرهم الى المسيحية أكثر ، والى حياة أطهر ٠ ثم شوهدت بعد ذلك فى أنطاكية ، ومنها عادت بعدها الى القسطنطينية أنضج وأعقل (٣٧٥) فلم تعد الممثلة الخفيفة التى كانت من قبل بل انها تركت المسرح (٣٧٦) و « عادت متدثرة بثوب جديد من عزة النفس والكرامة والشرف » (٣٧٧) عندئذ غزت قلب جستنيان (٣٧٨) ٠

ولكن ما حقيقة ذلك الغزو الطريف من نوعه ؟

=

بالموضوعية فى كتاباته على المبانى أو فى تاريخه عن الحروب ، فقد كان يميل فيها الى المدح أكثر ، بينما فى تاريخه السرى ، كان مؤلفا ماكرا ٠ الا أن كل أعماله تعتبر ذات قيمة هائلة كمصادر وكذلك من ناحية أسلوبها وطريقة تقديمها وعرضها ، وعلى ذلك تحتل مكانة مرموقة ٠ (G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 24-25)

(٣٧٢) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ٠

373. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire... T. I, p. 172.

(٣٧٤) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ حـ ٢ ، ص ٤٠٢ ، عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ص ٦٨ ،
C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 187.

375. Cam. Med. Hist. : V. II, p. 25 عن (Diehl)

376. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 172.

377. G. Zananiri : Op. cit., p. 125.

378. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25, C. Diehl : Hist. de l'Empire, p. 24.

http://www.al-maktabeh.com

ثمة رأى يذكر أن ثيودورا عادت بعد عدة سنوات الى القسطنطينية « متعقلة متزنة مهتمة بالقضايا العامة ولا سيما الدينية منها منهمكة بغزل الصوف فى ساعات الفراغ وأن جستنيان لم يعرفها قبل دخولهـــا فى هذا الدور من حياتها (٣٧٩) · وأعجب جستنيان بجمالها - حيث تاثر به جدا وجعلها تغـزو قلبه - « فنقلها الى القصر وجعـــل منهـا بطـريقه ثم تزوج منها » (٣٨٠) ·

أى أن جستنيان تزوجها عن اقتناع تام بها وبدون أية مؤثرات مفتعلة من جانبها ·

بينما يرجع (جيبون) قصة ذلك الغزو الى تمثيلية متقنة قامت بهـــا ثيودورا البارعة فى هذا الفن · حيث يقول « فى يوم من اتعس أيام فقرها وسوء سمعتها رأت ثيودورا فيما يرى النائم ، أو صور لها الوهم ، شبحا همس اليها مؤكدا نبأ سارا هو انه مقدر لها أن تكون قرينة ملك قوى ، ووعيا منها بما ينتظرها من عظمة وجلال عادت من بفلاجونيا الى القسطنطينية واصطنعت وكأنها ممثلة بارعة ، شخصية اكثر حشمة ولياقة واستعانت على سد عوزها بعمل محمود ، وهو غزل الصوف ، وتظاهرت بحياة العفة والعزلة وسرعان ما اجتذب جمالها مع شىء من الدهاء ، أو بمحض الصدفة ، النبيل جستنيان وسحره » (٣٨١) ·

ومهما كان الأمر ، وان كنا نميل الى تأييد الرأى الأول أكثر ، فقـد تغلب جستنيان على كل العقبات التى اعترضت طريق زواجه من ثيودورا وذلك باقناع عمه جستين بتغيير القانون لخدمته من ناحية (٣٨٢) ثم بترقبه حتى

---

(٣٧٩) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ·
A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire, T. I, p. 172,

(٣٨٠) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ·
A.A. Vasiliev : Ibid, p. 172.

(٣٨١) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ··· حـ ٢ ص ٤٠٣ بل انه استرسل بعد ذلك بقوله « أن ثيودورا ساقت من جانبها شيئا من الدلال لتزيد من قيمة متاع كثيرا ما كانت قد أباحته اسرافا ومدرارا لأحط بنى البشر » ·

382. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, 187, ادوارد جيبون : المرجع السابق حـ ٢ ص ٤٠٤ ، عبد القادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٩ ،
The Encyclopedia American, volume 26 (1974), p. 627.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفاة (لوبيكينا Lupicina) زوجة عمه جستين الأول ، وباحتقاره لدموع أمه فجيلانشيا Vigilantia التى سرعان ما انهـــارت تحت وطأة أحزانها (٣٨٣) ٠

وفى تلك المرحلة السابقة لزواجه منها مباشرة استخدمت ثيـــودورا نفوذها الكبير على جستنيان حتى « دفعه يأسه فى حبهـــا الى عدم القدرة على رفض شىء تطلبه تلك الخليلة فأغدق عليها الثروات وحصل لها على لقب بطريقـــــه Patrician (٣٨٤) ٠ وبذلك نجحت ثيودورا فى غـــزو قلب جستنيان (٣٨٥) ٠ فتزوجها فى ٥٢٣ م وذلك بفضل اذعان جستين (٣٨٦) ٠

وعندما اعتلى جستنيان العرش الامبراطورى شاركته اياه فى أغسطس ٥٢٧ م (٣٨٧) وتلقت وهى تقف الى جواره فى الهيبودروم هتافات التأييد والترحيب من الشعب (٣٨٨) ٠ واذا كان جستنيان قد تزوج ثيودورا « فان (بروكوبيوس) يعجب من عدم ارتفاع أى صوت لمعارضة تلك الزيجة لا من رجال الدين ولا من القادة العسكريين ولا من السياسيين عندما تقدموا لتأدية يمين الولاء لها ٠ والأعجب من هذا فان هتافات الجماهير كانت تتعالى لهـا معتبرين أنفسهم عبيدا لها » ٠ هنا يعزى بروكوبيوس شغف الجمـــاهير بثيودورا الى أنه كان يحمل معنا آخر فهى من صفوف الشعب الذى أعجب بها أيما اعجاب فى تسليته وفى الاحسان اليه (*)

وبذلك أصبحت ثيودورا شريكة فى حكم الامبراطورية البيزنطية (٣٨٩)،

---

(٣٨٣) ادوارد جيبون : نفس المرجع السابق والصفحة ٠

384. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 عـــن (Diehl)

385. C. Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 24, Cam. Med. Hist., V. II, p. 25, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 187.

386. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 . عن (Diehl), C.W. Previte Orton Ibid. V. I, p. 187.

387. Diehl : Cam. Med. Hist. V. II, p. 25.

(٣٨٨) عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطيـــــة ، ص ٦٩ ٠

(*) د ٠ عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٩ ٠ عن Procopius

389. Diehl : Hist. de l'Empire... p. 24, Diehl :Theodora, p. 143,

فشر : ترجمة د ٠ زيادة ، تاريخ أوربا العصور الوســـطى ، حـ ١ ، ص ٤٧ ، أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ١٦٩ ، عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٢ ، د ٠ اسمت غنيم ، امبراطورية جستنيان ، ص ١٧ ٠

http://www.al-maktabeh.com

« شريكا متكافئا مستقلا فى السيادة على الامبراطورية » (٣٩٠) ٠

وببداية هذا الدور الهام فى حياة ثيودورا ، فان مسلكها أصبح مسلك الزوجة الوفية والامبراطورة الوفية الصالحة المهتمة بشئون الدولة (٣٩١) ٠ « فعاشت حياة لا عيب فيها » (٣٩٢) بعد أن شعرت بالمسئولية الملقاة على عاتقها ، فتعاونت مع زوجها فى سبيل العرش والدولة (٣٩٣) ٠ بل انهـــا كانت - حتى وفاتها ٥٤٨ م - ذات تأثير أقوى على الامبراطور نفسه وأن نفوذها على الامبراطورية كان يفوق أحيانا نفوذ زوجها (٣٩٤) ٠ وقد ظهرت بصماتها واضحة جلية فى كثير من شئون الدولة مثل الادارة وخاصة التوظيف والانفاق والسياسة والدبلوماسية هذا الى جانب الشـــئون الدينيـــة والقانونية (٣٩٥) ، وسوف نرجىء الحديث عن الجانبين الأخيرين الى أجزاء أخرى من هذا البحث ٠ وبذلك وضعت ثيودورا يدها على كل شىء فى الدولة مدة عشرين عاما (٣٩٦) ، أو احدى وعشرين عاما (٣٩٧) ٠

كانت ثيودورا هى المساعدة النشيطة لزوجها فى كل الأمور الهامة (٣٩٨) وكان جستنيان نفسه فخورا بنصائح وآراء « زوجته الجديرة بالاحترام التى

---

(٣٩٠) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ ، حـ ٢ ص ٤٠٥ وهو يضيف أنه « فرض على حكام الولايات تأدية يمين الولاء لجستنيان وثيودورا معا ٠ وخرت دنيا الشرق راكعة أمام عبقرية ابنه أكاكيوس وحظها » ٠

391. C. Diehl : Theodora..., pp. 144, 147, A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 172.

د ٠ عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٢ ٠

392. L. Bréhier : Vie et Mort... p. 23.

(٣٩٣) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٦٩ ٠

394. C. Diehl : Hist. de l'Empire... p. 24, Diehl : Theodora, p. 143, A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire..., T. I, p. 172, C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 187.

اسمت غنيم : امبراطورية جستنيان ، ص ١٧ ٠

395. Diehl : Hist. de l'Empire, p. 25, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, pp. 187-188.

396. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25. عن (Diehl).

397. Diehl : Theodora..., p. 143.

398. Diehl : Theodora, p. 143, Cam. Med. Hist. V. II, p. 261 عن (Diehl)

مكتبة المهتدين الإسلامية

أعطاها الله له » (٣٩٩) · لذا كان يستشيرها باسمرار فى شئون الدولة ذات الأهميـــة العظمى ويحلو له أن يسميها « فاتنتـــــه الأكثر حـــلاوة "his weetest charm — son charme le plus doux" (٤٠٠) · وكانت هى فى نفس الوقت تباهى بذلك علنا · فقد كتبت الى وزير خسرو ملك فارس تقول « ان الامبراطور لا يعزم ولا يصمم على شىء بدون استشارتى » (٤٠١) ·

والحقيقة أنه اذا كان الشاعر Paul Le Silentiaire قد أشار الى ثيودورا بشىء من التملق فى القطعة الشعرية التى كتبها الى جستنيان بعد وفاتها بخمسة عشرة سنة بقوله ، « الملكة الجميلة الممتازة العاقلة » (٤٠٢) فان غالبية المصادر والمراجع قد أسهمت فى احصاء صفاتها سواء الحسنة أو السيئة ، فقد كانت طموحة عظيمة ، نشطة ، حازمة ذات عقلية مستنيرة وذات ارادة وتصميم قويين وثبات يشبه ثبات الرجال ، كانت تتمتع بروح سياسية ماهرة وواضحة بل انها كانت عادلة ومنصفة أكثر من زوجها (٤٠٣) ومن جهة أخرى كانت تحب البذخ والأبهة والظهور (٤٠٤) ، الى جانب بعض الصفات السيئة التى قيل أنها تحلت بها لتحتفظ بالعرش مثـل : الشراســة والجشع وحب المال والتسلط والخداع والمكر والغطرسة والكبرياء ، الى جانب القسوة والعنـــاد تجـــاه من تكره (٤٠٥) · وبذلك كانت عاطفية سريعة الغضب تجاه من تحب ومن تكره (٤٠٦) · وكانت دائما قوية حتى عندما كانت تضطر فى بعض الأحيان الى التنازل مؤقتا عن روح الشجاعة فى مواجهة الظروف والمؤثرات الأكثر قوة (٤٠٧) ·

---

399. Diehl : Ibid., p. 144, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26 عن (Diehl)
400. Cam. Med. Hist. V. II, p. 26 عن C. Diehl : Histoire de l'Empire... p. 23.
401. Diehl : Theodora..., p. 154.
402. Diehl : Theodora, p. 143.
403. C. Diehl : Hist. de l'Empire..., p. 24, Cam. Med. Hist. V. 11, p. 26, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 82.
404. L. Bréhier : Vie et Mort..., p. 23, Diehl : Theodora, pp. 85, 86, 90.
405. Diehl : Hist. de l'Empire..., p. 24, Diehl : Theodora, pp. 85, 87, 88-89, 90, 140, 144, 155, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26.
406. Cam. Med. Hist., V. II, p. 26 عن (Diehl).
407. Diehl : Theodora..., p. 146, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26 عن (Diehl).

http://www.al-maktabeh.com

وقد قيل أن تلك المرأة التى حيكت حـول اسمها آلاف المخازى وعرفت بعنف النزوة وحب الانتقام ، برهنت على انها على جانب كبير من النبل فضلا عما اتصفت به من الجمال والذكاء والشجاعة والسياسة والحنان (٤٠٨) · وفوق ذلك كله يضيف (ديبل) « أن ثيودورا كانت محدثة نعمة » (٤٠٩) فشتان بين نشأتها الأولى وبين ما آل اليه أمرها بعد اعتلائهـــا العرش البيزنطى ·

وثمة وصف دقيق يوضح لنا عن قرب بعض **تلك الصفات التى** ، ثيودورا ويبرز لنا أسلوبها فى التعامل مع من حولهـــا ، حقيقة ربما بالغ (جيبون) فى بعض أوصافه لها لكنه قرب الى أذهاننا بعض نواحى شخصيتها وخاصة الغطرسة والشره فى جمع المال والقسوة البالغة حيث يقول ما ملخصه « أن كبار الشخصيات فى الدولة كانت تزدحم بهم غرفة الانتظار ، حتى اذا أذن لهم أخيرا وبعد انتظار ممل ، فى الدخول وتقبيل قدمى ثيودورا ، عانوا ـ وفق ما يطيب لها ـ من الغطرسة الصامتة فى الامبراطورة أو من (الطيش الفاجر فى الممثلة الهزلية) وربما أمكن التماس العذر لها فى الشره الفظيع فى جمع ثروة كبيرة ، لخشيتها من موت زوجها حيث لن يبقى لها بعده الا الدمار أو العرش ، وهما أمران لا ثالث لهما · أما عن قسوتها فقد تركت على ذكرى ثيودورا وصمة لا تمحى · فقد كان جواسيسها العديدون يراقبون ، ويبلغون فى حماس بالغ عن أى عمل أو أية نظرة تمس سيدتهم الامبراطورة بأذى فزج بمن يتهمونهم أيا كانوا فى غياهب سجونها الخاصة التى لا يمكن أن تصل اليها يد العدالة ، وأشيع أن (الطاغية المرأة) كانت تشهد بنفسها تعذيبهم بالخازوق أو السياط دون أن تحس بصوت الضراعة أو تستشعر الرحمة وقد هلك بعض ضحاياها المنكودين فى أعماق السجن ، على حين أبيح لآخرين بعد فقدان أطرافهم أو عقولهم أو ثرواتهم بالخروج الى الحياة شواهد حية على انتقامها ، الذى امتد عادة الى أطفال من كانت قد ارتابت فيهم أو آذتهم· وكان عضو السناتو أو الأسقف الذى تنطق ثيودورا بالحكم عليه بالاعدام أو النفى ، يسلم الى رسول موثوق فيه تستثير هى همته ونشاطه بتهديد

---

(٤٠٨) فشر : ترجمة د · زيادة : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، حـ ١ ، ص ٤٧·

409. C. Diehl : Hist. de l'Empire, p. 23.

مكتبة المهتدين الإسلامية

يجرى به لسانها أقسم بالحى الذى لا يموت ، ليسلخن جلدك عن لحمك اذا أخفقت فى تنفيذ أوامرى » (٤١٠) ٠

لقد لعبت ثيودورا دورا بارزا بالنسبة لادارة الدولة التى شغلت جانبا هاما فى تنظيمات ٥٣٥ م والتى مثلت أحد المظاهر الأكثر أهمية بالنسبة لعصر جستنيان (٤١١) ٠ ولقد نظمت كل شىء فى الدولة وكذلك فى الكنيسة بطريقتها ومنهجها الخاص (٤١٢) ٠

وكان لها نفوذا كبيرا فى اختيار بعض الموظفين (٤١٣) ٠ فكانت تعين وتعزل الباباوات والبطارقة ، الوزراء ، والقواد وفقا لرغبتها (٤١٤) دون خوف حتى عندما كانت ترى أنه من اللازم أن تعارض رغبات جستنيان جهرا (٤١٥) ٠

وكانت دائما توحى بالاصلاحات وتشملها برعايتها (٤١٦) وقد امتازت ثيودورا كامبراطورة بحسن تفهمها للسياسة (٤١٧) واذا كان لديها ميلا جامحا للسلطة (٤١٨) فانها كانت شديدة الحذر واليقظة فى تصريف شئون المملكة (٤١٩) ٠

كان لثيودورا نفوذا سياسيا مطلقا ومستقلا فى كثير من النواحى السياسية (٤٢٠) وكان نفوذها على سياسة الدولة عامة غاية فى القوة (٤٢١)

---

(٤١٠) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ ، حـ ٢ ، ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ٠

411. C. Diehl : Theodora... pp. 143-144.

412. Diehl : Theodora..., p. 146, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26 عن (Diehl)

413. The Encyclopedia Americana, Vol. 26, p. 628.

414. Diehl : Theodora, p. 146.

415. Cam. Med. Hist., V. 11, p. 26 عـن (Diehl).

416. Cam. Med. Hist. V. 11, p. 26 عـن (Diehl)

(٤١٧) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٢ ٠

418. Diehl : Theodora, pp. 154-156.

419. Diehl : Ibid., p. 153.

420. Cam. Med. Hist., V. 11, p. 25 عـن (Diehl)

421. Diehl : Theodora, p. 90.

http://www.al-maktabeh.com

ولقد كان نفوذها مساويا ، اذا لم يكن أعظم من نفوذ زوجهـــا فى بعض الأحيان (٤٢٢) · وربما دفع ذلك بروكوبيوس الى القول بأن ثيودورا كسياسية غير شريفة ، سيطرت على زوجها الضعيف وأثرت على شـــئون الدولة السياسية (٤٢٣) ·

كانت ثيودورا دائما تطالب بأن يكون لها الكلمة الأخيرة فى كل شىء ، وكانت تنجح فى ذلك (٤٢٤) · ولقد أثبتت أن سياستها فى تصريف شـــئون الامبراطورية كانت أفضل من سياسة زوجها (٤٢٥) · وبمعيشتها فى مصر وسوريا كان لديها خلفية واسعة عن العالم الرومانى أكثر من زوجها (٤٢٦)·

وعلى حد تعبير ديل أنه قد اكتشف ذكاؤها الحاد البارز فى حكم الشرق ، وأوصت بسياسة أكثر ملاءمة للمصالح الحقيقية للدولة عن تلك التى كانت متبعة بالفعل وأنه لو قدر لسياستها التى كانت تحلم بانجازها كاملة، الوقت الكافى « لغيرت مجرى التاريخ نفسه بجعلها الامبراطورية البيزنطية هى المجرى الحقيقى للتاريخ » (٤٢٧) ثم لأصبحت تلك الامبراطورية أكثر قوة وصلابة (٤٢٨) ·

أما فى النواحى الدبلوماسية فقد أثبتت ثيودورا جدارتها أيضا ، فقد

---

422. Cam. Med. Hist. V. 11, p. 26 عـن Diehl
423. The Encyclopedia Americana, Vol. 26, p. 628.
424. Diehl : Theodora..., p. 146, Cam. Med. Hist. V. 11, p. 26.

(٤٢٥) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٢ ·

426. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, pp. 187, 188.

وقد وضح فشر ذلك بقوله : « يبدو أن ثيودورا القبرصية اليونانية فهمت عن الوضع السياسى ومقتضياته أحسن مما استطاع زوجها اللاتينى الثقافة ان يفهم عنه اذ أدركت أن قوة الامبراطورية الشرقية ـ فى وضعها الجغرافى ـ ترتكز الى مقـــدار ما تستطيع أن يكون لها من السيطرة على موارد آسيا الصغرى وسوريا ومصر ، وأنه مهما اتفق لها من الفتوح فى الغرب ، فلن تعوض تلك الفتوح عن فقدان الأناضول وأهله ومصر ومحاصيلها الزراعية وسوريا وثروتها من المال والرجال · (فشر : ترجمـــة د · زيادة : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، حـ ١ ، ص ٥٣) ·

427. Diehl : Theodora,,,, p. 144.
428. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27 عـن (Diehl)

مكتبة المهتدين الإسلامية

كان السفراء والملوك الأجانب يسعون اليها جاهدين ليقدموا ولاءهم لهـــا وليكسبوا رضاها الى جانب رضاء الامبراطور · وكان جستنيان نفســـه لا يتخذ قرارا دبلوماسيا الا بعد أخذ مشورتها (٤٢٩) ·

هذا وقد تراسلت ثيودورا مباشرة مع الملوك الأجانب ، أما هؤلاء الذين أرادوا كسب عطفها فقد مدحوا عن طيب خاطر خيلائها وميلها الشـــديد للسلطة (٤٣٠) ، ولقد حافظت على دبلوماسية غاية فى السرية مع الجميع وعلى رأسهم زوجها الامبراطور فى الداخل وكذلك فى الخارج بالنســـبة للمستشارين والقناصل (٤٣١) ·

ويكفى للتدليل على ذلك أن نذكر أنه عندما فكر جستنيان فى محاربة القوط فى ايطاليا وتحطيم ملكهم ، كان السفير البيزنطى Pierre ، هو الذى كلف بحمل الانذار الامبراطورى للملك البربرى وكان هذا السفير من الموظفين المتحمسين جدا لثيودورا ، ولقد كانت المراسلات غامضة جدا حتى أن ملك القوط وبلاط رافنا أشاروا الى أن ثيودورا كانت تتوق الى تحقيق أهداف ونوايا أخرى غير تلك الأهداف والنوايا التى تكونت رسميا بواسطة زوجهـا جستنيان (٤٣٢) ·

كذلك شاركت ثيودورا جستنيان فى الانتصارات العسكرية وفى الأمجاد المزدهرة لعصره (٤٣٣) ·

وللتدليل على مدى نفوذ ثيودورا على زوجها وغيرتها فى نفس الوقت على مصلحته وعلى تماسك الدولة البيزنطية ككل نذكر بالتفصيل موقفهـــا المشرف من ثورة نيكا ·

فالمعروف أن جستنيان كان مجدا مثابرا الا أنه كان مترددا فى اتخـاذ قراراته ، الأمر الذى كاد يعرضه أكثر من مرة لأخطار جسيمة لولا وجـود

---

429. Cam. Med. Hist. V. II, p. 26 عـن (Diehl)
430. Diehl : Ibid., p. 153.
431. Diehl : Ibid., p. 153.
432. Diehl : Ibid., p. 154.
433. Diehl : Ibid., p. 145, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26.

http://www.al-maktabeh.com

الامبراطورة ثيودورا الى جانبه وهى التى عملت على سد ذلك النقص فى كثير من الأحيان (٤٣٤) ٠

كان شتاء ٥٣٢ م شتاءا حرجا بالنسبة لجستنيان (٤٣٥) فقد قوبل فى مستهل عهده بثورة عارمة كادت تطيح به وتدك عرشه دكا (٤٣٦) ٠ تلك الثورة أو ذلك العصيان المسلح الذى عرف بثورة النصر (نيكا) باليونانية (٤٣٧) ومعناها « اسحق » (٤٣٨) وللتعرف الدقيق على جوانب تلك الثورة يجدر بنا أن نعود قليلا الى الوراء ٠

كان الهيبودروم Hippodrome أو السيرك أو الميدان الرئيسى فى القسطنطينية هو المكان المفضل لتجميع أهالى العاصمة (٤٣٩) ٠ ويفصل (بيورى) الكلام عن أهمية الهيبودروم فى قوله : أنه عند اعتلاء امبراطور جديد للعرش كان يتم فيه الهتاف للامبراطور واظهار أهالى العاصمة موافقتهم على تعيينه ، كذلك يستطيع الأهالى نقد أعمال وقرارات الامبراطور من الهيبودروم ، الى جانب المناداة بالاطاحة بالوزراء العديمى الشعبية ، كما كان الهيبودروم فى فترات كثيرة خلال التاريخ الرومانى المتأخر مسرحا للمظاهرات السياسية والثورات التى هزت أو زلزلت العرش (٤٤٠) ٠ ويعقب بيورى على ذلك بقوله أنه « من الممكن أن يقال أن الهيبودروم حل فى الحكومة

---

(٤٣٤) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧١ ٠

(٤٣٥) بينما تشير غالبية المصادر والمراجع أن شغب نيكا كان فى ٥٣٢ م وعلى سبيل المثال لا الحصر : A.A. Vasiliev : : Op. cit. T. 1, p. 205, G. Zananiri : Hist. de l'Egtise..., p. 126,

عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٩

ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ حـ ٢ ، ص ٤١٣ ٠ نجد ان (Larousse Encyclopedia of Ancient and Medieval History, p. 252).

يشير الى ان تلك الثورة كانت فى شتاء ٥٣٢ - ٥٣٣ م
436. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire... T. 1, p. 204

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ، ص ١٧٠ ٠

(٤٣٧) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧٠ ٠

(٤٣٨) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية ٠٠٠ ، حـ ٢ ، ص ٤١٦٠
439. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire..., T. 1, p. 204.

440. J.B. Bury : Later Roman Empire, V. 1, p. 86.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الأوتوقراطية محل المجلس الشعبي للمدينة الدولة فى العهد اليونانى القديم » (٤٤١) ٠

فمنذ عدة قرون احتل الهيبودروم - المسمى أيضا ميدان سباق الخيل - مكانا هاما فى الحياة العامة ٠ وكانت حلبات السباق البيزنطية قد أنشأت منذ ١٩٥ م بواسطة الامبراطور سبتميوس سفروس (١٩٣ - ٢١١ م) (٤٤٢) وبتأسيس القسطنطينية أصبح ذلك الميدان من العجائب ، حيث كان الناس يجتمعون فى حضور الامبراطور للمشاركة فى تلك المظاهر التى تستحق المشاهدة والتى كونت احدى أسس الحياة البيزنطية (٤٤٣) ٠

والراجح أنه الى جانب أهمية ميدان السباق السياسية وخاصة فى تلقى أى امبرطور جديد هتافات التصديق على اختياره (٤٤٤) ، كانت له أهمية اجتماعية أيضا وهى التسلية حيث كانت تقام فيه حلقات المصارعة بين الحيوانات المفترسة وبين المصارعين (٤٤٥) ٠ ولم تلبث أن حلت محل تلك الحلقات ، عروض أقل دموية ، هى مباريات العجلات المركبة التى كانت تجذب الانتباه أساسا بعروضها الفخمة فقد كان سائقى تلك العجلات غالبا من أصل متواضع ٠ ولكنهم كانوا أحيانا يربحون ثروات هائلة من السباق ٠ وكانوا يسوقون العجلات واقفين مرتدين سترة بدون أكمام وكانت سيقانهم مغطاة بالرانات - أى عصابات السيقان - وكانوا يؤدون عروضهم بحماسة بالغة ٠ وقد بلغ من شهرة وشعبية بعضهم أن أقيمت لهم تماثيل بعد موتهم (٤٤٦) ، تخليدا لذكراهم ٠

وثمة رأى يذكر أن سباق العجلات أصبح من أكثر المناظر المحببة للعاصمة البيزنطية منذ أن حرمت الكنيسة حلبات المصارعة (٤٤٧) ٠

---

441. J.B. Bury : Ibid., p. 86.

(٤٤٢) د ٠ سعيد عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، (دار النهضة العرالعربية ، ١٩٧٢) ص ١٢ ٠

443. G. Zananiri : Hist. de l'Eglise Byzantine..., p. 126.

444. A.A. Vasiliev : Op. cit..., T. 1, p. 204, J.B. Bury : Later Roman Empire, V. 1, p. 86.

445. G. Zananiri : Op. cit., p. 126.

446. G. Zananiri : Ibid, p. 126

447. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire..., T. p. 204.

http://www.al-maktabeh.com

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت عروض السيرك بفخامتها الغير عادية ، حتى أن عدد المشاهدين وصل أحيانا الى « خمسين ألف مشاهد » (٤٤٨) · ومن الناحية السياسية أصبح صوت جمهور السيرك نوعا من الرأى العام ، وصوتا للأمة بدوى أى ضغط(٤٤٩) » وبمعنى آخر « أصبح الهيبودروم المكان الوحيد الذى يمكن منه توضيح الرأى العام بحرية والتى تصل أحيانا الى درجة اعطاء الأوامر للحكومة » حتى أن الامبراطور ظهر أحيانا فى السرك ليعطى للشعب بعض التفسيرات لقراراته ومراسيمه (٤٥٠) ·

كان السباق فى بداية نشأته مباراة بين عربتين تميز أحد سائقيهما بحلة بيضاء والثانى بأخرى حمراء ، وأدخل فيما بعد لونان اضافيان هما الأخضر الفاتح والأزرق الداكن وكان السباق يتكرر خمسا وعشرين مرة وتشترك فيه مائة عربة فى اليوم الواحد (٤٥١) · لكن ماذا تعنى تلك الألوان ؟ هنا يوجز (جلبارت داجرون Gilbert Dagron) المعنى الذى ترمز اليه تلك الألوان حين ذكر أنها تشير الى توافق بين كل لون وبين فصل من فصول السنة ثم الى اله من الآلهة القديمة ، وأخيرا الى أحد عناصر الطبيعة الأربعة الهامة وذلك على النحو التالى :

١ ـ الأخضر ـ الربيع ـ فينوس Venus ـ الأرض ·

٢ ـ الأحمر ـ الصيف ـ مارس Mars ـ النار ·

---

448. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 204.

449. ..AA. Vasiliev : Ibid., p. 204.

450. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 205. عن (F.I. Ouspenski)

نشير هنا الى حادثة مميزة ومثيره جدا تبين مدى تأثير الجماهير فى الهيبودروم على الحكومة والامبراطور نفسه · ففى عهد الامبراطور انسطاسيوس اندلعت ثورة مسلحة فى العاصمة ، وبعد نهب سريع أعلن الارثوذكس عن اختيارهم لامبراطور جديد ، عندئذ ظهر انسطاسيوس فى الهيبودروم ، مزعورا ، بدون تاج ، حيث أمر نذير الحرب ، انه مستعد لعمل عدة امتيازات وتنازلات للارثوذكس · ولما رأى الناس الامبراطور على تلك الحالة التى يرثى لها هدأوا وانتهت الثورة المسلحة ·
(A.A. Vasiliev : Ibid., p. 205,
G. Zananiri : Op. cit., p. 126.

(٤٥١) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، حـ ٢ ص ٤٠٩ ـ ٤١٠ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢ ـ الأزرق ـ الخـــــريف ـ ساتورن أوبنتون Saturne on petune البحر ٠

٤ ـ الأبيض ـ الشتاء ـ جوبيتر Jupiter ـ الهواء (٤٥٢) ٠

وقد انقسم المشاهدون من سكان العاصمة الى أحزاب رياضية أربعة: الخضر والزرق والبيض والحمـــر ٠ وانتظمت هذه الأحزاب وتكتل أفرادها وتكاتفوا فأنشأوا لكل منها صندوقا خاصا لتشجيع السائقين وشراء الجيـاد السباقة والعناية بها (٤٥٣) ٠

ثم انضم الخضر الى الحمر وأصبحوا يســموا بالخضر وكانوا من المونوفيزيتيين ، كما انضم الزرق الى البيض وأصبحوا يسموا بالزرق ، وأيدت ثيودورا الخضر وبذلك انقسم البلاط نفسه الى حزبين (٤٥٤) ٠ ويقال أن الزرق كانوا فى الغالب من الطبقات العليا للشعب ، وأن الخضر جاءوا من الطبقات السفلى بحيث أصبح الصراع بينهما فى بعض الأحيان صراعا طبقيا (٤٥٥) ٠

لكن ما هى أهم أسباب شغب نيكا ؟ وكيف حدث ؟

تعددت فى الواقع أسباب ذلك الشغب ، واذا كان بعض المؤرخين قد جعل الأسباب المالية فى المقـــام الأول والرئيسى فان (فازيلييف) ذكر أن

452. Gilbert Dagron : Naissance d'une capitale, p. 332.

هنا يقترب جيبون من نفس المعنى حين يقول : « كانت الالوان الأربعة مأخوذة من مختلف مظاهر الطبيعة على مدار فصول السنة الأربعة : الأحمر القانى من الصيف ، بياض الثلج الناصع من الشتاء ، زرقة الظلال الكثيفة من الخريف ، ثم الأخضر الزاهى البهيج من الربيع ٠ وثمة تأويل آخر لاختيار هذه الألوان ، وهو تفسير يرجح العناصر على الألوان ٠ (جيبون : اضمحلال ، حـ ٢ ص ٤١٠) ٠

(٤٥٣) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧٠ ٠

454. G. Zananiri : Op. cit..., p. 126, A.A. Vasiliev : Op. cit., T. 1, p. 205.

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ، ص ١٧٠ ـ ١٧١

(٤٥٥) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ، ص ١٧١ ٠ عن ٠
(Manojlovic, M. Le peuple de Constntinople)

http://www.al-maktabeh.com

المعارضة ضد جستنيان كانت « ثلاثية الجوانب » (٤٥٦) أبرزها ؛ أسباب متعلقة بالسلالة أو الأسرة الحاكمة ، وأخرى سياسية وثالثة دينية ٠

فمن ناحية التنافس على العرش نجد أن ابنـــــا شقيق الامبراطور أنسطاسيوس (٤٩١ ـ ٥١٨ م) اللذان كانا يعتمدان على تأييـــد الخضر المونوفيزيتيين ، كانا يعتبران أنفسهما قد حرما من حقهما الطبيعى بارتقـــاء جستين ثم جستنيان العرش (٤٥٧) ومن الناحية الدينية آثار اضـــــطهاد جستين وجستنيان للخضر المونوفيزيتيين الذين نادوا بالطبيعة الواحدة جانبا كبيرا منها (٤٥٨) هذا الى جانب النواحى السياسية والضيق المتزايد تجاه الوزراء الرئيسيين ومن بيدهم الادارة والقضاء فى الدولة ،فقد طغى تريبونيان فى القضاء ويوحنا الكبادوكى فى الادارة وتعسفا فى ابتزاز الأموال وفرض الضرائب الباهظة (٤٥٩) ٠

ففى السنة الخامسة من حكمه ـ أى ٥٣٢ م ـ احتفل جستنيان بتلك المناسبة وذلك فى منتصف يناير ، وكانت صيحات السخط من جانب الخضر تعكر صفو الألعاب دون انقطاع ٠ واحتفظ الامبراطور بمهابته الساكنة الى الشوط الثانى والعشرين ، وأخيرا نفذ صبره وانطلق بصوت عال ، وفى عبارات متقطعة « فى أغرب حوار جرى يوما بين مليك ورعاياه » (٤٦٠) ٠ فقد حاولت الفرقة الخضراء أن تعبر للامبراطور عما تقاسيه من ظلم نتيجة

---

456. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. 1, p. 205.

457. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 205,

أسد رستم : الروم ، حـ١ ص ١٧١

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٣ ٠

458. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 205 G. Zananiri : Op. cit., p. 126.

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧١ ، عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٣ ٠

459. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 205, G. Zananiri : Ibid., p. 126, The Encyclopaedia Americana, Vol. 26, p. 628.

عمر كمال توفيق ، تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٧٣ ٠

(٤٦٠) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ... ، حـ ٢ ص ٤١٤ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

للاضطهادات التي تتعرض لها من قبل عصابات الفرقة الزرقاء (٤٦١) ٠ وكانت شكاياهم فى البداية تتسم بالاحترام والاعتدال والتواضع فاتهموا الوزراء بالظلم والجور ، ودعوا للامبراطور بطول العمر والنصر (٤٦٢) ، لكن جستنيان أخذ يكيل الاهانات للخضر ونعتهم بعدة أوصاف منها : «أيها السوقة الوقحاء ! أيها اليهود ! أيها السامريون ! أيها المانويون ! » عند ئذ كرر الخضر استعطاف الامبراطور نحن فقراء ، « نحن أبرياء ، لقد أوذينا فى أموالنا وفى أنفسنا ، ٠٠ اننا مضطهدون بسبب اسمنا ولوننا » (٤٦٣) ٠

ونظرا لعدم استماع جستنيان لصرخات الاستغاثة التى وجهتها الفرقة الخضراء تحول الاسترحام الى شتائم موجهة ضد الامبراطور مثل « قاتل ، جحش ، طاغية ، كذاب » حتى أن الامبراطور الحـــانق صرخ فيهم « هل تحتقرون حياتكم ؟ » عند ئذ استشاطت الفرقة الزرقاء غضبا واضطر الخضر الى الانسحاب (٤٦٤) ٠

وفى تلك الآونة الحرجة المليئة بالخطر ، سيق سبعة من المجرمين من أعضاء الفرقتين ادينوا بجرائم قتل الى ساحة الاعدام ٠ وفعلا تم اعدام خمسة منهم غير أن حبل المشنقة انقطع حينما علق الاثنان الباقيان وسقطا أحياء على الأرض ٠ فصفق الجمهور لافلاتهما ونقلهما الرهبان الذين جاءوا من سانت كونون المجاور فى قارب الى محراب الكنيسة لأن نجاتهما كانت أشبه بمعجزة من المعجزات ٠ ومن المصادفة أن يكون أحدهما من الفرقة الخضراء والآخر من الفرقة الزرقاء ٠ عند ئذ رأى قادة الفرقتين أن الظلم قد أصابهما بالتساوى لهذا عقدا هدنة لاطلاق سراح المعتقلين من الطرفين ومعاقبة الجهات التى حكمت بالاعدام على قسم من أفراد الفرقتين (٤٦٥) وقد خصوا بالذات حنا

---

(٤٦١) عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠ ٠

(٤٦٢) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ حـ ٢ ص ٤١٤ ٠

(٤٦٣) ادوارد جيبون : المرجع السابق ص ٤١٤ ـ ٤١٥ ، عبد القادر أحمـــد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠ ٠

(٤٦٤) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ص ٤١٥ ، عبد القـــادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠ ٠

(٤٦٥) ادوارد جيبون المرجع السابق ، ص ٤١٥ ، عبد القادر أحمد اليوسف : المرجع السابق ص ٧٠ ٠

http://www.al-maktabeh.com

الكبادوكى - حاكم المدينة ورئيس محكمتها - لشراسته فى اصدار العقوبات التعسفية (٤٦٦) ٠

وبذلك نشب عصيا مسلح شعبى فى العاصمة عضده كل من الخضر والزرق (٤٦٧) وترددت فى الهيودروم صيحتهم الغير مألوفة « العمر المديد للزرق والخضر الرحماء » (٤٦٨) ٠

أحرق الثوار على الفور قصر الحاكم الذى تصدى لتيار الشغب وقتل موظفوه وأفراد حرسه ، وهوجمت المبانى وهدمت الحمامات العامة ، وفتحت أبواب السجون عنوة ، ونهبت الخزائن ، وامتدت الحرائق الى كنيسة سانت صوفى والميادين المجاورة لها ، والى جزء من القصر ، كما التهمت النيران مستشفى كبير بمن كان فيه من المرضى ٠٠ بل ان الحرائق اشتعلت فى كافة أنحاء المدينة ، حتى اضطر أغلب أهالى القسطنطينية الى الهرب نحو الجانب الآسيوى (٤٦٩) ٠ وكانت كلمة السر عند الثوار هى « نيكا » أو ، «اسحق» أو « النصر » (٤٧٠) ٠

عند ئذ اتجه جستنيان الى ميدان السباق ليعترف هو نفسه بأخطائه ، وليتقبل ندم رعاياه الشاكرين العارفين لفضله ولكنهم لم يثقوا فى توكيداته ، رغم أنه أقسم بها على الكتاب المقدس (٤٧١) ٠ ووعدهم بأن يبعد تربيونيان وحنا الكبادوكى لكنهم لم يثقوا فى وعده ولم يكن لخطابه أى تأثير عليهم ، كذلك لم تصل الوساطة بينه وبينهم الى أية نتيجة (٤٧٢) ٠ عندئذ أزعج

---

466. L. Bréhier : Vie et Mort de Byzance..., p. 24.
467. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire, T. 1, p. 206.
468. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 72.
469. L. Bréhier : Vie et Mort..., p. 24, G. Zananiri : Op. cit. p. 126.

ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ حـ ٢ ص٤١٥ - ٤١٦ ، عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٠ - ٧١ ٠

(٤٧٠) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ ، حـ٢ ، ص ٤١٦ ، أسد رستم الروم ، حـ ١ ص ١٧١ ٠

A.A. Vasiliev : Op. cit. T. I, p. 206.

(٤٧١) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، حـ ٢ ص ٤١٧ ٠

472. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 206.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ارتيـــــابهم الامبراطور فانسحب على عجل الى « الحصن المكين فى القصر » (٤٧٣) ٠

ويعزى (جيبون) حدة الشغب فى ذلك الوقت الى الظن بأن المتمردين، كان يزودهم بالمال والسلاح ابنا شقيق الامبراطور أنسطاسيوس : هيباتيوس Hypatius-Hypatios وبومبى Pompeius ٠ وكان الامبراطور متقلب فى معاملتهما ، وقد احتجزهما طيلة أيام الفتنة كرهينتين ثم « غلبت مخاوف جستنيان على رزانته فتصور هذين الأخوين جاسوسين ان لم يكونا قاتلين فأمرهما فى جفاء وعنف بمغادرة القصر » (٤٧٤) ٠

وفى صباح اليوم السادس توجه الثوار الى بيت هيباتيوس وأخرجوه قسرا وأحاط به الشعب « ورغم ما أبدى من مقاومة ، ورغم دموع زوجتـــه وتوسلاتها » نقل الأمير الى ساحة قسطنطين « وبدلا من التاج وضعوا على رأسه طوقا ثمينا » (٤٧٥) ولبس العباءة الأرجوانية (٤٧٦) رمز تقلد السلطة والحكم فى الامبراطورية ٠

وفور المناداة بابن شقيق الامبراطور أنسطاسيوس ـ هيبـــاتيوس ـ امبرطورا ، فكر جستنيان فى الهرب من العاصمة الى آسيا (٤٧٧) بعد أن جمع أخصاءه وشاورهم فى الأمر وكادوا يجمعون على ذلك (٤٧٨) ٠ فقد كان القصر البيزنطى يتصل بالبحر اتصالا مباشرا ، ورست القوارب أمام الحديقة واستقر الرأى سرا على انتقال الامبراطور وأسرته وأمواله الى ملجأ آمن بعيدا عن العاصمة (٤٧٩) ٠

---

(٤٧٣) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ ، حـ ٢ ص ٤١٧ ٠

(٤٧٤) ادوارد جيبون : المرجع السبق ، حـ ٢ ، ص ٤١٧ ـ ٤١٨ ٠

(٤٧٥) ادوارد جيبون : المرجع السباق ، ص ٤١٨ ٠

476. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 73, L. Bréhier : Vie el Mort..., p. 24, A.A. Vasiliev : Op. cit.,,, T. 1, p. 206.

(٤٧٧) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧١

G. Zananiri : Op. cit., p. 126,

عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧١ ٠

(٤٧٨) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧١ ٠

(٤٧٩) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ ، حـ ٢ ص ٤١٨ ٠

http://www.al-maktabeh.com

هنا بدت للجميع شخصية ثيودورا الجادة وموقفها المشرف الذى يشبه مواقف رجل الدولة لا المرأة العاطفية ، وتعددت فيها أقوال المؤرخين بالاشادة والمدح · فمن قائل « أنها حمت جستنيان أثناء ثورة نيكا » (٤٨٠) الى آخر يشيد « بشجاعتهـــا التى لا تقهر » التى برزت آنذاك والتى حافظت على جستنيان (٤٨١) · وثالث يعتبرها المنفذ لذلك الموقف الشائك (٤٨٢) ·

فقد لعبت ثيودورا دورا غاية فى الأهمية ، بثباتها ورباط جاشـــها ونشاطها الزائد الذى « انقذت به الامبراطورية ، ربما من انتفاضات أخرى جديدة » (٤٨٣) ·

هذا الى جانب رأيين آخرين أشادا بشجاعة ثيودورا وفى نفس الوقت لم يخلوا من الغمز بماضيها والنبش فيه الأول (لفشر) حين يقول « غير أن تلك المرأة التى حيكت حول اسمها آلاف المخازى وعرفت بعنف النزوة وحب الانتقام ، برهنت على أنها على جانب كبير من النبل ·· وآية ذلك كله موقفها من ثورة نيقا ٥٣٢ م » (٤٨٤) ·

والثانى (لجيبون) الذى أظهر تحامله الشديد عليها باستمرار ـ حيث ذكر أن آمال جستنيان كان مالها الى الدمار والضياع « لو لم تتخل العاهرة التى انتشلها من وهدة المسرح عن الجين المركب فى بنات جنسها وعن فضائلهن على حد سواء» ، ذلك أن ثيودورا وحدها وسط مجلس شهده القائد بليساريوس أظهرت روح البطولة ، كما استطاعت هى وحدها كذلك دون أن ترهب ما يمكن أن يصب عليها الامبراطور من نقمة فيما بعد ـ أن تخلص الامبراطور من الخطر الداهم ومن مخاوفه العقيمة (٤٨٥) ·

والحقيقة أنه فى الوقت الذى اجتمع فيه الامبراطور جستنيان بقادته

---

480. Hamlyn : The Medieval and Renaissance, p. 53.
481. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 72, L. Bréhier : Vie et Mort de Byzance..., p. 24.
482. A.A. Vasiliev : Op. cit..., p. 206.
483. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 172.

(٤٨٤) فشر : ترجمة د· زيادة : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، حـ ١ ص ٤٧ ·
(٤٨٥) ادوارد جيبون : اضمحلال ···· حـ ٢ ص ٤١٨ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وخاصته ومستشاريه وقرروا الفرار انتصبت بينهم ثيودورا فى تلك اللحظة الحرجة وألقت فيهم خطابها الشهير الذى أنقذت فيه الموقف وحفظت العرش لجستنيان (٤٨٦) ٠

فقد انطلقت بصوت جهور وسط الجميع قائلة : « لا أدرى فيما اذا كان من الجائز لامرأة أن تتقدم صفوف الرجال وتتطاول فى كلماتها وهى ترى الآخرين وكان على رؤوسهم الطير ان الوقت لا يسمح باطالة المناقشة وتقليب وجهات النظر بين هذا الأمر وذاك ٠ ان الحل الصائب هو النهوض بالأمر الذى تتطلبه الساعة التى نحن فيها ٠ وما الحل فى الهزيمة وان كانت فيها السلامة (٤٨٧) ٠ ان كل نفس ذائقة الموت ، ولكن من يمارس السلطة لا يطيق النفى ٠

أيها الامبراطور ! اذا أردت أن يمد فى عمرك فعليك بالهرب ، وأمره يسير ، فهاك سفنك وهاك البحر ٠ ولكننى أرجوك أن تذكر اذا فزت بالهرب ولذت بالمنفى أن سوف تقول طوال حياتك الطويلة ٠ ياليتنى مت قبل هذا ! أما أنا فلن أحيد عن المثل القديم الذى يقول بأن العباءة الامبراطورية خير الأكفان » (٤٨٨) ٠

والحقيقة لقد كان لخطاب ثيودورا أثرا كبيرا على جستنيان فقد أدى

---

(٤٨٦) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧١ ، عبد القادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧١ ٠

(٤٨٧) د ٠ عبد القادر اليوســـف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧١ ٠ عن (Procopius)

(٤٨٨) فشر : ترجمة د ٠ زياده : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، حـ ١ ص ٤٧ أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧١ ـ ١٧٢ ،

A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire... T. 1... p. 206, G. Zananiri : Hist. de l'Eglise..., p. 127.

أما جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ حـ ٢ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ ٠ فيترجم بعض عبارات الخطاب بأسلوب مخالف بعض الشىء مثل : « ما ولدنا الا لنموت ٠٠٠ لا يجوز لمن تولوا الملك أن يبقوا على قيد الحياة بعد فقدان ملكهم ومنزلتهم الرفيعة ، وانى لأدعو الله الا يمد فى أجلى ولو يوما واحدا بدون تاجى وحلتى الامبراطورية ، وألا أرى النور فى اللحظة التى لا يعود الشعب يدعونى فيها بالملكة ٠٠ ان العرش مثوى كريم » ٠

http://www.al-maktabeh.com

الى انتعاشه (٤٨٩) والى تمالكه نفسه مرة ثانية (٤٩٠) · بعد أن بعثت فيه ثيودورا الثبات والأقدام (٤٩١) وحثته على عدم التنازل عن العرش (٤٩٢) · فقد كانت غير مستعدة بأية للتسليم بالهزيمـــــة فتغلبت بذلك على تردد زوجها (٤٩٣) ·

وسرعان ما عرت الدهشة الزرق لخطيئتهم وحماقتهم فى أن يستنفرهم شيء يسير من الأذى الى أن يتآمروا مع ألد أعدائهم ضد الامبراطور ، فنادوا من جديد بجستنيان ملكا ، وترك فريق الحلة الخضراء مع « امبراطورهم المحدث » وحدهم (٤٩٤) ·

وثمة رأى يذكره غالبية المؤرخين هو أن مهمة اخمـــــاد وردع ذلك العصيان المسلح عهد بها الى بلزاديوس (٤٩٥) · والراجح أن نارسيس قائد جستنيان المشهور قد اشترك فى التخطيط للقضاء على ذلك التمرد بدليل قول (أستروجورسكى) أن جستنيان أنقذ من ذلك الشغب بفضل ثلاث عوامل « شجاعة الامبراطورة ثيودورا التى لا تقهر ، وتصميم بلزاريوس ، ودهاء نارسيس فى تمزيق وحدة الثوار » (٤٩٦) فى حين ذكر (برييه) صراحة أن « بلزاريوس ونارسيس هما اللذان حاصرا الثوار » (٤٩٧) ·

وبعد أن استمرت الثورة أو العصيان أو التمرد أو الشغب ســـــتة أيام (٤٩٨) أو أسبوعا على حـــــد تعبير بريـــــه (من ١١ الى ١٨ يناير

---

(٤٨٩) أسد رستم : الروم ، حـ ١ ص ١٧٢ ·

490. G. Zananiri : Ibid., p. 127.

(٤٩١) عبد القادر اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧١ ·

492. The Encyclopaedia Americana, Vol. 26, p. 628.

493. Larousse Encyclopedia..., p. 252.

(٤٩٤) ادوارد جيبون اضمحلال ، حـ ٢ ص ٤١٩ ·

495. A.A. Vasiliev : Op. cit..., T. 1, p. 207, G. Zananiri : Op. cit..., p. 127.

496. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 73.

497. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 24.

498. A.A. Vasiliev : Op. cit., p..207

مكتبة المهتدين الإسلامية

٥٣٢ م) (٤٩٩) ، أجبر بلزاريوس - وغيره من رجال الجيش - (٥٠٠) الثوار الساخطين على اللجوء الى الهيبودروم (٥٠١) · حيث « غاصت تلك المحكمة الشعبية بالثوار الذين أيقنوا بضرورة انتصار بلزاريوس عليهم » (٥٠٢) · وهناك طوقوا - بعد اغلاق الأبواب عليهم - وأخذوا بغتة بهجوم منظم من جانبى الهيبودروم (٥٠٣)·«وذبح الثوار بدون رحمة» (٥٠٤)· وذلك فى مذبحة مروعة (٥٠٥) تراوح عدد ضحاياها بين ثلاثين ألفا أو أربعين ألفا (٥٠٦) ·

أما هيباتيوس الامبراطور - الذى أكره بواسطة الثوار على ارتقاء العرش لفترة وجيزة - فقد لقى حتفه هو وأخيه وعدد من أنسباء أنسطاسيوس (٥٠٧) ·

---

499. L. Bréhier : Vie el Mort de Byzance, p. 24.

(٥٠٠) اذا كان بريبه كما سبق ان ذكرنا قد أضاف اليه نارسيس فان جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، حـ ٢ ص ٤١٩ يضيف اليه اسم قائد آخر هو مندوس ·

501. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 207, G. Zananiri : Op. cit., p. 127,

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ، ص ١٧٢

502. G. Zananiri : Ibid., p. 127.

503. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 73, L. Bréhier : Vie et Mort, p. 24, G. Zananiri : Op. cit., p. 127, A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 207,

ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، حـ ٢ ، ص ٤١٩ ويضيف جيبون أن قوات الجيش التى استعان بها جستنيان كانت تتألف من ثلاثة آلاف جندى محنك كانوا قد دربوا على البسالة والنظام فى حروب فارس والليريا ·· وأنهم اطبقوا فى لحظة واحدة على المدخلين المتقابلين لميدان السباق ·

504. L Bréhier : Vie et Mort... p. 24.

505. G. Ostrogorsky : Op. cit..., p. 73.

506. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 207,

أسد رستم : الروم ، حـ ١ ، ص١٧٢

507. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 207, G. Zananiri : Op. cit., p. 127,

ادوارد جيبون : اضمحلال ، حـ ٢ ، ص ٤٢٠ · وهنا يفصل جيبون الحديث عن نهاية هيباتيوس قائلا : اقتلع هيباتيوس عن عرشه ، واقتيد مع أخيه بومبى حتى خرا تحت قدمى جستنيان يرجوان الرفق والرحمة ولكن جرمهم كان صارخا ، وكانت براءتهم موضع شك . وحالت شدة فزع جستنيان دون غفران الذنب · وفى صباح اليوم التالى أعدم الجنود خفية ابنى شقيق انسطاسيوس مع ثمانية عشر آخرين من أبرز شركائهم فى الجريمة من الأشراف والقناصل والقيت جثثهم فى البحر وهدمت قصورهم وصدرت أموالهم ·

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا استقر جستنيان من جديد على عرش متين (٥٠٨) ٠ وبالاضافة الى ذلك انحاز الجيش الى جانب جستنيان بكل اخلاص ، وكان مستعدا للاتجاه مع الامبراطور الى أى جهة يختارها (٥٠٩) ٠

وبذلك طويت تلك الصفحة الشائكة من تاريخ جستنيان والمشرفة فى نفس الوقت من تاريخ ثيودورا ٠

وفى ٥٤٨ م توفيت ثيودورا (٥١٠) بعد أن أصيبت بالسرطان (٥١١) فكانت خسارة جستنيان فيها فادحة ، لأنه « فقد بوفاتها مستشارة نشيطة أمينة فانكشفت نقائصه وأهمها التردد والهوس باللاهوت ، فأهمل واجباته الادارية وكرس معظم لياليه للجدل الدينى » (٥١٢) ٠

هنا أيضا لم تسلم ثيودورا من تجريح (جيبون) عند كلامه عن حزن جستنيان الكبير عليها حيث ذكر أن زوجها خسر بموتها خسارة لا تعوض وهو الذى « كان فى مقدوره أن يتخير أنبل وأطهر عذراء فى الشرق ، بدلا من داعرة المسرح الفاجرة » (٥١٣) ٠

عندئذ لم يجد جستنيان ـ الذى هده الحزن الشديد ـ وسيلة أيسر لديه لارضاء تلك الزوجة الغالية الحبيبة الى قلبه من أن يوزع الكثير من الذهب على روحها ، كى تستقر وتهدأ فى مثواها الأخير (٥١٤) ٠

هذا الى جانب صورتها الرائعة المصنوعة من الفسيفساء والموجودة

---

508. A.A. Vasiliev : Ibid..., p. 207.

509. Larousse Encyclopedia..., p. 252.

510. Hamlyn : The Medieval and Renaissance World..., p. 53,

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٩٣ ٠

(٥١١) ادوارد جيبون : اضمحلال ... ج ٢ ، ص ٤٠٨ ، أسد رستم : الروم ٠ ج ١ ، ص ١٩٣ ٠

(٥١٢) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٩٣ ٠

(٥١٣) ادوارد جيبون : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٤٠٨ ٠

514. Chronique de Michel le Syrien, T. II Fascicule II, p. 243.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فى سانت فيتال فى رافنا التى عاشت لتخلد ذكرى ثيودورا طويلا (٥١٥) · حيث تستقر فى صدر الكنيسة تلك الصورة الفريدة فى بريقها ولمعانها ، فقد صنعت من الفسيفساء المذهبة (٥١٦) · تلك الصورة التى تشهد بعظمة ثيودورا التى تقف ندا لعظمة جستنيان (٥١٧) ·

وتعتبر فسيفساء رافنا عن ثيودورا من أشهر ما خلده الفن البيزنطى فى القرن السادس الميلادى (٥١٨) · فالصورة تبين ثيودورا بثيابها الامبراطورية محاطة بحاشيتها (٥١٩) ·

والواقع أن أعجب ما فى تلك الصورة يكمن فى غنى محتوياتها ، وفى المهارة فى تناسق ألوانها (٥٢٠) ·

ولم يكتف جستنيان بتلك التحفة الخالدة لزوجته التى أحبها الى درجة العشق والهيام ، بل انه زينت حجرات القصر المقدس أيضا بصورها من الفسيفساء · فقد كانت رغبة جستنيان الملحة « أن يضم ثيودورا الى الانتصارات العسكرية والأمجاد الأكثر بريقا لعصره » (٥٢١) ·

---

515. C. Diehl : Theodora,... p. 144, C. Diehl : Hist. de l'Empire..., p. 25, Cam. Med. Hist. V. II, pp. 25-26. عن (Diehl), Hamlyn, op. cit., p. 53.

516. C. Diehl : Theodora..., p. 145.

517. C. Diehl : Hist. de l'Empire..., p. 25, Diehl : Theodora, p. 145.

518. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire..., T. I, p. 173, Cam. Med. Hist., V. IV Part II, pp. 318-319.

ويضيف المرجع الآخير الى

صورة ثيودورا صورة أخرى عن قنسطنطين الرابع وأولاده فى سانت أبولينا St. Apollinare كأعظم ما قدمه البيزنطيون فى فن الفسيفساء فى القرن السادس·

519. A.A. Vasiliev : Ibid..., p. 173.

520. Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 324 هنا يضيف نفس المرجع

ان العباءة كانت مزينة بصور من العبادة المجوسية · كان الرعايا الوثنيين والمسحيين قد طرزوها ابرازا لمحبتهم المتساوية لها ، وقد بقيت تلك العباءة ذات شعبية كبيرة جدا فى مصر حتى بعد الفتح العربى لها · وربما يفسر لنا ذلك قول هاملين (Hamlyn Op. cit., p. 53) أن « خدمها » هم الذين رسموا لها صورة رافنا · وخدمها هنا تحمل أحد معنيين · اما خدمها أو موظفيها · والمرجح أنهم محبيها والمخلصين لها من رعاياها ·

521. C. Diehl : Theodora..., p. 145, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26.

http://www.al-maktabeh.com

كذلك ظهر اسم ثيودورا على الأختام الامبراطورية جنبا الى جنب مع جستنيان بل انه فى كل أنحاء الامبراطورية كانت غاية العظمة أن تشتق أسماء بعض المدن والأقاليم من اسمها مثل Theodoropolis, Théodoriade (٥٢٢) ٠

هذا بالاضافة الى أن الشعب المعترف بفضلها أقام لها العديد من التماثيل مثلما أقامها لجستنيان (٥٢٣) ٠

وحتى يومنا هذا لا تزال هناك شواهد وأدلة باقية تثبت وتبرهن على ارتفاع وسمو مكانة ثيودورا فى حكومة الامبراطورية البيزنطية ٠ فمن الممكن لأى شخص أن يقرأ اسمها على المبانى التى أقامها جستنيان مكتوب أعلى الأبواب فى الكنائس التى شيدها بالاشتراك مع اسم الامبراطور ، كذلك يمكن أن يقرأ اسمها أيضا على خيام السيرك وعلى تيجان الأعمدة فى كنيسة سانت سيرج Saint Serge وسانت صوفى Sainte Sophie ، حيث تتشابك أيضا صورتها جنبا الى جنب مع صورة الامبراطور (٥٢٤) ٠

---

522. C. Diehl : Ibid..., p. 145
523. Cam. Med. Hist. V. II, p. 26.
524. C. Diehl : Theodora..., pp. 144-145.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثالثا : المرأة البيزنطية كامبراطور

١ ـ الامبراطورة ايرين :

وهى التى سبق أن أشرنا اليها من قبل كوصية أم ، والتى أنهت فترة وصايتها ثم حكمها المشترك مع ابنها قسطنطين السادس (٧٨٠ ـ ٧٩٧ م / ١٦٤ ـ ١٨١ هـ) بخلعه وازاحته عن العرش بعد أن سملت عينيه ثم انفردت هى بالحكم وحدها (٥٢٥) باسم امبراطور (٥٢٦) Emperor-Basileus لا امبراطورة بالتأنيث . بل ان بعض المصادر والمراجع أشارت الى أنها « لبست زى الرجال » (٥٢٧) كذلك وتمتعت بكل سلطات الامبراطور (٥٢٨).

وبذلك كانت ايرين أول امرأة تتولى العرش البيزنطى بمفردها (٥٢٩) ، وذلك لمدة خمس سنوات (٨٩٧ ـ ٨٠٢ م (٥٣٠) / ١٨١ ـ ١٨٦ هـ) فأصبحت الحاكم الأوحد لبيزنطة (٥٣١) بل الامبراطور الرومانى الأوحد (٥٣٢) . وبذلك حققت غاية ما كانت تتمناه (٥٣٣) .

---

525. Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 5.

ولا عبرة هنا بما ذكره البيرونى : الآثار الباقية عن القرون الخالية مكتبة المثنى ببغداد ص ٩٨ من أن « ايرينه التى أخذت الملك من أبيها » فالراجح أنه أخطأ وذكر أبيها بدلا من ابنها .

526. L. Bréhier: Vie et Mort, p. 93, G. Ostrogorsky: Op. cit., p. 181, C.W. Previte Orton; Op. cit., V. I, p. 250, Larousse Encyclopaedia., p. 273, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 6, Emile Amann: Op. cit., p. 168,

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦ ، رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٣ . عن [Zachariae]

527. L. Bréhier : Ibid., p. 93, Larousse Encyclopedia..., p. 273.
528. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 353.
529. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181, M.V. Anastos : Op. cit., p. 89, Diehl : Hist. de l'Empire..., p. 78, L. Halphen : Op. cit., p. 311.
530. M.V. Anastos : Ibid., p. 89, L. Bréhier : Op. cit., p. 93, L. Halphen : p. 312.
531. Chronique de Michel le Syrien, T. III, p. 12, G. Ostrogorsky : Op. Cit., p. 181, Hamlyn : Op. cit., p. 16, L. Halphen : Op. cit., p. 245.
532. L. Bréhier : Op. cit., p. 93.
533. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 181.

http://www.al-maktabeh.com

ولكن الى أى مدى نجحت أيرين الامبراطور ؟ لكى نجد الجواب المتكامل على هذا السؤال يجب علينا أن نتناول موقفها من الداخل والخارج معا · وحتى فى الداخل يجب علينا أن نلقى الضوء على داخل الامبراطورية ككل وداخل القصر الامبراطورى نفسه ·

ففى داخل الامبراطورية لجأت ايرين الى أسلوبين لتدعيم نفـــوذها أحدهما أسلوب الردع والقسوة والثانى أسلوب التودد لكسب الشعبية ·

أما الأسلوب الأول ، فقد افتتحت حكمها تلك المرة بمؤامرة ضد أبنـــاء قنسطنطين الخامس الذين كانت قد نفتهم الى أثينا · ثم اضطرت ٧٩٩ م / ١٨٣ هـ الى سمل أعين أربعة منهم ، الى جانب شركائهم نتيجة لتآمر السلاف ومحاولتهم اختيار امبرراطور جديد من بين هؤلاء المنفيين (٥٣٤) ·

وللتودد لشعبها استدعت أولا الرهبان المنفيين بواسطة ابنها قنسطنطين السادس ، وأعلن قرار الحرمان والعزل ضد القسيس الذى كان قد أتم مراسيم الزواج الثانى لقنسطنطين (٥٣٥) · وحاولت ثانيا زيادة شعبيتها عن طريق تخفيض الضرائب والغاء بعضها عن سكان القسطنطينية (٥٣٦) ·

أما بالنسبة للقصر الامبراطورى فقد كان الجو داخله ملىء بالمؤامرات والدســـائس (٥٣٧) · ولما كانت ايرين نفسها مريضـــة فقد انتهز وزيريها البارزين ستوراقيوس وايتيوس الفرصة وحاك كل منهما المؤامرات ضد الآخر ولكنهما لم يستطيعا الوصول للعرض لأنهما من الخصيان (٥٣٨) ·

وبالنسبة للخارج كانت علاقاتها ذات اتجاهين أحدهما مع المســـلمين فى آسيا والثانى مع شارلمان فى أوربا ·

فمن ناحية المسلمين نجد أن هجماتهم قد اشتدت فى أيام هارون الرشيد على حدود الدولة البيزنطية فى الجزء الجنوبى الشرقى منها وتوغلت الغزوات الاسلامية فى آسيا الصغرى ، بل ان المسلمين عنما حصنوا ثغر طرسوس على

---

534. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 192, M.V. Anastos : Op. cit., p. 89, Bréhier : Op. cit., p. 94.
535. L. Bréhier : Ibid., p. 93.
536. M.V. Anastos : Op. cit., p. 89, Larousse Encyclopaedia, p. 273.
537. M.V. Anastos : Ibid., pp. 89-90.
538. M.V. Anastos : Ibid., p. 90, Bréhier : Op. cit., p. 94.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الحدود ، لجأت الامبراطورة ايرين الى شراء مسالمة الرشيد بدفع ضريبة ١٨٧ هـ (٥٣٩) / ٨٠٢ م جددت فيها ضريبة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م الباهظة (٥٤٠).

والحقيقة ان حنكة ايرين السياسية هي التي دفعتها الى توقيع تلك المعاهدة ، فبدلا من أن تهاجم في عقر دارها وهي في مستهل حكم جلست فيه على عرش يحيط به جو مليء بالمؤامرات فضلت أن تتفرغ لشئونها الداخلية وتكسب بشتى الوسائل شعبيتها كي توطد أقدامها على الأرض البيزنطية قبل أن تفكر في الخروج الى أي مسرح خارجي .

كانت ايرين تشعر تماما أنها ستخسر أية جولة في مواجهة الفتح العربي المتقدم لذا فضلت أن تدفع ثمنا باهظا لذلك التقدم بدلا من الدخول في جولة خاسرة وهذا هو ما سيتضح لنا فيما بعد عندما تولى نقفور العرش بعدها وبعث برسالته المشهورة الى الرشيد قائلا : « ان الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق (٥٤١) . فحملت اليك من أموالها وذلك لضعف النساء وحمقهن ... » الى آخر تلك الرسالة التي ما أن قرأها الرشيد حتى « اشتد غضبه وتغرق جلساؤه خوفا من بادرة تقع منه ». وما كان من الرشيد الا أن كتب على ظهر نفس الرسالة « من هارون أمير المؤمنين الى نقفور كلب الروم . قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه دون ما تسمعه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار » . وتقدم ثوا الى بلاد الروم يقتل ويسبي « وذل نقفور وطلب الموادعة على خراج يحمله كل سنة فأجابه » (٥٤٢) .

---

(٥٣٩) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٤ (دار صادر بيروت ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م) .

540. L. Bréhier : Op. cit..., p. 93, Diehl : Op. cit., p. 78.

(٥٤١) الرخ طائر وهمي كبير والبيدق طائر من أصغر الجوارح . (المنجد في اللغة والاعلام - دار المشرق - بيروت) . أما د . أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ فيذكر ان نقفور قد ذكر في رسالته « أن المرأة وضعتك موضع الشاة] الملك [.. ووضعت نفسها موضع الرخ » ثم وضح ذلك بقوله ان الشاة والرخ من أدوات الشطرنج .. ثم استرسل في عرض باقي الرسالة بقوله : وينبغي أن تعلم أني أنا الشاة وأنت الرخ فأدالي ما كانت المرأة تؤدي اليك .

(٥٤٢) ابن الأثير : الكامل ، ج ٦ ، ص ١٨٥ ، ابو الفدا : المختصر في اخبار البشر ج ٢ ص ١٧ ، ابن الوردي : تتمه المختصر ، ج ١ ، ص ٣١٢ ، القلقشندي : مآثر

http://www.al-maktabeh.com

وهكذا جنبت ايرين نفسها هزيمة يتبعها جزية وسارعت منذ البداية لدفع الجزية السنوية حتى تنتهى من توطيد جبهتها الداخلية · ولم يكن دافعها لعمل ذلك ناتجا عن ضعف النساء وحمقهن كما ذكرت المصادر العربية السابقة ·

أما عن العلاقة بشارلمان فى تلك المرحلة من حكم ايرين فقد فوجىء العالم أجمع والدولة البيزنطية خاصة بتتويج شارلمان امبراطورا للغرب الأوربى ٨٠٠ ميلادية (٥٤٣) / ١٨٣ هـ · وبذلك أصبح شارلمان مكملا لسلسلة الأباطرة فى الامبراطورية الرومانية (٥٤٤) · وأخذت روما عندئذ من القسطنطينية حق اختيار الامبراطور ، الذى كان يمثل ظل الله فى الأرض (٥٤٥)

ولكن ماذا كانت نظرة بيزنطة لشارلمان ؟ أو بمعنى آخر ماذا كانت نظرة ايرين لشارلمان ؟

لقد اعتبرت الدولة البيزنطية تتويج شارلمان مجرد حركة ثورية من الحركات العديدة التى قامت ضد السلطة الشرعية (٥٤٦) · بل نظرت الى مراسيم التتويج التى تمت فى كنيسة القديس بطرس على أنها مجرد «ملهاة هزلية غير جديرة بالاحترام » (٥٤٧) ·

ورغم ذلك شعرت ايرين أنها أمام منافس لا يستهان به فاعتقدت أنه سيحاول انتزاع بقية أراضيها ، لذلك فعندما سرت شائعة عن قرب رسو بعض قطع الأسطول الفرنسى بصقلية ، أخذت ايرين من جانبها « تستعد لمنافسة ملك فرنسا كعدو » (٥٤٨) ·

= الأناقة فى معالم الخلافة ، ج ١ ص ١٩٥ ـ ١٩٦ ، اليافعى : مرآة الجنان ، ج ١ ص ٤٠٣ ·

543. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 351.
544. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 353.
545. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 353.
546. A.A. Vasiliev : Ibid., p. 354.
547. L. Halphen : Op. cit., p. 249.
548. L. Halphen : Ibid., p. 249.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عندئذ فكر شارلمان جديا فى الزواج من ايرين بل وافتتح مفاوضات الزواج فعلا مؤملا من وراء ذلك توحيد أقاليم الشرق والغرب (٥٤٩) ٠ وبذلك كان هدف شارلمان من هذا الزواج سياسيا أراد من ورائه القضاء على عدم الاستقرار سواء فى الدولة البيزنطية أو فى مملكة الفرنجة نفسها وذلك بجمع شمل المتنافسين فى زيجة واحدة (٥٥٠) ٠

وقد أيدت ايرين الفكرة وتلقتها بالترحاب ، كما أيدها أيضا البابا ليو الثالث (٥٥١) ٠ وكان من الممكن أن يبدل ذلك الزواج مجرى التاريخ (٥٥٢)٠ لكن لم يقرر لتلك الزيجة أن تتم ، فما أن وصل مبعوثى الامبراطور شارلمان والبابا الى القسطنطينية لأنهاء المراسيم الخاصة بها ، حتى قامت ثورة فى العاصمة البيزنطية فى ٣١ أكتوبر ٨٠٢م (٥٥٣) / ١٨٦ هـ ، أطاحت بحكومة ايرين ونادت بنقفور ـ وزيرها الأول والمسئول السابق عن خزانة الدولة ـ امبراطورا (٥٥٤) ٠

عندئذ نفيت ايرين الى جزيرة برنسيس ثم الى جزيرة لسبوس حيث توفيت فى الأخيرة بعد فترة وجيزة فى ٩ أغسطس ٨٥٣ م (٥٥٥) / ٢٣٩ هـ ٠

٢ ـ زويه وثيودورا ابنتى قنسطنطين الثامن : (٥٥٦)

وهما اللتان توليتا الحكم والسيادة مشتركتين ١٠٤٢ م / ٤٣٣ هـ بعد

---

549. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 355.
550. L. Halphen : Op. cit., p. 249.
551. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 355, M.V. Anastos : Op. Cit., p. 90.
552. M.V. Anastos : Ibid., p. 90.
553. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 186, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 251, L. Bréhier : Op. cit., p. 94.
554. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 186, L. Halphen : Op. cit., p. 249, L. Bréhier : Ibid., p. 94.
555. G. Ostrogorsky :Ibid., p. 186, L. Bréhier : Ibid., p. 94, M.V. Anastos : Op. cit., p. 90.

اما ميخائيل السريانى فيذكر « أن ايرين نفيت الى اثينا حيث ماتت بها مؤمنة تقيـــة » ٠

Chronique de Michel Le Syrien : Op. cit., T. III, p. 13.

(٥٥٦) آخر الاعضاء الذكور للاسرة المقدونية ، ويعتبر عهده هو الفترة الأخيرة

http://www.al-maktabeh.com

وفاة والدهما ، وتلك هى الحالة الفريدة التى تقاسم فيها اثنان الحكم الأوتورقراطى المطلق (٥٥٧) ٠

ولكن كيف حدث ذلك ؟

فى ٤١٩ هـ (٥٥٨) / ١٠٢٨ م توفى قنسطنطين الثامن ولم يكن لديه أولادا ذكورا (٥٥٩) بل ترك ثلاث بنات فقط (٥٦٠) ٠ كانت أكبرهن وهى ايودوكيا Eudocia مشوهة الوجه بسبب الجدرى ، لذا سلكت سلك الراهبات (٥٦١) ٠ وعلى ذلك فلم تكن كبرى بنات قنسطنطين الثامن هى التى « ملكها الروم » (٥٦٢) عليهم بعد والدها ٠

كانت ابنتى قنسطنطين الأخرتين هما زويه Zoe وثيودورا

=

المخزية بالنسبة لتلك الأسرة ، خلف أخاه باسل الثانى فى حكم الامبراطورية البيزنطية من ١٠٢٥ ـ ١٠٢٨ م ٠ ولقد كان امبراطورا مساعدا لمدة نصف قرن ، لكنه كان مساعدا خاملا ويقال أنه لم يكن نشطا فى شىء سوى فى المرض ٠ وقد ظل يعتبر الشخصية التافهة الى جوار شقيقه القوى ، وعندما اضحى كهلا ، أصبح امبراطورا بالاسم أكثر منه حقيقة ٠ لم يكن قنسطنطين الشخصية الغير موهوبة كلية ، لكن كان يعوزه الاحساس بالمسئولية فقد ترك شئون الدولة للاخرين ، وقضى وقته فى حضور مآدب الطعام والشراب ، وفى الاستمتاع بحفلات المسرح التى أنفق وبدد فيها ـ بطيش واهمال ـ الموارد المالية للامبراطورية التى جمعها باسل الثانى ٠ وقد كانت كل متطلبات قنسطنطين الثامن فى الحياة هى الانغماس فى الملذات المتطرفة ٠ وبمعنى آخر كان قنسطنطين الثامن مسرفا فاسقا فأسرع باضمحلال قوة الرومان التى بدأت تذبل بعد وفاة باسل الثانى ١٠٢٥ م ٠

G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 298, 299, 321, 574, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 273, The Encyclopedia Americana, V. 7 (1974) p. 650 عن J.H. Jen Kins

(٥٥٧) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٤ ٠

(٥٥٨) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٣٧٠ ٠

559. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 321.

(٥٦٠) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص٤٩٨ ، القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠ ، G. Ostrogorsky : Ibid., p. 321.

561. G. Ostrogorsky : Ibid. p. 321.

(٥٦٢) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠ ،

مكتبة المهتدين الإسلامية

Theodora وكانتا قد ودعتا فى ذلك الوقت سن الشباب لكنهما كانتا آخر أعضاء الأسرة المقدونية ، وعليه فقد قدر لهما أن يلعبا دورا مهما فى التاريخ البيزنطى خلال السنوات التالية (٥٦٣) ٠

كانت زويه وثيودورا لا تمتلكان من قدرات الحكم شيئا « ووفقا لعواطفهما وأهوائهما أعدمتا مصير الامبراطورية التى كانت آخذة آنذاك فى الانهيار » (٥٦٤) ٠

والحقيقة أنه قبل أن تعتلى الأختين عرش الامبراطورية حكم الشعب البيزنطى بواسطة الامبراطورة زويه بالاشتراك مع زوجها ثم عشيقها الذى أصبح بعد ذلك زوجا لها أيضا ٠ ولتفصيل الكلام عن ذلك نقول :

لقد أوجزت المصادر العربية الكلام عن هذا الموضوع بالصورة التالية، فابن الأثير يشير الى أنه « فى ٤١٩ هـ توفى قنسطنطين ملك الروم وانتقل الملك الى بنت له ، وقام بتدبير الملك والجيوش زوجها وهو ابن خالها » (٥٦٥) ٠ وفى موضع آخر يذكر نفس المصدر أن كبرى بنات قنسطنطين ملكت بعده « وتزوجت أرمانوس وهو من أقلرب الملك وملكته فبقى مده » (٥٦٦) ٠ فى حين يذكر القلقشندى أن الروم ملكوا عليهم كبرى بنات قنسطنطين « وقام بأمرها ابن خالها أرمانوس وتزوجت به فاستولى على مملكة الروم » (٥٦٧) ٠ والمقصود هنا زويه وليست ثيودورا وفقا لتحديد المصادر والمراجع العربية كما سيلى ٠

أما المصادر والمراجع الغربية فتشير الى أنه على خلاف المعتاد ، وعندما كان الامبراطور قنسطنطين الثامن على فراش الموت حاول أن يتم زواج احدى بناته ـ الأميرتان المسنتان ـ وبحث عن زوج مناسب ٠ وفى اللحظات الأخيرة

---

563. G. Ostraogorsky : Op. cit., p. 321.

564. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 273.

(٥٦٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣٧٠ ٠

(٥٦٦) نفس المصدر ص ٤٩٨ ٠

(٥٦٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ص ٤٠٠ ٠

http://www.al-maktabeh.com

وقع اختياره على رئيس المدينة Romanus Argyrus (٥٦٨) الذى كان ممثلا بارزا للارستقراطية الوطنية للعاصمة ، وكان يشرفه انتماءه الى أسرة بيزنطية عريقة أولا ، الى جانب وظيفته ثانيا · وبالتحديد فى ١٢ نوفمبر ١٠٢٨ م تزوج رومانوس من زويه التى كانت فى الخمسين من عمرها · وبعد مضى ثلاثة أيام على وفاة قنسطنطين الثامن ، ارتقى رومانوس العرش باسم رومانوس الثالث أرجيروس (٥٦٩) · الذى حكم الامبراطورية من ١٠٢٨ الى ١٠٣٤ م (٥٧٠) وكان يبلغ من العمر آنذاك ستين عاما وكان على قدر من الثقافة ·

أما عن مواهب رومانوس الثالث الطبيعية كحاكم فكانت منعدمة على الاطلاق ، لكنه « حاول أن يحذو حذو الشخصيات البارزة فى الماضى ، والتى كانت أطيافها تسبح باستمرار أمام عينيه » (٥٧١) ·

والواقع أن رومانوس حكم الامبراطورية البيزنطية كشريك للامبراطورة زويه (٥٧٢) · وهو الذى أشار اليه المصدر العربى باسم « أرمانوس » (٥٧٣)

---

568. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 321, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 195

· هنا يضيف أستروجورسكى أن وظيفة (Eparch of the City) رئيس المدينة وبالتحديد ابرش القسطنطينية كانت باستمرار وظيفة مشهورة وقد زادت مكانتها فى القرن الحادى عشر · بينما نجد كتاب المراسيم Book of Ceremonies فى القرن العاشر قد وصف الابرش (بوالد المدينة) وقد ذهب أحد كتاب القرن الحادى عشر أبعد من ذلك بقوله أن تلك الوظيفة كانت من المناصب الامبراطورية الرفيعة وأن صاحبها لا يفرقه عن الامبراطور شيئا سوى لبس الأرجـــوان ·

569. G. Ostrogorsky : Ibid., pp. 321-322. كان رومانوس الثالث ينحدر من سلالة رومانوس الأول ، ورغم معارضة الكنيسة فقد أجبر رومانوس ارجيروس على طلاق زوجته وتحويلها الى سلك الراهبات ، فى مقابل تلك الزيجة الجديدة كى يصل الى الحكم ثم لبس الأرجوان (C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 273, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 195)

570. C.W. Previte Orton : Ibid., V. I, p. 273.

571. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 322.

572. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 273, The Encyclopedia Americana V. 23, p. 657, The Encyclopedia Americana, international Edition V. 29, p. 788.

(٥٧٣) ابن الاثير الكامل ، ج ٩ ، ص ٤٣٨ ، ٤٩٨ - ٤٩٩ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

كانت زويه هى الابنة الوسطى للامبراطور قنسطنطين الثامن ، وكانت على قدر كبير من الجمال ، الذى شهد به (بسللو) المعاصر لها ، الى جانب الصورة الرائعة التى رسمها لها أحد كبار الفنانين بالفسيفساء فى كنيسة سانت صوفى فىصالة العرض الخاصة بالنساء · كانت زويه جميلة ـ أكثر بنات قنسطنطين الثامن جمالا ـ طموحة ، ساذجة ، تعتقد بشدة فى كلام العرافين والمشعوذين · ولم يكن لديها أية دراية بفن الحكم · ومن دلائل شدة جمالها أنها ظلت مثيرة للانتباه حتى فى كهولتها ببشرتها الصافية الناعمة وباهتمامها بأناقتها ومظهرها (٥٧٤) · هـذا وقد كانت تتصف بالشهوانية والتهور والتبذير (٥٧٥) ·

والواقع أنه منذ اللحظة الأولى لزواج زويه من رومانوس ولمدة عدة سنوات ، كان هناك حاجزا واضحا بين الامبراطور رومانوس وبين الامبراطورة زويه ، فبمجرد أن اعتلى العرش البيزنطى ، ترك الامبراطورة الكهلة المرهقة كما مهملا ، هذا بالاضافة الى أنه ضيق عليها مصروفاتها (٥٧٦) ·

وهنا نتوقف قليلا لنتساءل عن سر بقاء تلك الامبراطورة دون زواج حتى سن الخمسين ، رغم جمالها وأناقتها وحسن مظهرها ؟

ويمكننا أن نستشف اجابتنا من أنه ربما يكون خذلانها فى حبها الأول هو السبب · فقد قرأنا عن مفاوضات قامت من أجل زواج الامبراطور الغربى الشاب أوتو الثالث Otto III. منها · ورغم ما قيل عن اخفاق تلك المفاوضات ، فانه عندما توجهت الأميرة زويه الى ايطاليا فى يناير ١٠٠٢ م/ ٣٩٢ هـ لتتلقى العلم · فوجئت بأن خطيبها قد قضى نحبة وهو فى ريعان شبابه وذلك عند وصولها الى مدينة (بارى) الايطالية (٥٧٧) ·

ولسوء حظ رومانوس أرجيروس أنه هزم فى سوريا وأن العاصفة

---

574. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I. pp. 194, 323.
575. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 273.
576. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323, Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 196.
577. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, pp. 184, 187.

http://www.al-maktabeh.com

القسطنطينية أصيبت فى عهه بعدة كوارث منها الطاعون والجراد والمجاعة والزلازل (٥٧٨) ٠

وفى ابريل ١٠٣٤ م / ٤٢٥ هـ « قتل رومانوس الثالث فى الحمام »(٥٧٩) ويقال أن زويه كانت لها يدا فى ذلك كما سنوضح فى الحياة الاجتماعية فيما بعد ٠

ولم تلبث زويه ان تزوجت بعد ذلك مباشرة من عشيقها الشاب ميخائيل البفلاجونى Paphlagonian رغم المعارضة الشديدة (٥٨٠) ولقد ارتقى ميخائيل العرش ١٠٣٤ م - ١٠٤١ م / ٤٢٥ - ٤٣٣ هـ باسم ميخائيل الرابع Michael IV (٥٨١) ٠

وكان ميخائيل هذا من أصل وضيع (٥٨٢) ، فقد كان ابنا لأحد فلاحى بافلاجونيا (٥٨٣) ٠ وهو الذى أشار اليه ابن الأثير بقوله أنه « رجل صيرفى ليس من بيت الملك وانما بنت قسطنطين اختارته » (٥٨٤) ٠

يدين ميخائيل الرابع بارتقائه العرش لأخيه (John the Orphantrophus) وهو أحد الخصيان ذوى النفوذ والسطوة ، فأحضره للقصر الامبراطورى وصمم على أن ينتزع له العرش الامبراطورى - الذى يعتبر هو محروما منه لأنه خصى - عندئذ وقعت الامبراطورة المقدونية العجوز فى حبه وتزوجته (٥٨٥) ٠

---

578. C.W. Previte Orton : op. cit., V. 1, p. 273.
579. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323, The New Encyclopaedia Britannica, V. VI (1768) p. 858, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 196.
580. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 196.
581. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323, The Encyclopaedia Americana, V. 29, p. 788.
582. The Encyclopaedia Americana, V. 19, p. 11, The New Encyclopaedia Britannica V. VI, p. 858.
583. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323.

(٥٨٤) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٣٨ ٠ وربما خلط القلقشندى بينه وبين اخيه حنا عندما ذكر أن زويه زوجة رومانوس مالت « الى المتحكم فى دولته » (القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠) ٠

585. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323, The New Encyclopedia Britannica, V. VI (1768) p. 858.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ورغم أن ميخائيل الرابع اثبت انه حاكما قديرا وقائدا شجاعا (٥٨٦) الا أنه كان يعانى من نوبات الصرع (٥٨٧) · فقد « أصابه الصرع ودام به » (٥٨٨) · وعلى ذلك ترك تصريف دفة الحكم كلية لأخيه الخصى حنا (٥٨٩) الذى برز نشاطه وذكاءه فيما أحرزته الدولة فى ذلك العهد من انتصادات فى كل من ايطاليا وبلغاريا (٥٩٠) ·

والحقيقة أنه خلال مدة حكم ميخائيل الرابع مع زويه ، والتى استمرت سبع سنوات ، عقدت الامبراطورة البيزنطية معاهدة مع الخلافة الفاطمية فى مصر وأحرزت انتصارات مؤقتة فى جزيرة صقلية ، وأخمدت ثورة فى بلغاريا (٥٩١) ولتوضيح ذلك نقول أنه بالنسبة للعلاقة مع الفاطميين ، عقدت معاهدة بين ميخائيل الرابع والخليفة الفاطمى المستنصر بالله وذلك ١٠٣٧ م / ٤٢٩ هـ (٥٩٢) وسمح لميخائيل فيها باتمام اصلاح كنيسة القيامة على أن يطلق سراح خمسة آلاف أسيرا مسلما ، وبالفعل أخلى الامبراطور سبيل الأسرى وأرسل المعماريين الى بيت المقدس ، وانفق كثيرا من الأموال فى تجديد بناء هذه الكنيسة (٥٩٣) ·

---

586. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 324.

587. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 324, The Encyclopaedia Americana, V. 19, p. 12, C.W. Previte Orton: Op. cit., p. 273 Larousse. Encyclopaedia., p. 297.

ابن الأثير الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٩٩ · ويعزى بريفيت أورتون سبب ذلك الصرع الى شعوره بالندم ربما لاشتراكه فى قتل رومانوس الثالث ·

(٥٨٨) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠ ·

589. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 273, The Encyclopedia Americana, V. 19, p. 12.

590. The New Encyclopaedia Britannica, V. VI (1768) pp. 857-858.

591. The New Encyclopaedia Britannica, V. VI, (1768) pp. 857-858.

(٥٩٢) ابو الفدا : المختصر ، المجلد الأول ، جـ ٣ ، ص ٦٣ (دار البحار بيروت)، د · محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، (دار الفكر العربى ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦ م) ص ٢٤٥ · فى حين يذكر المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء . جـ ٢ ، ص ١٨٢ ان ذلك كان ٤٢٧ هـ / ١٠٣٥ م وان المعاهده كانت بين الظاهر وميخائيل الرابع ·

(٥٩٣) د · جمال سرور : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ ·

http://www.al-maktabeh.com

أما عن صقلية فقد تم الاستيلاء على مسينا ٤٢٩ هـ / ١٠٣٧ م وعلى سيراكوزا ١٠٤٠ م / ٤٣٢ هـ ولكنها كانت انتصارات مؤقتة (٥٩٤) ٠

ولقد فشل ميخائيل فى اخضاع حاكم Zeta - فى يوغوسلافيا الحديثة - لكنه استطاع اخماد ثورة فى المقاطعات البلغارية (٥٩٥) ٠

وهنا نود أن نبرز شيئا هاما هو أن زويه بزواجها من ميخائيل الرابع قد أخطأت تقدير الأمور مرة أخرى ، فما أن تزوجها ميخائيل حتى أهمل الاهتمام بها كلية ، وحتى حريتها الشخصية وتحركاتها كانت مقيدة بواسطة أخيه حنا الذى كان يراقبها بدقة كى يمنع تكرار المصير الذى أصاب رومانوس أرجيروس (٥٩٦) ٠

والحقيقة أن المستفيد الحقيقى من وراء تلك الزيجة كان حنا شقيق ميخائيل الرابع ، فقد خطط بدهاء لاستمرار الحكم فى أسرتهم ، حتى بعد وفاة أخيه المرتقبة وذلك بأخذ موافقة ميخائيل الرابع وباقناع الامبراطورة زويه على تبنى ابن أخته المسمى ميخائيل أيضا ، وأعطى لقب قيصر (٥٩٧) ٠

فعند عودة ميخائيل الرابع من الحرب البلغارية كان مصابا بمرض مميت فانسحب الى أحد الأديرة - بعد أن تم تبنى ميخائيل ابن أخته - حيث توفى فى نفس اليوم ، ١٠ ديسمبر ١٠٤١ م (٥٩٨) / ٤٣٣ هـ (٥٩٩) ٠

وبمجرد وفاة ميخائيل الرابع خولت سلطات الحكم بالوراثة الى ابن أخته وتوج باسم ميخائيل الخامس (٦٠٠) ٠

---

594. The New Encyclopaedia Britannica V. VI (1768), p. 858.
595. The New Encyclopaedia : Ibid., p. 858.
596. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323.
597. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 326, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 198.
598. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 326, The New Encyclopaedia Britannica, V. VI, pp. 857-858.

(٥٩٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ، ص ٤٩٩ ٠

600. Cam. Med. Hist., V. IV, Part 1, p. 198, The Encyclopaedia Americana, V. 19, p. 12.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والواقع أن حكم ميخائيل الخامس Michael V أو الجلفاط (٦٠١) The Calker ' Calaphates · أدى بعهد الأسرة البافلاجونية الى نهاية غير متوقعة (٦٠٢) · وبمعنى آخـــر « أدت مطامع البافلاجونيين الخسيسة وكراهيتهم الى تدميرهم » (٦٠٣) ·

فقد رد ميخائيل الخامس بجحود على ما قدمه له خاله حنا وذلك بأن قبض عليه ونفاه ، دون أن يرتفع بنانا واحدا لتأييد ذلك الخصى الذى كـان مكروها من الجميع (٦٠٤) · ثم ازداد اندفاع ميخائيل الجلفاط أكثر بعد اتمامه لتلك الخطوة السابقة وذلك باتجاهه الى معاقبة الامبراطـــورة زويه أيضا · وعلى حد تعبير بسللو وجد أنها مصدر ازعاج ممل له ، وكان مستمرا فى مراقبتها مراقبة صارمة ، كما كان الحال فى عهد ميخائيل الرابع ، ثـم اتبع ذلك بمحاولة رادعة لابعادها عن حقل السياسة · بعد اتهامها بمحـــاولة سم الامبراطور وبالفعل ، ففى يوم عيد الفصح ١٠٤٢ م نفيت زويه الى جزيرة برنسيبو Principo فى بحـــر مرمرة ولم تصـــحبها سوى وصيفة واحدة (٦٠٥) ·

ولا عبرة هنا بما جاء فى بعض المصادر العـــربية عن حقيقة موقف ميخائيل الخامس هذا من زوجة خاله · فبينما يذكر القلقشندى أنه « أحســن السيرة وطلب من زوجة خاله أن تخلع نفسها عن الملك فأبت فنفاها الى بعض الجزر واستولى على المملكة سنة ٤٣٣ هـ » (٦٠٦) ·

وربما كان ابن الأثير أقرب الى الحقيقة عندما ذكر أن ميخائيل الخامس أحضر زوجة خاله « وطلب منها أن تترهب وتنزع نفسها عن الملك فأبت ، فضربها وسيرها الى جزيرة فى البحر » (٦٠٧) ·

---

601. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 274, The Encyclopaedia Americana V. 19, p. 12

والجلفاط هو الذى يسد شقوق السفينة

602. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.
603. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 274.
604. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.
605. Cam. Med. Hist., V. IV, part 1, p. 198.

(٦٠٦) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠ ·

(٦٠٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ ص ٤٩٩ ·

http://www.al-maktabeh.com

ولكن الواضح أن ميخائيل الخامس لم ينعم بانتصاراته سوى فتـــرة وجيـــزة (٦٠٨) · فسرعان ما قامت ثورة عارمة ضمت المخلصين للاسرة المقدونية وحكم على ميخائيل الخامس ـ الجلفاط ـ « الذى تجرأ برفع يده ضد من ولدت فى الأرجوان بالعزل » · ثم سملت عيناه فى ابرايل ١٠٤٢ م / ٤٣٣ هـ (٦٠٩) · بل قيل أنه سملت عينى خاله حنا أيضا (٦١٠) ·

وقد برزت زويه فى ذلك اليوم للجماهير فى ثياب الراهبات ، لا فى ثيابها الامبراطورية (٦١١) · ثم أسرعت نفس الجمـــاهير الى دير Petrion وانتزعت منه أخت زويه الصغرى ـ ثيودورا ـ التى كانت راهبة « وجروها رغم ارادتها الى كنيسة سانت صوفى كى ينادوا بها امبراطورة بالاشتراك مع زويه » (٦١٢) وقـــد قيل ان ثيودورا كانت قد حجبت وفقـــا لطلب زويه (٦١٣) ·

هنا نتوقف قليلا لنتعرف عن قرب على ثيودورا · فنجد أنها الابنـــة الصغرى للامبراطور قنسطنطين الثامن ، وكانت طويلة مثله ، جافة ، سريعة فى لهجتها وكلامها ، ولم تكن على قدر من الجمال ، لكنها كانت تقية وفى نفس الوقت كانت بخيلة هذا الى جانب انها كانت على عدم وفاق باستمرار مع أختها زويه (٦١٤) · حتى قيل ان زويه كانت شديدة الغيرة منها ، وأنها كانت تفضل معاملة ميخائيل الســـيئة عن مشـــاركة أختها ثيودورا فى الحكم (٦١٥) ·

---

608. Cam. Med. Hist, V. IV, part I, p. 198.

609. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.

انه أطلق سراح القائد العظيم (جورج ماينـاكس George Maniaces) الذى كان سجينا وعينه حاكما وقائدا عسكريا فى ايطاليا ·
(Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 201.

610. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 198.

عن بسللو الذى كان شاهدا عيان لتلك الأحداث ·

611. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 198.

612. Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 199.

613. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.

614. Cam. Med. Hist., V. IV. Part 1, pp. 193-194, 274.

615. Cam. Med. Hist., V. IV. Part 1, p. 199.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وباعتبار أن الأختين كانتـــا المثلتين الوحيدتين الشرعيتين للأسرة المقدونية ، لذلك انتقل اليهما الحكم معا (٦١٦) · ولو أن زويه أصرت على أن تكون لها الأسبقية على أختها (٦١٧) ·

وبذلك «حكمت الأختين المتباينتين تماما الامبراطورية البيزنطية»(٦١٨)· لكن رغم أنهماكانتا المثلتين الشرعيتين للأسرة المقدونية الا أنه كان يعوقهما عن مواصلة السهر على شئون الدولة ، **أولا** : أنهما كانتا فى ذلك الوقـــت امرأتين طاعنتين فى السن وكان من الصعب عليهما توجيه الامبراطورية الى الطريق المستقيم ، لذلك فخلال فترة حكمها القصيرة اتحدت العناصر المدنية والعسكرية على العمل معا بانسجام ، وكان الجميع يغتنمون أية فرصـــة للسيطرة على شئون الحكم (٦١٩) · ثانيا : كانت العـــداوة بين الأختين متأصلة ، حتى أصبح من الضرورى العثور على رجل قوى ليمسك بزمام الحكم (٦٢٠) ·

هنا يعلق بسللو على حكم زويه وثيودورا القصير بأنه « يمدنا بمثال فريد للحكم المشترك والمشاركة فى السلطة العليا » (٦٢١) وقد برزت خلال حكمهما جهود القائد العظيم جورج مانياكس (٦٢٢) ·

ولما كانت حاجة الامبراطورية ملحة الى وجود رجل قوى على رأس الحكومة ، فانه كان لابد من زواج احدى الأختين الكهلتين · « وكانت ثيودورا لا ترغب فى الزواج » (٦٢٣) · أما زويه فقد شرعت بالحاح من جـــــديد فى البحث عن زوج ثالث ، رغم أنها كانت قد بلغت الرابعة والســـتين من عمرها (٦٢٤) · وبالفعل وجدت ضالتها فى « الفارس الوسيم » قنسطنطين

---

616. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 274, Cam. Med. Hist. V. IV. Part II p. 5.
617. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 199.
618. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 274.
619. Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 199.
620. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.
621. Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 5.
622. Cam. Med. Hist. V. IV, Part 1, p. 201.
623. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.
624. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 326.

http://www.al-maktabeh.com

وكنيته مونوماخوس Constantine IX Monomachus (٦٢٥) فاتخذته زوجا ثالثا لها فى ١١ يونيه ١٠٤٢ م / ٤٣٣ هـ وكان أحد أعضاء حزب السناتو البارزين (٦٢٦) ، يرجع الى أسرة عريقة (٦٢٧) ذو ثقافة عالية لكنه كان فاسقا خليعا (٦٢٨) . توج امبراطورا فى اليوم التالى لزواجه من زويه ١٢ يونيه ١٠٤٢ م (٦٢٩) . وبذلك انتهت تلك الفترة الفاصلة من الحكم النسائى (٦٣٠) .

هنا اختلفت الآراء فى وضع قنسطنطين عندئذ ، فالبعض يذكر أنه بتوليه العرش الامبراطورى : « تخلت له السيدتان عن السيادة بصورة آليه » (٦٣١) فى حين يذكر رأى آخر أنه أصبح حاكما مساعدا لزويه وثيودورا (٦٣٢) . وأنه لم يحاول أن يضع أى نوع من القيود على شريكتيه فى الحكم (٦٣٣) . فتمتعت الأختين مع الامبراطور العاشق المحب للملذات ، بتبديد المدخرات العامة » (٦٣٤) .

وخير دليل على اسراف ذلك الامبراطور وشريكتيه تلك الهدية التى أرسلها البيزنطيون الى الفاطمين فى مصر فى ٤٣٧ هـ والتى من بينها « ثلاثون

---

625. Larousse Encyclopaedia..., Op. cit., p. 297, The Encyclopaedia Amecana V. 7, p. 650.
626. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326.
627. Cam. Med. Hist. V. IV, Part, p. 199.

ويضيف هذا المرجع أنه كان قد حبس فى مدينة ملطيه كأحد المشكوك فيهم سياسيا فى عهد ميخائيل الرابع .

628. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 274.
629. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 326, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 199.
630. Cam. Med. Hist. V. IV., part II, p. 5.

والواقع ان عهد قنسطنطين التاسع يتصف ببعض الأهمية الا أنه لم يشارك فيها الا بنصيب ضئيل

(C.W. Previte Orton : V. I, p. 274)

وربما يرجع ذلك الى أن بسللو كان فى خدمته ومن المقربين جدا اليه .
(Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 199)

(٦٣١) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٤ .
632. The New Encyclopaedia Britannica, V. III, p. 102.
633. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 327.
634. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 327.

مكتبة المهتدين الإسلامية

قنطارا من الذهب ، وخمسون بغلا عليها مائة صندوق مصفحة بالفضة ، فيها آنية الذهب والفضة » (٦٣٥) والتى تدل فى نفس الوقت على استمرار العلاقات الودية مع الفاطميين (٦٣٦) ٠

واذا كان هذا هو موقف الحكومة البيزنطية فى ذلك الوقت من الفاطميين فان الوضع كان مختلفا فى الغرب الأوربى وخاصة فى صقلية حيث حقق القائد البيزنطى جورج مانياكس George Maniaces انتصارات عظيمة فيها ٠ وذلك عندما حاول أن ينجز ما كانت تصبو نفس باسل الثانى الى انجازه وأن يكمل السياسة المقدونية الناجحة الخاصة بارسال حمـــلات عسكرية لاعادة فتح صقلية ، وبالفعل استطاع جورج مانياكس أن يستولى على الأجزاء الشرقية من الجزيرة ، بما فيها مسينا وسيراكوزا (٦٣٧) ٠

وقد زادت تلك الانتصارات وغيرها من مكانة جورج مانياكس حتى اضطر قنسطنطين التاسع الى عزله من منصبه ، فلم يعبأ جورج بذلك وتقدم الى سالونيكا وطلب من قواته المناداة به امبراطورا ٠ ولكن فى ١٠٤٣ م / ٤٣٥ هـ واثناء احدى المعـــارك التى كان قد قارب فيها على احراز النصر أصابه سهم فقتله (*) ٠

وبتقدم زويه فى السن أصبحت أكثر تسامحا (٦٣٨) ، وظلت كذلك حتى توفيت فى ٢٦ مايو ١٠٥٠ م / ٤٤٢ هـ (٦٣٩) ٠ « وودعت بذلك حياتها الخيالية الغريبة » (٦٤٠) ٠

وفى ١١ ينـــاير ١٠٥٥ م / ٤٤٦ هـ توفى قنسطنطين التاسع (٦٤١)

---

(٦٣٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، انظر الملحق رقم (٣) ٠

(٦٣٦) د ٠ جمال سرور سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٥ ٠

637. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 332-333.

* G. Ostrogorsky : Ibid., p. 333.

638. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 327.

639. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 616, C.W. Previte Orton : Op. cit. V. p. 274.

640. C.W. Previte Orton : Ibid., p. 274.

641. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 337, Cam. Med. Hist. V. IV Part, I, p. 204.

http://www.al-maktabeh.com

ويبدو أنه كان قد أعطى رأيه فيمن يخلفه على العرش ، لكن ذلك تم دون علم ثيودورا ، الممثلة الوحيدة الباقية للبيت المقدونى ، لذا فعندما سمعت بذلك عادت الى القصر وسيطرت على الحرس الامبراطورى ، وفى الحال « تقلدت الأطلال الباقية للحكم (٦٤٢) وعادت الى كامل سلطانها (٦٤٣) وهكذا تقلدت ثيودورا السلطة الامبراطورية بمفردها حتى توفيـــت فى بداية سبتمبر ١٠٥٦ م(٦٤٤) / ٤٤٨ هـ ٠

والواقع أن ثيودورا قامت بمحاولة جادة يحوطها التصميم التام لادارة دفة الحكم ٠ حقيقة انها لم تتخذ زوجا لكنها اختارت (Leo Paraspondylus) وزيرا لها ٠ وكان « واقعيا عنيدا ذو عمل جاد متواصل ، فافتتح سياسة اقتصادية فى الداخل وعمل على اقرار السلام فى الخارج (٦٤٥) ٠

أما عن العلاقة مع الفاطميين فثمة رأى يذكر أن الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ، استغل فرصة صفاء العلاقات بينه وبين الدولة البيزنطية ، وعمل على انعاش الحالة الاقتصادية فى دولته فأرسل الى الامبراطور قنسطنطين التاسع ، على اثر المجاعة التى حلت بمصر سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤ م يطلب منه أن يمده بأربعمائة ألف أردب من القمح ، فأظهر الامبراطور استعداده لاجابة هذا الطلب ، لكنه لم يلبث أن توفى وخلفته الامبراطورة ثيودورا ، فاشترطت لمعونة مصر أن يمدها المستنصر بالجنود اذا ما اعتدى على بلادها أى معتد ، غير أن المستنصر رفض الموافقة على هذا الشرط ، فأجابته ثيودورا على ذلك بأن حالت دون ارسال الغلال الى مصر (٦٤٦) ٠

---

642. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 204.

(٦٤٣) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٤ ٠

644. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 338, Cam. Med. Hist. V. IV part, I, p. 5.

هنا يعقب استروجورسكى على نهاية الأسرة المقدونية بقوله : « أنه بوفاة ثيودورا تنتهى الأسرة المقدونية الشهيرة ، فكانت نهاية غريبة حقا تلك الأسرة البيزنطية التى جاهدت بشدة كى تأسس نفسها وفى النهاية تماسكت بعناد لتواصل الحياة وذلك لمدة الثلاثين سنة الأخيرة وبذلك مرت كل أعمالها العظيمة ذات الشهرة البعيدة المدى ، دون ان يتغنى بها ٠

645. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 204.

(٦٤٦) د ٠ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٦ ٠
Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 726.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد زاد تعقيد الوضع أكثر بين البيزنطيين والفاطميين عندما اراد الخليفة المستنصر أن يرد اعتبار الفاطميين بارسال جيش فاطمى لمحاربة البيزنطيين بقيادة مكين الدولة الحسن بن ملهم ، ونودى فى بلاد الشام بالغزو والجهاد (٦٤٧) وقد تنقل الجيش الفاطمى فى اجزاء مختلفة من بلاد للشام واستقر به المطاف أخيرا فى انطاكية ، عندئذ أرسلت الامبراطورة ثيودورا أسطولا الى انطاكية مكونا من « ثمانون قطعة ، وخرج دوقس لنطاكية وبطركها فى جماعة فظفروا بشينين للسلمين معهما الغنائم » (٦٤٨) وبذلك وقعت الهزيمة بالمسلمين وأسر منهم عددا كبيرا (٦٤٩) « وقتل من الفريقين خلائق وعاد الأسطول الرومى الى اللاذقية » (٦٥٠) ٠

عندئذ أرسل الخليفة المستنصر سفارة من قبله الى الامبراطورة ثيودورا على رأسها ابو عبد الله القضاعى (٦٥١) ، ثم اتضحت نوايا البيزنطيين أكثر عندئذ تجاه الفاطميين عندما سمحت الامبراطورة ثيودورا بالخطبة للخليفة القائم بأمر الله العباسى ، اثناء وجود ابو عبد الله القضاعى سفير الفاطميين بالقسطنطينية ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م (٦٥٢) ٠ ونحن نؤيد هنا الرأى الذى يقول : « أنه لا غرو فقد كان السلاجقة فى ذلك الوقت أشد خطرا

---

(٦٤٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ٠

(٦٤٨) المقريزى : المصدر السابق ، ص ٢٣١ ٠ والشوان مركب حربية ، بها مائة وأربعون مجدافا ، وكانت تعد أكبر سفن الأسطول (حاشية عن دوزى ، قوانين الدواوين)

(٦٤٩) د ٠ جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٦ ٠

(٦٥٠) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣١ ٠

(٦٥١) ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ حوادث ٤٤٧ هـ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ج ٢ ، ص ٢٣٠ ٠ والقضاعى هو ابو عبد الله محمد بن سلامه بن جعفر ، الفقيه المحدث والمؤرخ ولد بمصر فى أواخر القرن الرابع الهجرى وتوفى ٤٥٤ هـ / ١٠٦٣ م وكان من اقطاب الحديث والفقه الشافعى ، وتولى القضاء فى عهد المستنصر بالله ٠ وصار بين كتاب البلاط وتقلد ديوان الانشاء فى عهد الخليفة الظاهر وكتابه عيون المعارف وفنون اخبار الخلايق مختصر لكتاب الانباء عن الانبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين (ابن ميسر : اخبار مصر ، ج ٢ ، حوادث ٤٤٧ هـ حاشيه للمحقق عن عبد الله عنان :الـ حاكم بأمر الله : شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة : المجلد الثانى ، دار النهضة . لبنان ، ١٩٨٠ حرف (ش ـ ى) ص ١٣٨٦) ٠

(٦٥٢) ابن ميسر : أخبار مصر ، ج ٢ حوادث ٤٤٧ هـ ، المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ٠

http://www.al-maktabeh.com

على البيزنطيين من الفاطميين الذين اضمحل سلطانهم فى بـــلاد المغرب وأصبحوا يواجهون كثيرا من الصعاب فى مصر » (٦٥٣) ٠

وكان رد الخليفة المستنصر على تلك الاساءة التى لحقت بسفيره بل بخلافته كلها أن أخذ نفائس وكنوز كنيسة القيامة (٦٥٤) ٠ « فأحاط بما فى قمامة وأخذه وأخرج البطرك منها الى دار مفردة » (٦٥٥) الى جانب اغلاقه للكنائس بمصر وزيادة الجزية على النصارى ، بل ومطالبة الرهبان بها عن أربع سنوات (٦٥٦) ٠ وقد أدت كل تلك الاجراءات الى التوتر الشديد فى العلاقة بين الفاطميين والبيزنطيين (٦٥٧) ٠

وسرعان ما ضغط حزب البلاط فى ١٠٥٦ م / ٤٤٨ هـ على الامبراطورة ثيودورا كى تختار من يتولى الحكم بعدها ٠ فوقع اختيارها على البطريق العجوز ، ميخائيل السادس (ستراتيوتيكوس) ٠ فلما ماتت ثيودورا فى بداية سبتمبر ١٠٥٦ م تولى العرش ميخائيل السادس ، ولم تتجاوز مدة حكمه سنة واحدة تألف اثناءها حزب لمقارمته ، برئاسة الجيش المرابط فى آسيا الصغرى ، الذى نادى بالقائد اسحاق كومنين امبراطورا (٦٥٨) ٠

وهكذا طويت فترة حكم الامبراطورتين زويه وثيودورا التى مثلت الحكم النسائى الامبراطورى المشترك لأول وآخر مرة فى التاريخ البيزنطى ٠

رابعا : المرأة البيزنطية كخليلة امبرطورية

ويعتبر هذا آخر مثال للمرأة البيزنطية ودورها فى الحكم البيزنطى ويمثله سكليرينا Sclerina خليلة الامبرطور قنسطنطين التـــاسع

---

(٦٥٣) د٠ جمال سرور سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٦ ٠

(٦٥٤) د ٠ جمال سرور : نفس المرجع ص ٢٤٧ ٠

(٦٥٥) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ٠

(٦٥٦) انظر الملحق رقم (٤) ٠

(٦٥٧) المقريزى : اتعاظ الحنفا ، ج ٢ ، ص ٢٣٠ ، د ٠ جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٧ ٠

658. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 338, Larousse Encyclopaedia of Ancient and Medieval History, p. 297.

مكتبة المهتدين الإسلامية

مونوماخوس ١٠٤٢ ـ ١٠٥٥ م (٦٥٩) الذى ارتبط بزواجه الثانى من زوجته المسماه سكليرينا أيضا بصلة نسب مع رومانوس الثالث أرجيروس ، وكان مثله أحد أعضاء الارستقراطية المدنية البيزنطية · كان حاكما تافها ضعيف الارادة ، لذلك مارس شئون الحياة الى جانب مهامه الامبرطورية بشيء من الاستخفاف (٦٦٠) ·

شارك قنسطنطين التاسع زويه وثيودورا ابنتى قنسطنطين الثـــامن الحكم بعد زواجه من زويه ـ كما مر بنا ـ ولكن حياته الماجنة دفعته الى عدم اخفاء مشاعر حبه الشديد لسكليرينا « الفاتنة الماهرة » ابنة أخت زوجته الثانية ، مما روع أهالى بيزنطة وصدمهم ، وفى نفس الوقت ترك الامبرطورة زويه مشلولة الحركة (٦٦١) ·

وقد ارتفعت مكانة سكليرينا ، عندما لقبت بلقب Sebaste فقد « أخـــذت خليلة الامبرطور عندئذ مكانها بجوار الامبرطورتين فى كل المراسيم » (٦٦٢) ·

659. G. Buckler : Woman in Byzantine law, p. 412.
660. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 326-327.
661. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 327.
662. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 327.

· المقصود بالامبراطورتين هنا زويه وثيودورا

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الثانى

دور المرأة البيزنطية فى الحياة الدينية

لم تترك المرأة البيزنطية بصماتها واضحة فى الحكم والنواحى السياسية فقط بل تركتها أيضا فى الدين حيث كان لها فى كثير من حلقـــات التاريخ البيزنطى الأثر الكبير والكلمة الفاصلة حتى فى أدق جوانب الحياة الدينية · فكانت « شهرتها فى الخلافات الدينية واسعة المدى » (١) · والحقيقة أنه « لم يكن ثمة عائق من الناحية الدستورية يحول دون تولى المرأة السلطة الأوتوقراطية » (٢) ·

١ ـ هيلانه ام قنسطنطين الأول العظيم (٣٠٦ ـ ٣٣٧ م)

وعلى أولى صفحات ذلك الجانب الدينى تبرز لنا تلك السيدة التى لعبت دورا عظيما فى المسيحية والتى اختلفت المصادر العربية والسريانية فى تسميتها بعده أسماء منها (هيلانه (٣) ـ هيلانى (٤) ـ هيلانا (٥) فى حين أشارت اليها المراجع الأجنبية باسم Hélène (٦) ·

أجمعت المصادر الشرقية العربية والسريانية على أنها رهوية الأصل ، أى يرجع أصلها الى الرها (٧) · لكنها اختلفت فى كيفية انتقالها من الرها

---

1. G. Buckler: Woman in Byzantine law, p. 413.

(٢) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٧٢ ·

(٣) المقريزى : الخطط ، جـ ١ ، ص ٤٩٩ ·

(٤) القرمانى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، ص ٣٧٢ ،
Patrologia Orientalis T. IV, Les Homiliae Cathédrales de Sévère d'Antioche Part XVII Histoire d'Helène et de Constantin, p. 264.

(٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١ ، ص ١٨٩ (دار الفكر ببيروت ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨م)

6. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire..., T. I, p. 53, André Piganiol : L'Empereur Constantine, pp. 172-173.

(٧) ابن الأثير : الكامل ، جـ ١ دار الفكر ببيروت ، ص ١٨٩ ، المقريزى : الخطط ، جـ ١ ص ٤٩٩ ·
Patrologia Orientalis, T. IV, part XVII, Histoire d'Hélène et de Constantine, p. 265.

وهنا يشير المصدر الأخير الى أن هيلانى « كانت من أهل الجزيرة من كوره الرها من قرية تعرف بكفر فحار » ·

http://www.al-maktabeh.com

الى بيزنطة · فبينما يذكر ابن الأثير انها كانت من السبايا التى سباها والد الامبرطور قنسطنطين « كان أبوه سباها من الرها فأولدها هذا الملك » (٨) · يبين المصدر السريانى أن والد قنسطنطين خطبها وتزوجها عندما بهره جمالها واصطحبها معه الى بلده · « اتفق ان رجـــلا من ولد ملوك الروم يدعى والنطينوس بن قسطوس بن دار سميس بن دقيوس بن قلوديوس الملك أنقذه ملك الروم فى بعض الأوقات ليتعهد المدن والكور التى تلى بلاد الشرق من ممالك الروم وكان من جملتها بلد هذه المرأة فلما حصل فيه بصر بها فأعجب بجمالها وخطبها الى أهلها فزوجوه اياها ونقلها الى بلده » (٩) ·

كانت هيلانه قد « تنصرت على يد أسقف الرها » وذلك قبل انتقالها الى بلاد الروم · فلما انتقل الملك الى زوجها « عنيت برفع البلاء عن النصارى فى مملكة زوجها » · الذى كان وثنيا لكنه كان يطيعها لمحبته لها ولم يكن يعلم حقيقة مذهبها · وقد ولدت منه ابنا سماه قنسطنطين فنشأ على دين أبيه ولما مات الأب تولى قنسطنطين الملك بعده « وكانت النصرانية فى بلاد الشام وغيرها من الأصقاع فى أذى صـــعب فلم تر هيلانا اظهار دينهـــا لابنها لحداثة سنه ولئلا ينتشر عليـــه من أصـــحابه ما يهلك به » (١٠) وقد نشأ قنسطنطين مع أمه « وتعلم العلوم ولم يزل فى غاية الظفر والسعادة منصورا على كل من حاربه » (١١) ·

والواقع أنه رغم أن هيلانه كانت مسيحية ، بل وأصبحت بعـــد ذلك قديسة (١٢) الا أنها لم تحاول أن تتخذ أى موقف ايجابى علنى مع ابنهـــا قنسطنطين بخصوص المسيحية ، ربما خوفا عليه أو أنها فضلت أن تهيء له الجو المحيط به كى يساعده على التشبع بتعاليم المسيحية فيما بعد ·

والحقيقة أنه مهما اختلفت الآراء عـــن موقف قنســـطنطين من

---

(٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٩ ·

9. Patrologia Orientalis, T. IV. Part XVII, Histoire d'Hélène et de Canstantin, pp. 264-265.

10. Patrologia Orientalis : Ibid., pp. 264-265.

(١١) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٤٩٩ ·

12. A.A. Vasiliev. Hist. de l'Empire... T. 1, p. 53.

مكتبة المهتدين الإسلامية

النصرانية (١٣) فانه يقال انه بعد تنصره « ابعد اليهود والوثنيين عن الخدمة فى المراتب السلطانية » . ثم اعتنى بالفحص عن أمر الصليب واخراجه

---

(١٣) يذكر المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٠٠ انه « لما كان فى عشرين سنة من دولته - أى قنسطنطين - خرجت الفرس على بعض أطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى فى منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له . ان أردت أن تظفر بمن حالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك » .

أما Patrologia Orientalis T. IV, Part, XVII, Histoire d'Hélène et de Constantin, pp. 265-270.

فانه يمدنا بعدة آراء مختلفة حول هذا الموضوع . منها أولا أنه فى السنة السابعة من حكم قنسطنطين « عصا مكسطيس (مكسيميانوس) برومية فبرز اليه قسطنطين فى جيشه ونزل بحيث يقاربهم عازما على لقائهم وعرف وفود الجيش وعدته وقوته وعظمة فجبن عن مقارعته وانتهى اليه عزم العدو على مباكرته فرأى قسطنطين فى منامه كأن فى السماء ضياء عظيما وبرقا مهولا وفى خلله صليب مؤلف من كواكب . وبينة منها كالكتابه تقرأ انك تغلب بهذا المثال » . ورأى ثانى يذكر أنه رأى ذلك نهارا « فارتاع لذلك قسطنطين ارتياعا شديدا وجمع صحبه من أهل العلم وسألهم عن الشكل الذى رأه ولمن هو من الالهة التى تعبدها الروم » فلم يعرف أحد . فأمر بصياغة شكل الصليب من الذهب بحسب الرؤيا وان يوضع على رأس علمه فلما فرغ قصد القوم وأوقع بهم وقتل ملكهم . وبعد النصر جعل قسطنطين يفكر أترى أى الالهة أعاننى على قهر عدوى وبينما هو كذلك رفع رأسه الى السماء فى نصف النهار فرأى الصليب كمثال النار وفيه كتابه أن بهذا الشكل تغلب ثم دخل قسطنطين (رومية) فحدث أن تساقط كثير من الأصنام فى اليوم الذى ظهرت له هذه العلامة فارتاع . ولما وصل الخبر الى النصارى برومية دسوا اليه من عرفه « أن الذى رآه هو شكل الصليب الذى صلب عليه المسيح فسأل فى ذلك رجلا فى قلبه الايمان فآمن هو وزوجته على يد أسقف رومية ، بل تنصر أكثر أصحابه » . كذلك هناك رأى آخر عن تنصر قنسطنطين هو انه كان به (وضح أو برص) فلما دخل رومية هرب النصارى الموجودين بها فجاءة قوم فى الخفاء وقالوا له : ان أردت أن تطهر من برصك فاذبح أطفال هذه المدينة واغتسل بدمائهم » فلما أخذت الأطفال ارتجت المدينة بالبكاء . فعفا عنهم وجاءه فى منامه من أوحى اليه أن الوحيد الذى يستطيع شفاءه من برصه هو أسقف المدينة الهارب ، وبالفعل أمر باحضاره فاصطبغ (تنصر) قنسطنطين « وعند اصطباغ الملك سقط من جسمه مثل قشور السمك ونقى من برصه » وقيل ان عدد من تنصر معه يتراوح ما بين اثنا عشر ألف نسمة واثنا وخمسون ألفا .

« هذا ولو ان حياة قنسطنطين الخاصة بقتله لزوجته وولده تدل على أنه لم يتأثر اطلاقا بتعاليم المسيحية واخلاقها » (عاشور : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، (١٩٧٢ دار النهضة العربية ص ٣٨ .

http://www.al-maktabeh.com

« عناية انتهت الي أن كلف هيلانى والدته المسير الى بيت المقدس والاهتمام بهذا الأمر » (١٤) · بل قيل انه « أمر بتجهيز أمه هيلانه الى بيت المقدس فى طلب آثار المسيح عليه السلام وبنـــاء الكنائس واقامة شـــعائر النصرانية » (١٥) ·

وبالفعل سارت هيلانه الى بيت المقدس ، ولو انه اختلف فى تحديد السنة ، فالبعض يذكر أنها الحادية عشرة من حكم قنسطنطين (١٦) والبعض الآخر يذكر أن ذلك كان فى السنة العشرين (١٧) أو الحادية والعشرين من حكمه (١٨) ، أو الثانية والعشرين « وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمان وعشرين سنة » (١٩) ·

هنا نتوقف قليلا لنعقب على هذه النقطة بقولنا أن اسناد تلك المهمة الى هيلانه وافق هواها تماما · وربما يكون لها دورا خفيا فى تشجيع ابنها على موقفه الايجابى من النصرانية ، لكننا لا نجزم بالتحديد حقيقة هذا الوضع لصمت المصادر الشرقية والغربية تقريبا عن الافصاح فيـــه بشىء · ولكن بمجرد اسناد قنسطنطين تلك المهمة الى والدته تجلى مـــدى حبها وتعلقها بأهداب المسيحية وتفانيها فى اتمام مهمتها بنجاح ·

وخير دليل يوضح لنا حقيقة موقف هيلانه أنه ثمة رأى يذكر أنها « كانت قد نذرت قديما أنه ان تنصر ابنها ونصر الدين أن تحج الى بيت المقدس ويصلى فيه ويبنى البيع على آثار المسيح فوفت بنذرها وقضت نسكها » (٢٠) · بل ان المصدر العربى يجعل السبب المباشر لمسيرها الى بيت المقدس هـــو أن « ابنها دان بالنصرانية » (٢١) ·

---

14. Patrologia Orientalis T. IV, Part XVII, Op. cit., pp. 269-270.

(١٥) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ·

(١٦) القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ص ٣٧٢ ·

17. André Piganiol : l'Empereur Constantin, p. 173

(١٨) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، دار الفكر بيروت ص ١٩٠ ·

(١٩) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٠٠ ·

20. Patrologia Orientalis : Op. cit., p. 275.

(٢١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ص ١٩٨ ، (دار الفكر بيروت)·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والواجح أن السبب فى توجه هيلانة للاراضى المقدسة هو تضافر نذرها مع رغبتها فى التشفع لنفسها ولابنها بعـــد مقتل كرسيوس ابن قنسطنطين وفاوستا زوجته بتأثير منها هى وابنها معا (٢٢) ٠

ولا يهمنا هنا هل الذى دل هيلانه على مكان الصليب هو أحد الأساقفة المسيحيين (٢٣) أم أنه أحد اليهود (٢٤) ولكن الذى يهمنا أن هيلانه وفقت فى الوصول الى صليب السيد المسيح الذى « صفحته بالذهب ورصـــعته بالجوهر واتخذت له تابوتا من الذهب أودعته فيه » (٢٥) ٠

وقد اختلفت الآراء فى المكان الذى استقر فيه صليب السيد المسيح أو الصليب الحقيقى (٢٦) ٠ بعد هيلانه فمن قائل أنه بقى ببيت المقدس وآخر أنه حمل الى القسطنطينية أو أنه حمل الى كسرى أنو شروان الى غير ذلك من الآراء المتباينة (٢٧) ٠

ولقد أجمعت المصادر الحربية تقريبا أن هيلانه قد « أخرجت الخشبة

---

22. André Piagoniol : Op. cit., p. 173.

(٢٣) المقريزى : الخطط ، ج ١ ، ص ٥٠٠ قال أنه الأسقف مقاريوس ٠

(٢٤) أما

Patrologia Orientalis T. IV, Part XVII, pp. 270-271

فتشير الى أن هيلانه عندما وصلت الى بيت المقدس : « أمرت باستدعاء وجوه اليهود وعلمائهم مشايخهم » ٠ عندئذ فكروا فى أن الأمر متعلق بالصليب فأخبرهم أحدهم ويعرف (بايهوذا بن شمعون) أن والده اخبره بموضعه وأوصاه بالدلالة عليه متى ظهر من يلتمسه ٠ فلما حضر القوم مجلس هيلانه وسألتهم عن الصليب اجمعوا على ايهوذا هذا فاعتمدته بالسؤال « فوسوس الشيطان له باليهودية الراسخة فيه ان يرجع عن معتقده » فأنكر معرفته بمكانه فخوفته بألقائه فى جب حتى الموت فاعترف بمكانه وقد تنصر يهوذا بعد ذلك بل انه أصبح أسقفا لبيت المقدس وسمى عند انتقاله الى دين النصرانية (قريافس) ٠

25. Patrologia : Ibid, p. 271

هنا اختلف الأمر على القرمانى : اخبار

الدول ، ص ٢٧٢ نذكر ان هيلانه حلت الخشبة التى صلب عليها المسيح بالذهب والفضة بدلا من القول بأنها فعلت ذلك فى صليب المسيح نفسه ٠

26. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire, T. I, p. 53.

27. Patrologia Orientalis : Op. cit., pp. 272-273.

http://www.al-maktabeh.com

التى تزعم النصارى أن المسيح صلب عليها وجعلت من ذلك اليوم عيدا هو عيد الصليب » (٢٨) بينما يذكر المصدر السريانى أن (هيلانى) « وجدت خشبة الصليب مكسورة بنصفين فأخذت أحد النصفين وأنفذته الى قسطنطينوس ولدها وخلفت النصف الآخر بفامية · ثم ان ملوك الروم أرادوا أخذ ذلك من فامية فلم يتركهم أهل المدينة وصالحوهم على نصفه وبقى فى المدينة الربع منه » (٢٩) ·

أما عن مسامير الصليب الأربعة فبعد تفكير الهمت هيلانه قول زكريا النبى أنه تكون على لجام فرس الملك قديس الرب فصاغتها لجاما تستعمله الملوك عند ملاقاتهم الحروب المنهظه » (٣٠) ·

هذا وقد بنت هيلانه كنيسة القيامة ، أو قمامه (٣١) ببيت المقدس « على قبر المسيح بزعمهم » (٣٢) والتى استمر العمل فى بنائها « حوالى ثمانى سنوات » (٣٣) هذا الى جانب بناء العديد من الكنائس ببلاد الشام (٣٤) · ولهذا عقب ابن الأثير على هذا الموضوع بقوله أنه « فى السنة الحادية والعشرين من ملكه (ملك قنسطنطين) طبق جميع ممالكه بالبيع هو وأمه منها كنيسة حمص وكنيسة الرها وهى من العجائب » (٣٥) ·

---

(٢٨) ابن الاثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٩ ، المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٥٠٠

29. Patrologia Orientalis : Op. cit., pp. 273-274.

ويضيف نفس المصدر أنه فى زمان يوسطوس غزت الفرس الروم واخربوا مدينة فامية وأخذ الفرس الربع الباقى من الصليب وحملوه الى المدائن وفى أيام هرقل ، سأل هرقل شهربراز ان يوجه ذلك اليه فانقذه ووصله هرقل بباقية وغشاه ذهبا ·

30. Patrologia Ibid, pp. 271, 274, 275

(٣١) ابن الأثير : الكامل ، ج ١ ، ص ١٨٩ (دار الفكر بيروت) ·

(٣٢) المقريزى : الخطط ، ج ١ ص ٥٠٠ ·

33. André Piganiol : Op. cit., p. 174.

ويضيف نفس المرجع أن ذلك تم بعد عثور أسقف بيت المقدس على قبر المسيح تحت أحد الكهوف التى كان يعبد فيها الوثنيين

(٣٤) القرمانى : اخبار الدول وآثار الأول ، ص ٢٧٢ ·

(٣٥) ابن الأثير : الكامل ، ج١ ، ص ١٨٩ ــ ١٩٠ (دار الفكر بيروت) ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

٢ ـ بولكيريا وايودوكيا :

أما بولكيريا أخت ثيودوسيوس الثانى (٤٠٨ ـ ٤٥٠ م) ٠ التى لعبت دورا هاما فى الحكم البيزنطى بوصايتها على أخيها كما مر بنا ٠ فقد فضلت حياة العزوبه وشاركتها فى ذلك القرار شقيقاتها أركاديا ومانيا « ففى حضور رجال الدين والشعب نذر بنات أركاديوس الثلاث عفتهن لله وكتب هذا الالتزام بالعهد المهيب على لوحة من الذهب والجواهر ثم قرأه العذارى الثلاث على الملأ فى كنيسة القسطنطينية الكبرى » (٣٦) ٠

وقد تحول قصر العذارى الثلاث الى دير وأصبح محظورا كل الحظر على الذكور اجتياز الأعتاب المقدسة فيما عدا القساوسة الذين يهدون ضمائرهن ، وهم القديسون الذين نسوا الفرق بين الجنسين (٣٧) ٠

كونت بولكيريا وشقيقاتها وبعض العذارى المقربات منهن مجتمعا دينيا ، « ونبذ الجميع زهو الملبس وخيلاءه ، وكثيرا ماكن يلجأن الى الصوم حتى عن طعامهن البسيط المعتدل، وخصصن جزءا من الوقتللتطريز وأشغال الابرة، وكرسن عدة ساعات من الليل والنهار للصلوات والترانيم » (٣٨) ٠

ولكن ماذا كان موقف تلك العذراء المتقشفة فى حياتها الخاصة كامبراطورة ؟

يكفى ان نقول أن بولكيريا « كانت تتناول غذائها كل يوم أحد مع بطريرك بيزنطه (القسطنطينية) لتناقش معه سياسة الكنيسة » (٣٩) كما أن التاريخ الكنسى يصف لنا الكثير من الكنائس الفخمة التى شادتها بولكيريا فى كل ولايات الشرق ومؤسسات البر التى أقامتها لمنفعة الغرباء والفقراء هذا الى جانب المنح الوفيرة التى خصصتها بصورة دائمة لجمعيات الرهبنة (٤٠) ٠

---

(٣٦) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ ٠ ولو أن الأوغسطا بولكيريا تزوجت فى خريف عمرها وبعد وفاة أخيها ـ من مارقيان الذى كان جنديا قويا ثم أصبح امبراطورا (Ostrogorsky : Op. cit., 59)

(٣٧) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ص ٢٤٦ ٠

(٣٨) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠ جـ ٢ ، ص ٢٤٦ ٠

39. G. Buckler : Op. cit., p. 414.

ونسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٣٦

(٤٠) ادوارد جيبون : نفس المرجع والصفحة ٠

http://www.al-maktabeh.com

وعند الحديث عن بولكيريا تجب علينا الاشارة الى آثينيس ابنـــه الفيلسوف ليونتيوس التى كانت وثنية فى مستهل حياتها ثم اضطرتها الظروف الى اللجوء الى القسطنطينية (٤١) ٠

أغرت بولكيريا أخيها ثيودوسيوس على الزواج منها ، وذلك بعد أن شجعت آثينيس على ترك الوثنية والدخول فى المسيحية « وكان من الســـهل لغراء آثينيس على التبرؤ من أخطاء الوثنية ، وأطلق عليها فى المعمودية الاسم المسيحى يودوكيا (٤٢) ٠

فماذا كان موقف ايودوكيا بعد اعتناقها المسيحية ؟

ان مسيرة ايودوكيا الى الشرق ـ للحج والوفاء بنذور الشكر ـ تبدو « غير متفقة مع روح التواضع المسيحى لأنها أحيطت بمظاهر الأبهة والعظمة ٠ فقد جلست على عرش من الذهب والجوهر ٠٠ وفى انطاكيا تبرعت بمنحة قدرها مائتان من الجنيهات الذهبية لاعادة الحمامات العامة ، وقبلت التماثيل التى قررت أنطاكيا اهداءها لها عرفانا بجميلها ، وفى الأرض المقدسة فاقت صدقاتها ، والمؤسسات الدينية التى أمرت بها ، ســـخاء ميـــلانة العظيمـــة وأريحتها » (٤٣) ٠

غير أن هذا الحج المقدس كان النهاية المشئومة لأمجاد ايودوكيا حيث دخلت فى صراعات من أجل الحكم مع شقيقة زوجها ـ كما سنرى فى الحياة الاجتماعية ـ راح ضحيتها الكثير من الشخصيات البارزة فى الدولة (٤٤) ، بل أن القديسين لم يفلتوا أحيانا من عقابها ، فمثلا القـــديس خريسوستوم St. Chrysostom الذى شجع المرأة على « أن تشـــارك بدور فعال فى الخلافات الكنسية » عوقب هو نفسه بواسطة الامبراطورة ايودوكيا ، التى لقبها « بالمرأة الوقحة الفاسقة Jezebel » (٤٥) ٠

---

(٤١) نفس المرجع ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠ وهو يضيف أن آثينيس هـربت من غيـرة وجشع شقيقيها ٠

(٤٢) ادوارد جيبون ، جـ ٢ ، ص ٢٥٠ (غير أن بولكيريا حرصت على عدم منحها لقب أوغسطا حتى أثبتت أنها غير عقيم ، وأنجبت بنتا) ٠

(٤٣) ادوارد جيبون المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ ٠

(٤٤) ادوارد جيبون : اضمحلال ٠٠٠ جـ ٢ ، ص ٢٥٢ ٠

45. G. Buckler : Women in Byzantine law, pp. 413-414.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والواقع أن ايودوكيا طلبت من زوجها الامبراطور فى نهاية حيـــاتها أن يأذن لها بالانسحاب الى أورشليم حيث تعيش فى عزلة بعيدة ، وبالفعـــل كان لها ما أرادت ، فقضت ايودوكيا حوالى ستة عشر عاما تقريبا فى المنفى والتعبـــد (٤٦) ٠

٣ - ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان الأول :

اذا كانت ثيودورا - كما مر بنا - قد اتصفت بالشجاعة والاقـــدام والجرأة فى اتخاذ القرارات الى جانب خلاعتها فى مستهل شبابها ، فانهـــا بعد أن تنصرت وفهمت تعاليم الديانة المسيحية أصبحت من عداد النســـاء التقيات « وزاولت بعد اعتلائها للعرش حياة لا عيب فيها » (٤٧) وبذلك « لم تقل تقوى ثيودورا عن شجاعتها» (٤٨) فى تلك المرحلة من حياتها ، وقد أشاد (حنا الأفسوسى Jean d'Ephèse) - وهو أحد الكتاب المونوفيزيت المعاصرين لثيودورا - بتلك التقوى وذلك التدين (٤٩) ، عندما سماها « المرأة التى تحب المسيح والمملوءة بالحماس » وكذلك « الامبراطورة الأكثر تمسكا بتعـــاليم المسيحية ، والمرسلة من عند الله فى أزمنة صعبة كى تحمى المضطهدين » (٥٠)

ومهما يكن فى تلك العبارات من تحيز واضح من أحد كتاب المونوفيزيتيين لتلك الامبراطورة المونوفيزيتية (٥١) ، فان ذلك يوضح الى أى مدى أحبها أتباع المذهب المونوفيزيتى ٠

وقبل أن نستطرد فى حديثنا عن ميول تلك الامبراطورة الدينية واتجاهاتها نتوقف قليلا لنبين ماهية المذهب المونوفيزيتى (أو مذهب الطبيعة الواحدة) ٠

كانت المشكلة الكبرى التى قسمت المسيحيين وبالتالى العالم الرومانى الى معسكرين وأثارت البغضاء الدينية والسياسية بينهما لمـــدة قرنين من الزمان ، هى مشكلة تحديد العلاقة بين المسيح الابن والاله الأب ٠ ذلك أنه

---

(٤٦) ادوارد جيبون : اضمحلال ، جـ ٢ ، ص ٢٥٢ ٠

47. L. Bréhier : Vie el Mort, p. 23.

(٤٨) فشر : ترجمة د ٠ زيادة : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، جـ ١ ، ص ٤٧ ٠

49. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 199.

50. A.A. Vasiliev : Ibid., T. I, p. 199, G. Zananiri : Hist. de l'Eglise Byzantine, p. 125.

51. The Encyclopaedia Americana, V. 26, p. 528.

http://www.al-maktabeh.com

حدث خلاف بين اثنين من رجال الكنيسة فى الاسكندرية حول تحديد هـذه العلاقة فقال آريوس ـ وهو كاهن سكندرى مثقف ـ بأن المنطق يحتم وجـود الأب قبل الابن ، ولما كان المسيح الابن مخلوق للاله الأب فهو اذا دونه ولا يمكن بأى حال أن يعادل الابن الاله الأب فى المستوى والقدرة · وبعبارة أخرى فان المسيح مخلوق لا اله بمعنى هذه الكلمة المطلق والا فان المسيحيين يصبحون متهمين بعدم التوحيد وبعبادة الهين · أما اثناسيوس فقال بأن فكرة الثـالوث المقدس تحتم بأن يكون الابن مساويا للاله الأب تماما فى كل شىء بحـكم أنهما من عنصر واحد بعينه ، هذا وان كانا شخصين متميزين · وهـكذا كان أنصار آريوس من الموحدين فى حين كان المذهب الاثناسيوسى يستقيم وتفكير عامة الناس من البسطاء الذين يحكمون عواطفهم قبل عقولهم (٥٢) ·

وقد أدان مجمع أفسوس سنة ٤٣١ م الرأى القائل بفصل طبيعة المسيح الالهية عن طبيعته البشرية (٥٣) · ولقد أدت ادانة آريوس بعد أن أنكر أن الابن من مادة الأب الى انفصال الجرمان عن العالم المسيحى ، وانفصل معهم أيضا كل الغرب ، الذى قامت به الممالك الجرمانية (٥٤) ·

ومنذ ذلك الوقت ظهرت جماعة من رجـال الكنيسة يتزعمهم أقطاب الكنيسة المصرية ، تمسكوا بمبدأ الطبيعة الواحدة للمسيح ومن ثم أطلق على هذا المذهب « الطبيعة الواحدة "Monophysite" » (٥٥) ·

---

(٥٢) د · سعيد عاشور : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ٣٩ ـ ٤٠ · عن

(Painter : A Hist. of the Middle Ages, Lot : The end of the Ancient World).

(٥٣) د · سعيد عاشور : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ٥٢ · عن ·

(Duchesne : Hist. Ancienne de l'Eglise)

(٥٤) د · السيد الباز العرينى : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ص ١٩٠ · ويضيف نفس المرجع ان النضال ظل مستمرا حتى اختفت النحلة الأريوسيه ، غير أنها لم تكد تزول حتى ظهر مذهبان آخران ، النسطورية التى تدعو الى التفرقة بين الطبيعتين الالهية والبشرية عند المسيح ، والمونوفيزيتية التى تجعل من المسيح الها ، وقد سادتا فى مصر والشام وفلسطين ·

(٥٥) د · سعيد عاشور : تاريخ أوروبا العصور الوسطى ، ص ٥٢ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد بلغ النزاع الدينى بين كنيستى الاسكندرية والقسطنطينية أقصاه منذ حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى حينما اختلفت الكنيستان حول طبيعة المسيح · فذهبت الكنيسة المصرية الى القول بأن للمسيح طبيعة واحـــدة Monophysite أما كنيسة القسطنطينية فقد قالت بأن للمسيح طبيعتين وقد دعا الامبراطور مرقيان Marcian (٤٥٠ ـ ٤٥٧ م) من أجل ذلك الى مجمع دينى فى خلقدونية بآسيا الصغرى سنة ٤٥١ هـ قرر أن مذهب الطبيعة الواحدة كفر وخروج على الدين الصحيح (٥٦) · وأقر مذهب الطبيعتين « فالمسيح اله من طبيعة أبيه وبشر من طبيعة أمه ، وهو المذهب الملكانى » (٥٧) ·

والواقع أن مصر وسوريا كانتا باســـتمرار موطنا لأمم عديدة كانت مستعدة باستمرار للانفصال عن الدولة البيزنطية مستقلين بمعتقداتهم الدينية· وقد أغدق أباطرة نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلاديين العديد من الامتيازات على المونوفيزيتيين ، وكانوا يميلون أكثر الى تحقيق الوحـة مع روما (٥٨) ·

وقد اختلف الوضع تماما منذ عهد جستين الأول (٥١٨ ـ ٥٢٧ م) ثم فى عهد جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥ م) فقد بدأ القمع والاضطهاد ضـد المونوفيزيتيين فى سوريا وفلسطين وأرمينيا وما بين النهرين ثم على وجـه الخصـــوص فى مصر ، ولذلك كـــان المونوفيزيتيين شديدى التـــلهف لثيودورا (٥٩) ·

---

(٥٦) د · سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ج ٦ · عن
(Milne :A History of Egypt)
ويضيف نفس المرجع ان مسيحو مصر لم يقبلوا ما أقره مجمع خلقدونية وأطلقوا على أنفسهم « الارثوذكسيين » (أى اتباع الديانة الصحيحة) ولا زالوا يعرفون بذلك الاسم الى اليوم ·

57. Diehl : Theodora, p. 249
Bury د · سعيد عاشور : تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى ص ٥٢ عن
وقد عرف اتباع الكنيسة البيزنطية بعد الفتح العربى باسم الملكانيين « من الكلمة العربية ملك » لاتباعهم مذهب الامبراطور · (د · سيده كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٦ عن Munier

58. Diehl : Theodora, pp. 250-251.
59. Diehl : Ibid., p. 251, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195.

http://www.al-maktabeh.com

كانت ثيودورا منذ شبابها على وئام مع مسيحى مصر والشام ، لذلك عملت جاهدة قبل اعتلائها العرش البيزنطى على تلطيف الجو وتخفيف الاندفاع الجنوبى لاضطهاد المونوفيزيتيين ، معتمدة فى كل ذلك على ما كان لها من نفوذ قوى على جستنيان (٦٠) ٠

وفى نفس الوقت كان جستنيان من المساندين للارثونكسية (٦١) «عاش متزمتا متعصبا لعقيدة الطبيعة المزدوجة » (٦٢) خلقدونيا Chalcedonian (٦٣) وكان يحلم بالصلح مع البابوية وبالنجاح فى تحقيق الوحدة بين القسطنطينية والغرب (٦٤) ٠ أو بمعنى آخر كان يحلم بحكم أرثوذكسى متحد مع روما ، وكان ذهنه مفعما بمظاهر عظمة وفخامة روما (٦٥) ٠ وبذلك كان جستنيان « شديد الايمان بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية (٦٦) ٠

ذلك كان جستنيان وتلك كانت ثيودورا قبل اعتلائها العرش والتى « لم تتعارض رذائلها مع تعبدها » (٦٧) ولا عبرة هنا بما قيل من « أن والـــد ثيودورا كان قسيسا أرثودكسيا وأنه عندما طلبها جستنيان للزواج لم يرغب والدها فى تزويجها منه الا بعد أن تعهد جستنيان بأنه لن يجبرها على قبول مجمع خلقدونية » (٦٨) فربما نقل ابن العبرى ذلك الرأى عن أحد المتحيزين لثيودورا ٠

فكل ما يهمنا هنا هو أن ثيودورا كانت شرقية بحكم مولدها ، وكانت متعاطفة باستمرار مع المونوفيزيتيين بعد أن احتكت عن قـــرب بالعديد من

---

60. Diehl : Ibid., p. 251, Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 25.
61. G. Zananiri : Hist. de l'Eglise Byzantine, p. 125 The Encyclopaedia Americana, V. 26, p. 528.

(٦٢) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ١ ، ص ٥٧ ٠

63. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195
64. Christopher Danson : Le Moyen Age et les Origines de l'Europe, p. 142, C.W. Previte Orton : Ibid., p. 195, Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 25.
p. 152.
65. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27 عن (Diehl), Diehl : Theodora,

(٦٦) د ٠ أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨٠ ٠

(٦٧) ادوارد جيبون : اضمحلال ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ ٠

68. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I pp. 73-74.

مكتبة المهتدين الإسلامية

رؤسائهم فى الاسكندرية فى أيام شبابها (٦٩) · معجبة بمعلميهم ، محبة لصراحة رهبانهم · والواقع انها لم تكن مدفوعة فى كل ذلك بالشفقة أو التعاطف فقط بل انها بموهبتها السياسية الفذة عرفت اهمية المسائل الدينية فى دولة مسيحية (٧٠) · كذلك بحكم تعليمها أصول الديانة المسيحية على يد معلمين من اليعاقبة (٧١) · « والواقع أن ثيودورا تأثرت بمعلميها بشدة ليس فقط فى التمسك بمعتقدهم ولكن بالجهر بهذا المعتقد وابرازه بطريقة علنية » (٧٢) ·

وعليه فبينما شغل جستنيان نفسه فى المقام الأول بالمجادلات الدينية التى لا تنتهى ، كانت ثيودورا مثل كل الأباطرة البيزنطيين العظام ، قد عرفت الملامح الرئيسية للصعوبات السياسية من خلال الخلافات الدينية السريعة الزوال (٧٣) · لذلك فقد اتبعت فى الداخل وفى الخارج أحيانا سرا وأحيانا جهرا سياسة مستقلة هى نفس سياسة كل من الامبراطور زينون Zeno (٤٧٤ ـ الى ٤٧٥ ثم من ٤٧٦ الى ٤٩١ م) وأنسطاسيوس Anastasus ٤٩١ ـ ٥١٨ م (٧٤) ·

لقد عرفت ثيودورا أن أقاليم مصر وسوريا الغنية المزدهرة تمثل الدعامات الأساسية للامبراطورية (٧٥) ·

كذلك عرفت أن الخلافات الدينية التى أظهرت بسببها الأمم الشرقية

---

69. Cam. Med. Hist. V. II, p. 25 عن (Diehl), C.W. Previte Orton Op. cit. V. I, p. 187.
70. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27 عن (Diehl)

(٧١) ادوارد جيبون : اضمحلال ·· ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ ·

والمذهب اليعقوبى نسبة الى يعقوب البرادعى Jacob Baradeus أسقف مدينة الرها المونوفيزيتى فى النصف الثانى من القرن السادس الميلادى الذى زار مصر وعدد من بلاد الشرق لتنظيم الكنائس المونوفيزيتية بها · (د · سيد د كاشف : مصر فى فجر الاسلام ، ص ٦ · عن Munier

72. A.A. Vasiliev : Hist. de l'Empire. T. 1, p. 172.
73. Cam. Med. Hist., V. II, p. 27. (Diehl)
74. C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 188.
75. Diehl : Theodora, p. 152, A.A. Vasiliev Op. cit., T. 1 p. 173, C.W. Previte Orton : Ibid., p. 188, Cam. Med. Hist. V. II, p. 27.

http://www.al-maktabeh.com

نزعاتها المنشقة تهدد الدولة بشدة)٧٦) · بل انها ذهبت الى أبعد من ذلك عندما رأت ضرورة تهدئة السخط والاستياء ، عن طريق استغلال كل الفرص المتاحة وأيضا بالتسامح الواسع المدى ، لذلك دفعت بالسياسة الامبراطورية لتشكل نفسها فى النهاية على هـــذا الوضع ، وقادت معها فى نفس الوقت زوجها القلق المتردد جستنيان (٧٧) ·

ولكن مهما كان الحال فقد عاشت طوال حياتها ، وحتى أيامها الأخيـرة محاربة مدافعة عن معتقدها المونوفيزيتى (٧٨) · مغـــدقة امتيازاتها على أتباعها المونوفيزيتيين (٧٩) ·

ووفقا لتعبير (ديبل) المسهب « يرجع اليها الفضل فى أن هراطقة مصر نعموا سنوات طويلة بالتسامح ، واليها أيضا أخذ هراطقة سوريا حق اعادة تأسيس كنيستهم القومية المضطهدة ، كذلك يرجع الى حمايتها أن المنشقين أصبح لهم الحق ، فى البداية فى الدخول فى رعايتها وفى القدرة على اعادة البدء بحرية فى دعايتهم ، وفى النهاية تمكنوا من تحدى قرارات الحرمان التى أصدرتها المجامع الدينية وتشريعات السلطة العلمانية · والى تشجيعاتها ومؤازرتها توجت البعثات التبشيرية المونوفيزيتية فى النهاية بالنجاح فى بلاد العرب والنوبة والحبشة ، ولقد عملت جاهدة طوال حياتها على الوصول الى أرض يســـودها الوفاق والتفاهم ولم تعتنق طوال عمـــرها سوى المذهب المونوفيزيتى » (٨٠) ·

فقد أعلنت ثيودورا ما لها من آراء مستقلة فى المسائل الدينية وبدت ميولها مع المونوفيزيتيين ، كما بدت عواطفها شرقية وبصيرتها الســـياسية الثاقبة فى جانب الاتفاق الدينى مع « المونوفيزيتية التى استطاعت أن تتحدى الاضطهاد وتستهوى الشعوب الشرقية أعظم استهواء » (٨١) ·

---

76. Cam. Med. Hist. V. II, Ibid., p. 27.
77. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27.
78. Diehl : Theodora, p. 153.
79. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 173.
80. Diehl : Theodora, p. 252.

(٨١) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ١ ، ص ٥٧ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

والحقيقة أن جستنيان تمادى فى البداية فى اضطهاده البشع ضد المونوفيزيتيين ، ذلك الاضطهاد الذى كان قد بداه على عهد جستين (٨٢) . وكان ذلك هو سبب اصداره للقوانين الصارمة ضد الهرطقة فى ٥٢٧ ، ٥٢٨ م (٨٣) .

لكن لم يلبث جستنيان تحت تأثير ثيودورا الشديد وكلمتها المسموعة لديه أن « وجد نفسه بين شرين : شر الابتعاد عن رومه وعن الكنيسة الأرثوذكسية ، وشر انفصال الولايات الشرقية عنه أو شر القلاقل فيها واستعداد أهلها لمناوأته فى كل فرصة تنتهز » فأحب أن يضع حلا وسطا يرضى به أصحاب الطبيعة الواحدة ولا يحيد به عن أرثوذكسيته (٨٤) .

وعلى ذلك فوفقا لمشورة ثيودورا اعتمد جستنيان فى مستهل حكمه على مستشارين مونوفيزيتيين (٨٥) . وبنصيحتها استدعى الرهبان المنفيين (٨٦) . وذلك بأن « أصدر قرارا ٥٢٩ م يلغى قرار النفى عن بعض الرهبان من أصحاب الطبيعة الواحدة » (٨٧) فعاد عدد كبير من الأساقفة والرهبان الهاربين والمبعدين فى المنفى ، بعد سنوات طويلة من الغياب الى كنائسهم وأديرتهم المخربة المهجورة (٨٨) .

وهكذا ظهر المونوفيزيتيون من جديد فى العاصمة ، بل وحتى فى «القصر المحرم » (٨٩) أى قصر ثيودورا نفسه ، فقد أصبح القصر تحت حمايتها ملجأ لرؤساء المونوفيزيتية ، ومركزا لمؤامراتهم (٩٠) .

هنا يظهر تحامل جيبيون مرة أخرى على ثيودورا وذلك فى قوله « انتعش أولئك الذين كانوا يناصبون الكنيسة العداء سرا أو علانية ، وتضاعف عددهم

---

82. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195.

(٨٣) د . أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨٠ .

(٨٤) د . أسد رستم : المرجع السابق ، ص ١٨٠ - ١٨١ .

85. A.A. Vasiliev : Op. cit. T. I, p. 199.

86. C.W. Previte Orton V.I, p. 195.

(٨٧) د . أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ .

88. Diehl : Theodora, p. 252.

89. Diehl : Ibid., pp. 252-253.

90. Christopher Dauson : Le Moyen-Age..., p. 142.

http://www.al-maktabeh.com

بفضل الابتسامة الكريمة التى علت وجه مولاتهم » (٩١) ٠

وقد خطت ثيودورا خطوة أوسع عندما شجعت جستنيان على الدخول فى علاقات مباشرة مع المنشقين ٠ فقد كانت شديدة الاعجاب والود (لسيفيروس Sévère) (٩٢) أو (سويروس) بطريرك انطاكية الذى كان قد عزل من وظيفته (٩٣) ٠ والذى كان قد عرفته من قبل فى الاسكندرية وهو الذى كان ايمانه وعلمه وفصاحته وشجاعته فى مواجهة الاضطهاد ، من أكبر العوامل التى رفعت من شأنه وجعلته من مشاهير الحزب المونوفيزيتى ، لذلك - وبتأثير منها - كتب جستنيان وثيودورا الى سفيروس متوسلين اليه أن يحضر الى القسطنطينية (٩٤) ٠ للتداول معه فى طريقة الوصول الى حل وسط (٩٥) ٠

عندئذ تذرع المطران « بكبر سنه وضعفه وبياض شعره ، الذى أعلن دنو أجله » ٠ وأصر على البقاء بالاسكندرية (٩٦) ٠ لكن عزيمة ثيودورا لم تهن ولم تثبط همتها فاذا لم تكن قد استطاعت فى البداية أن تقنع سفيروس بالحضور فقد دعت تلاميذه الى اجتماع مع الأرثوذكس « لاعادة الوحدة » (٩٧) ٠

وبالفعل عقد ذلك الاجتماع الدينى من أجل الصلح ، ووفقا لرأى شاهد عيان انشغل الامبراطور فى مناقشة خصومه فى كل المسائل الغامضة « بكل لطف وبكل صبر » (٩٨) وبتعبير آخر « بحنان وعطف الأب » (٩٩) وبالفعل تم الصلح « واستقر خمسمائة راهب مونوفيزيتى فى أحد قصور العاصمة محولين ذلك القصر الى صحراء كبيرة وغريبة للتنسك » (١٠٠) ٠

---

(٩١) ادوارد جيبون : اضمحلال ، ج ٢ ، ص ٥٣٤ ٠

92. Diehl : Theodora, p. 253.

(٩٣) د ٠ أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ ٠

94. Diehl : Theodora, p. 253, L. Bréhier : Vie et Mort, p. 27.

(٩٥) د ٠ أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ ٠

96. Diehl : Theodora, p. 253.

97. Diehl : Ibid., p. 254.

98. A.A. Vasiliev : Op. cit. T. I, p. 199 عن (Mansi)

99. Diehl : Theodora, p. 254.

100. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 199 عن (Joannis Ephesi)

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبذلك « كانت حماية ثيـــودورا ورعايتها خير معين للمنشقين عـلى النشاط » حتى فى العاصمة البيزنطية نفسها (١٠١) · وبمعنى آخـــر فانه عندما انصت جستنيان لتنظيمات زوجته ، أجاز للمونوفيزيتيين قدرا محمودا من التسامح (١٠٢) ·

عندئذ أسرع الكثيرون من كبار المونوفيزيتيين الى العاصمة (١٠٣) ، وعلى رأسهم سفيروس نفسه ، الذى أنهى تردده « نتيجة لاصرار الاميراطورة ثيودورا وأيضا تحت الحاح اخوته فى الدين ، الذين عاتبـــوه وبكتوه على كسله الواضح » (١٠٤) ·

وهكذا وصـــل سفيروس الى القسطنطينية ، وأقام فى القصر نفســه « كضيف لثيودورا » (١٠٥) معتمدا على مودتها مســـموعا من العظمـــاء وبذلك زاول سفيروس تأثيرا قويا على الشئون الدينية ، وأصبح المونوفيزيتيين هم سادة العاصمة (١٠٦) ·

هنا يبرز لنا دليل بشىء من الاستفاضة كيف كانت رعاية الامبراطورة ثيودورا هى الدعامة الأولى لامتداد النفوذ المونوفيزيتى آنذاك · فمثلا «استطاع الراهب المونوفيزيتى Zooras وهو فى الدير الذى بنى على أرض أعطيت له بواسطة الامبراطورة أن يعلم الجميع دقائق عقيدته ، وقد ارتفعت منزلته بين الفقراء بالذات نتيجة لتواضعه ومحبته واحسانه بتوزيعه الصدقات كـل يوم على المحتاجين الذين كانوا يحتشدون بالمئات على باب ديره » (١٠٧) ·

---

101. Diehl : Theodora, p. 254.

(١٠٢) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ١ ، ص ٥٧ ·

103. Diehl : Theodora, p. 255.

ومن أمثلة هؤلاء المونوفيزيتيين : بيير Pierre أسقف أفامية Apamée القديم والراهب Zooras

104. Diehl : Ibid., p. 255.

وقد كان جزءا من رد سفيروس على اخوته فى الدين أنه قال لهم « سأركب الى القسطنطينية لكى لا أظهر أى عقبة أمام تحقيق آمالكم ، لكنى سأعود بدون أية نتيجة » ·

105. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195.

106. Diehl : Theodora, pp. 255-256.

107. Diehl : Ibid., p. 256.

http://www.al-maktabeh.com

ولقد كانت النساء - على وجه الخصوص من أكثر المتحمسين للمبشرين السوريين - والحقيقة أن من أهم النقاط التى عاب بها منافسى المونوفيزيتيين عليهم هى أنهم « قدموا تسهيلات فريدة واستمالوا اليهم عن طيب خـــاطر الكثير من العاهرات والراقصات والعديد من المخلوقات الميؤوس منهم لكثرة عيوبهم ورذائلهم » (١٠٨) ٠

والواقع أن نجم المونوفيزتيين كان فى الصعود ونجاحهم كان فى ازدياد بمؤازرة ثيودورا التى سرعان ما لعبت الظروف دورها مرة أخرى لتزيد من نفوذ تلك الامبراطورة فى المجال الدينى ٠

فقد توفى فى تلك الأثناء كلا من (Epiphane) بطريرك القسطنطينية (Timothée), بطريرك الاسكندرية (١٠٩) ٠ فترك جستنيان لثيودورا حرية اختيار بطرقين محلهما فاختـــارت « بطاركة محلهم مشـــتبه فى هرطقتهم » فأنثيميوس Anthime تولى بطريرك للقسطنطينية وثيودوس Theodose عين بطريركا للاسكندرية (١١٠) ٠

ويهمنا هنا أن نوضح أن الكرسى البطرقى فى القسطنطينية بالذات اعتلاه انثيميوس المونوفيزيتى ٥٣٥ م (١١١) وهذا يبرز لنا الى أى مدى وصل نفوذ الامبراطورة ثيودورا عندئذ ٠

---

108. Diehl : Ibid., p. 256.

109. Diehl : Ibid., pp. 257-258.

وقد توفى ابيفانوس بطريرك القسطنطينية ٥٣٥ م (أســـد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١) ٠

110. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 27.

كان انثيميوس يقيم فى أحد الأديرة الذى أقامته الامبراطورة ثيودورا فى قصر Hormisdas ٠ وكان رجلا مقدسا ، كان قبل ذلك أسقفا لطرابيزون وقد احترمه المونوفيزيتيون لقوة ايمانه وحسن اخلاقه واحتقاره للدنيا وملذاتها ولشجاعته التى جعلته أقرب للحقيقة أما ثيودوس فكان « مرنا لينا »
(Diehl : Theodora, pp. 257-258).

111. C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 195.

وقد ظل انثيميوس مختبئا فى قصر ثيودورا الخاص حوالى اثنى عشرة عاما قبل وفاتها ٠ وهذا يدل على مدى حمايتها له (رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص٢٢٨) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

ولكن لم ينعم المونوفيزيتيين طويلا بذلك التسامح ، ولم تتح الفرصة الكاملة آنذاك لثيودورا كى تحقق نواياها (١١٢) · ففى الوقت الذى كان جستنيان يعد لاجتماع دينى جديد (١١٣) لمناقشة بعض الأمور الدينية ، وصل خصم ومنافس غير متوقع فى تلك اللحظة الى بيزنطة ، وكان ذلك الخصم ممثلا فى (البابا اجابيتوس Agapit أو Agapetus) مبعوثا الى جستنيان من قبل ملك القوط الشرقيين (١١٤) · لكى يعوق الامبراطور البيزنطى جستنيان من تنفيذ خططه لاستعادة ايطاليا (١١٥) · وقد « وصلت تلك السفارة الى القسطنطينية فى ٢ فبراير ٥٣٦ م » (١١٦) فعلم البابا بما فى الزوايا من خبايا (١١٧) · فاهتم بالمسألة الدينية ورفض الدخول فى مفاوضات مع انثيميوس « الزنديق » مما أغضب جستنيان (١١٨) ·

هنا برزت مهارة ثيودورا مرة أخرى « تضرعت ووعدت الحبر بالمال فجذبته الى جانبها بتظاهرها بالأرثودكسية التامة » (١١٩) ·

وتلى ذلك طلب البابا طرد الراهب زوراس Zooras ورغم تحذير جستنيان له من قوة شخصية ذلك الراهب الا أن البابا أصر على « أن يجعل الراهب السورى يحضر أمامه ليجبره على الخضوع » ولكن رغم محاولات كل من البابا والامبراطور نفسه اقناعه بذلك الا أن المفاوضات كانت بدون جدوى (١٢٠) ·

---

112. Diehl : Theodora, p. 260.
113. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 27.
114. L. Bréhier : Ibid., p. 27, Diehl : Op. cit., p. 260
The Encyclopaedia Britannica, V. I, (A Bib, 1768, p. 130.

ويضيف المرجع الأخير أن البابا عين فى ١٣ مايو ٥٣٥ م وتوفى فى القسطنطينية فى ٢٢ ابريل ٥٣٦ م وأنه قبل ان يعتلى الكرسى البابوى كان رئيسا للشمامسه فى روما ·

115. The New Encyclopaedia Britannica, V. I, (A. Bib) 1768, p. 130.
116. L. Brhier : Op. cit., p. 27.

(١١٧) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ ·

118. Diehl : Theodora, p. 260.
119. Diehl : Theodora, p. 260.

(١٢٠) عندما وصلت البعثة البابوية الى زوراس لتستقدمه للمثول أمام البابا احابيتوس وجدت أبواب الدير مغلقة واجابهم الراهب : تلك هى أيام الصوم الكبير =

http://www.al-maktabeh.com

وثمة رأى يذكر أن جستنيان عندما جرد فرقة عسكرية للقبض على الراهب وأرادت عبور القرن الذهبى Corn d'or لتصل الى (ضاحية Sykae) التى يوجد بها زوراس · وفى لحظة النزول من السفينة « انتصب على الشاطىء الثانى شبحا مهولا أبعد السفينة بضربة من قدمه ، ورمى بها وسط الأمواج » عندئذ فر الجميع وكلهم ثقة أن الله يحارب مع الرجل المقدس وسرعان ما أخبروا جستنيان بذلك (١٢١) ·

هذا وقد دعا البابا أجابيتوس أساقفة القسطنطينية ومقدمى الكهنة فيها الى مجمع محلى برئاسته عزل فيه انثيميوس ومن شاركه رأيه ثم انتخب الاكليروس والامبراطور والشعب ميناس Menas بطريركا على القسطنطينية (١٢٢) ·

والواقع أن ذلك كان نجاحا عظيما للبابا ، فقد اختار ورسم بنفسه الأسقف ميناس ٥٣٦ م ليخلف البطريرك انثيميوس (١٢٣) بدون أى خلاف · لكن لم تمض سوى فترة تقل عن الشهر حتى توفى أجابيتوس نفسه مما « جعل المونوفيزيتيين يعتبرون أن موته كان عقوبة عادلة من الله » (١٢٤) نتيجة لموقفه المتشدد منهم ·

هنا عاود المونوفيزيتيون رفع رؤوسهم من جديدة بتأييد من الامبراطورة ثيودورا ، وابتدأوا من جديد فى دعايتهم ، حتى أن زوراس « نصر علنا فى عيد الفصح عددا كبيرا من الأطفال من أبناء العائلات النبيلة فى البلاط ، بل أن أحد المونوفيزيتيين تجرأ وضرب بعصاه صورة امبراطورية فكان جزاءه سمل عينيه » · هنا اشتد الشغب والهياج فى العاصمة البيزنطية (١٢٥) ·

= وان القانون السماوى يحذر التفاوض مهما يكن فى تلك الفترة · وقد حدث ذلك أيضا بالنسبة للامبراطور فقد قال الراهب : « ليس لدى كلام اخر أقوله لك » « واذا أردت استخدام القوة فذلك من اختصاصك » ·

(Diehl : Ibid., p. 261)

121. Diehl : Ibid, pp. 261-262.

(١٢٢) د · أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ ·

123. The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A. Bib 1768) p. 130.

124. Diehl : Op. cit., p. 262

هنا يذكر ديبل أن الكاثوليك ادعوا أنه « سقط نتيجة لسحر وتعزيمات مناسبة » ·

125. Dihl : Ibid., p. 262.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عندئذ عقد البطريرك ميناس - بطريرك القسطنطينية الجديدة - مجمعا دينيا ٥٣٦ م فى كنيسة العذراء المجاورة لكنيسة سانت صوفى (١٢٦) . وحضر المجمع أساقفة القسطنطينية والأساقفة الذين كانوا بصحبة البابا أجابيتوس الى جانب بعض الجماعات المقدسة من سوريا وفلسطين وسيناء (١٢٧) . فشجبوا الهرطقة شجبا ، (١٢٨) ولعن انثيميوس وصدر قرار الحرمان ضده ، هذا الى جانب ادانة كتابات كل من سيفيروس وبيير الأفامى Pierre d'Apamée وزوراس ، وقد جردوا من كل الرتب الكهنوتية. بل ان جستنيان تحت تأثير ممثل البابا المدعو بلاجيوس Pelagius قام بحركة اضطهاد شديدة وذلك فى سنة ٥٣٧ م حتى قيل أن رهبان مصر أنفسهم لم يفلتوا منها (١٢٩) .

ومرة أخرى برز تعضيد ثيودورا للمونوفيزيتيين والمونوفيزيتية ، فرغم مالحق بها من اضرار الا أنها بالغت فى بسط نفوذها على الامبراطور، فقد أنزلت انثيميوس فى الخدر أو الحريم الخاص بالقصر الامبراطورى ، وجنبت الآخرين الذين اتهموا ، من التمثيل أمام المجمع (١٣٠) . هذا بالاضافة الى أن البطريرك المعزول ثيودوس Theodose قام بترسيم عدد من الكهان (١٣١) كذلك زودت سيفيروس بكل الوسائل التى ساعدته على الهرب ، أما بطريرك انطاكية فقد توجه الى مصر وبدأ من جديد فى مزاولة نشاطه بينما نفى زوراس الى تراقيا (١٣٢) .

بل ان تأثير ثيودورا الدينى برز واضحا جليا بعد ذلك عندما تحدث

---

(١٢٦) أسد رستم : الروم ، ج ، ص ١٨١ .

127. Diehl : Op. cit., p. 263.

(١٢٨) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ .

129. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195.

130. Diehl : **Op. cit., p. 264.**

والحريم جمعها حرائم وهى كلمة تعنى كل ما يتحرم به ويمنع منه ويدافع عنه وهى تعنى أهل الرجال من نساء وأطفال (د . عبد المنعم ماجد : تاريخ الحضارة الاسلامية فى العصور الوسطى ، ص ١٢١ (القاهرة ١٩٧٨ م) .

131. L. Bréhier : **Op. cit., p. 27.**

132. Diehl : Op. cit., p. 265

(Bréhier : Vie et Mort, p. 27). وهنا اضاف بربيه .

ان سيفيروس لجأ الى مصر حيث مات بها وقدس ٥٣٨ م .

http://www.al-maktabeh.com

البابوية نفسها واختارت (بابا لروما) وفقا لرغبتها (١٣٣) · فقد طمع رجل دين يسمى (سلفاريوس Silverius) فى منصب البابوية ورشا الملك ثيودوسيوس فأكره الأخير على قبول سلفاريوس وهدد كل معارض له بالقتل فكتبت ثيودورا الى هذا البابا أن يساعد انثيميوس على ميناس فرفض (١٣٤)· فاتهمته بالخيانة العظمى (١٣٥) · واتفقت ثيودورا مع فيجيليوس Vigilius وكيل إلبابا فى القسطنطينية ووعدته بالكرسى البابوى · وزودته بتقرير الى بلزاريوس القائد البيزنطى على شرط أن يطعن فيجيليوس فى المجمع الرابع ويساعد سفيروس وأنثيميوس على ميناس · فقبل ذلك وسافر الى روما · فخلع بلزاريوس البابا وألبسه ثوب الرهبنة ونفاه وأقام فيجيليوس مكانه فثبت فيجليوس المعتقد بالطبيعة الواحدة وحرم كل من يقول أن فى المسيح طبيعتين وكل من يقول أنه صلب من حيث هو انسان ، ولا يعترف أن ابن الله هو نفسه الذى صلب (١٣٦) ·

الواقع أن ثيودورا لم تكن بالمرأة التى تقبل الهزيمة (١٣٧) ، فقد كان لابد أن تنحنى أمام الظروف فوقفت فترة عاجزة عن تقديم أى عون أو مؤازرة لأتباعها المحطمين ، ولكنها فى نفس الوقت استطاعت بجرأة ومرونة ومقدرة فائقة أن ترد الصاع صاعين وأن تنتقم للمونوفيزيتية ولأتباعها · فبينما كان مجمع ٥٣٦ م ينزل لعناته العقيمة على المونوفيزيتيين انتهزت ثيودورا فرصة موت البابا أجابيتوس لتبحث عن بابا جديد من اختيارها يعتلى العرش البابوى · ونجحت فى تحقيق هدفها كما رأينا مستعينة فى ذلك بنائب البابا فيجيليوس الذى أصبح بفضلها وبمؤازرتها (بابا) جديدا يناصر المونوفيزيتية (١٣٨) ·

وأكثر من ذلك أنها استغلت رؤساء المونوفيزيتيين المعتقلين فى العاصمة

---

133. Diehl : Theodora, pp. 148, 153.

(١٣٤) أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ ·

135. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 195.

(١٣٦) أسد رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ١٨٢

L. Bréhier : Op. cit., pp. 27-28

137. Diehl : Op. cit., p. 266, C.W. Previte Orton : V. I, p. 195.

138. Diehl : Ibid., pp. 266-267.

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨٢

مكتبة المهتدين الإسلامية

فى مهمة التبشير فى الخارج ، بل أنه يرجع الفضل اليها فى اتاحة الفرصة ليعقوب البرادعى أسقف الرها ٥٤٣ - رغم تعقب رجال الشرطة له - كى يعيد تنظيم الكنيسة المونوفيزيتية فى سوريا التى سميت بعده الكنيسة اليعقوبية (١٣٩) ٠

هنا أفاق جستنيان من جديد وبدأ يأخذ اتجاها مضادا للمونوفيزيتيين ويسعى للصلح مع الغرب ولم يكن مستبدا برأيه فى أى وقت مضى ، كما كان فى ذلك الوقت فقد اختلق الكثير من الجدل الدينى والمناظرات العقيمة ، بل اتجه الى أبعد من ذلك بأن حرم وأدان فى ٥٤٣ م(الفصول الثلاثة (The thrree Chapters (١٤٠)

والفصول الثلاثة هى كتابات كل من ثيودور Theodore المصيصى و Ibas الرهوى ، وثيودوريت Theodoret القورسى ، الذين تمت الموافقة على كتاباتهم فى مجمع خلقدونية ، وقيل ان جستنيان أراد من وراء ذلك تضليل المونوفيزيتيين وذلك أنه اذا أدينت كتاباتهم فسوف يوافق المونوفيزيتيون على ما جاء من عبارات بخصوص العقيدة الخلقدونية (١٤١) ٠

والواقع أن فيجيليوس ندم بعد ذلك على ما قاله وفعل فأخذت ثيودورا ترتقب فرصة تستدرجه فيها الى القسطنطينية لتنتقم منه ، وبالفعل تم ذلك فى ٥٤٧ م (١٤٢) ٠

ولم تلبث ثيودورا أن « توفيت بداء السرطان فى ٢٨ يونيه ٥٤٨ م ، ففقد جستنيان بوفاتها مستشارة نشيطة أمينة » ٠ فانكشفت نقائصه وأهمها التردد والهوس باللاهوت فأهمل واجباته الادارية وكرس معظم لياليه للجدل الدينى (١٤٣) ٠

---

139. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 195.
140. C.W. Previte Orton : Ibid., p. 195.
141. C.W. Previte Orton : Ibid., p. 195.

(١٤٢) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ١٨٢ ٠

(١٤٣) أسد رستم ، الروم ، ج ١ ص ١٩٣
The Encyclopaedia Americana V. 20, p. 528.

ويضيف المرجع الاخير هنا أن كلا من المونوفيزيت والارثوذكس فقدا بعد وفاتها أنصارهما المتحمسين المهمين ٠

http://www.al-maktabeh.com

والواقع أنه من الانصاف أن نقول « أن ثيودورا تنبأت بالمستقبل بصورة أكثر وضـــوحا وفهمت الوضـــع على نحو أكثـــر دقة مما فعل رفيقها الامبراطورى » (١٤٤) أى الامبراطور جستنيان حتى قيـل أنه من الحكمة أكثر الخضوع لرأيها وليس لرأى جستنيان (١٤٥) ٠

ويكفى هنا للتدليل على قوة شخصيتها فى المجال الدينى أن نشير أولا الى موقفها القوى المتين ومؤازرتها لأتباعها وعلى رأسهم البابا فيجيليوس وبطريرك القسطنطينية انثيميوس وسفيروس الأنطاكى وثيودوس الاسكندرانى ويعقوب البرادعى (١٤٦) ٠

وثانيا : ربما كان تحديها العلنى أحيانا لرغبات زوجها كافيا وحـده لاثبات مكانتها الدينية ، ومدى تقدم رأيها على رأى جستنيان ٠ وكمثال شهير على ذلك نقلناه بالتفصيل عن ديل (١٤٧) يبين فيه ، أن الأسقف المونوفيزيتى (جوليان Julien) الذى كان ضمن حاشية بطريرك الاسكندرية المعزول ثيودوس أراد التوجه للتبشير بين وثنى النوبة ، وعندما علم جستنيان بذلك عهد ببعثة دينية يرأسها أسقفة ارثوذكس وأعد سفارة عهد اليها أن تحمـل الى ملك النوبة المال والهدايا القيمة والعديد من ملابس التعميد ، وفى نفس الوقت صدر أمرا الى دوق Thébaide بأن يعضد بكل جهوده المبعوثين الامبراطوريين من قبل جستنيان ٠ فماذا كان موقف ثيودورا من ذلك ؟ ٠

لقد أرسلت ثيودورا من جانبها خطابا قصيرا ولكنه حازما فى نفس الوقت الى حاكم Thébaide قالت فيه « ان مبعوث الامبراطور سيصل أولا الى بلاده وأن عليه أن يتذرع بأية حجة لارجاع مندوبى الامبراطور ، وفى نفس الوقت عليه أن يعطى لجوليان حق التقدم فى الدخول الى بلاده » وأمام تلك الرغبة الحازمة لم يستطع حاكم Thébaide سوى أن يفسح المجال لمرور مبعوثى ثيودورا أولا ٠ وقد عملت كافة الترتيبات لتعطيل بعثة الامبراطور ، لذلك فعندما وصلت تلك الأخيرة « لم تثمر أية نتيجة » ٠

---

144. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27 عن (Diehl)
145. Diehl : Theodora, p. 149.
146. Diehl : Ibid., p. 148.
147. Diehl : Ibid., p. 149-150.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وبذلك كان نفوذ ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان الأول واضحا فى الحياة الدينية كما كان بارزا أيضا فى الحكم والحياة السياسية حتى أن الأساقفة وكبار رجال الدولة كانوا يتوسلون الى الله والى كل المقدسين لديهم أن يجزل الثواب للامبراطور والامبراطورة الأكثر تقوى والأكثر قدسية (١٤٨)

٤ - الامبراطورة ايرين :

تمثل الامبراطورة ايرين قطبا هاما بارزا من الأقطاب الأنثوية فى التاريخ البيزنطى ، وقد مر بنا كيف تركت آثارا لا تمحى بالنسبة للحكم البيزنطى والحياة السياسية فى عهدها · والآن ننتقل الى حقل آخر وضح فيه تأثيرها بشدة وفاعلية قوية وهو الحقل الدينى ·

اشتهرت ايرين بتقواها وتبجيلها للايقونات والصور (١٤٩) والأيقونات Icons فى المصطلح هى كلمة مشتقة من الفعل الاغريقى القديم Eiko بمعنى أنا أشبه أو أماثل والاسم Eikon ومعناه : صور أو صورة مقدسة· وقد اشتق من هذا المصطلح كثير من المصطلحات التى شاعت فى التاريخ البيزنطى منها عابد الصور والتماثيل Iconodulist ومحطم الصور أو اللا أيقونى Iconoclast والمصدر Iconoclasm بمعنى تحطيم الصور (١٥٠)

والأيقونية عبارة عن محاولة تجسيد المسيح والعذراء والقديسيين بالتماثيل والصور واستعمالها فى دور العبادة وخارجها · أما اللاأيقونية فيعتقدون بعدم جواز تشبيه المسيح والعذراء والقديسيين بالتماثيل

148. Diehl : Theodora, p. 145.

149. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, pp. 349-350, G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 177-179, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 250, M.V. Anastos : Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 82, C. Diehl : Op. cit., p. 177, L. Halphen; Op. cit., p. 311, G. Zananiri : Op. cit., pp. 164, 165.

عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٦ - ١٢٧

ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٢٢ ·

(١٥٠) ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٦ ·

http://www.al-maktabeh.com

والصـــور (١٥١) ٠

والواقع أن فترة حكم الامبراطور ليو الرابع (٧٧٥ ـ ٧٨٠ م / ١٥٨ ـ ١٦٤ هـ) ـ زوج الامبراطورة ايرين ـ كانت فترة انتقال من ذروة انتصـــار اللأيقونية على يد قنسطنطين الخامس الى العودة الى تبجيل الأيقونات على يد ايرين التى انحدرت من أثينا بلد الأيقونات (١٥٢) ٠

---

(١٥١) عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٤ عن (Ware : The Orthodox Church)

152. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 175-176.

جاء الامبراطور ليو الثالث ٧١٧ـ ٧٤١ م من جبال ايسوريا ليرتقى عرش الشرق الاوربى فكان تعليمه وعقله وربما اتصاله باليهود والعرب من أهم الأسباب التى دفعته الى كراهية الصور والتماثيل (ادوارد جيبون ، ج ٢ ، ص ٥٥٢

G. Ostrogorsky : p. 161.

وكان ذلك هو سبب اصدار ليو لقراره الهام سنة ٧٢٦ ـ ٧٢٧ م الذى « منع فيه امتلاك أية صوره لقديس أو شهيد أو ملاك » كما امتد المنع أيضا الى صورة المسيح والعذراء (Milton. V. Anastas : Studies in Byzantine Intellectual History, Part VIII, LeoIII's Edict against the images in the Year 726-27, pp. 5-7).

وقد بدأ الصراع الحقيقى بين ليو وبين الايقونيين لأول مرة فى ٧٢٦ ـ ٧٢٧ م ذلك عندما أمر جنده بازاحة وتحطيم تمثال المسيح المنصوب عند البوابة البرونزية للقصر الامبراطورى عندئذ تعرضت القوات التى عهد اليها الامبراطور بتلك المهمـــة للهجوم من جانب الايقونيين من العامة ، وهم الذين عوقبوا بالجـلد والنفى أو بدفع غرامات كبيرة

Milton V. Anastos : Studies) in Byzantine Intellectual History, Part VIII, Leo III's Edict against the images in the Year 726-27, pp. 10-11,

G. Ostrogorsky : p. 162, ادوارد جيبون : ج ٢ ، ص ٥٥٦

وفى عهد الامبراطور قنسطنطين الخامس Constantine Copronyme ـ أى النجس ٧٤١ ـ ٧٧٥ م اشتدت الحملة ضد الأيقونيين ، وكان الاضطهاد فظيعا وقد عقد مؤتمرا دينيا ٧٥٤ م ٠ قرر شجب التمثيل الجسدى للمسيح أو ابراز مظهره الخارجى بأى وسيلة من وسائل الرسم وخلافه

M.V. Anastos : Studies in Byzantine Intellectual History, Part XI, Ethical theory of Images. p. 153)

مكتبة المهتدين الإسلامية

أبعدت السياسة اللاأيقونية لكل من الامبراطور ليو الثالث الأيسورى وقنسطنطين الخامس البابوية عن الاخلاص والتبعية للبيزنطيين ، وأدت الى اقترابهم فى نفس الوقت من الكارولنجيين ، بل أكثر من ذلك « أن القسطنطينية أصبحت منفصلة حتى عن المسيحيين المتكلمين باللغة اليونانية » (١٥٣) ٠

وبدون شك كانت أهم سمات العصر اللاأيقونى هى الحماس الكبير فى المجالين الفكرى والفنى « ولم يكن الأباطرة الأيسوريين متزمتين بتحريمهم للايقونات ذلك أنهم أحبوا البذخ والأبهة وعظمة الحياة الاجتماعية للبلاط ، بل انه فى سبيل تزيين منشاتهم شجعوا فنا عميقا استلهموه من التقاليد القديمة وأيضا من النماذج العربية » (١٥٤) ٠

= وقرر أيضا ان عبادة الصور هى افساد للمسيحية وتجديد للوثنية ٠ وأنه لا يجوز رسم المسيح وكل من يجرؤ مستقبلا على ان يقوم بهذا العمل أو يقوم بتقديسه أو يتخذ صورته فى كنيسة أو فى بيته أو اقتنى هذه الصور فانه يعزل اذا كان اسقفا أو قسا أو شماسا ، أما اذا كان راهبا أو من العلمانيين فانه يحاكم وفقا للقوانيين المدنية (السيد الباز ، ادوارد جيبون ، ج ٢ ص٥٥٤

العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٠ عن Vasiliev

M.M. Gaudefroy-Demonbynes et Platonov :
Le Monde Musulman et Byzantin, jusqu'aux Croisades, T. VII, p. 427.

ويعزى د ٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٢١ سبب تسمية قنسطنطين الخامس بالنجس الى حادث مؤسف وقع له عند التعميد وهو أن الماء الذى عمد فيه كان قد دنس ٠

153. E. Amann : Hist. de l'Eglise, No. 6, p. 113

فمثلا عندما صدر قرار ليو الثالث بتحطيم الصور والأيقونات ومنع تمثيل المسيح والقديسين اعتبر البابا جريجورى الثانى (Pape Gregory 11 715-731) ذلك القرار فيه تحدىشد يد للبابا أولا باعتباره ايقونيا وثانيا لأن الامبراطور ليس من حقه التدخل فى الشئون الدينية التى هى من اختصاص الكنيسة ٠ ولقد اعتبر البابا أن هذا الموقف من ليو الثالث يعتبر نوعا من الهرطقة وبلغ به الحد من الحنق عليه أن فكر فى التوجه الى الامبراطورية البيزنطية ومحاربة الامبراطور الذنديق ٠

(M.V. Anastos : Studies in Byzantine Intellectual History, Part VIII pp. 5, 26, 37)

154. C. Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 79.

http://www.al-maktabeh.com

كان قنسطنطين الخامس قد أخذ تعهدا على زوجة ابنه ايرين بعدم تبجيل الأيقونات ولكن بوفاته فى ١٤ سبتمبر ٧٧٥ وتولى ابنه ليو الرابع (٧٧٥ - ٧٨٠ م) العرش الامبراطورى ، بدأت الأمور تأخذ مسحة من التسامح تجاه عبادة الأيقونات · ويرجع ذلك الى تأثير زوجته الأيقونية الاغريقية - ايرين - عليه فضلا عن ضعفه بدنيا وعقليا (١٥٥) ·

وعندئذ عاد الكثير من الرهبان الأيقونيين المنفيين من الخارج (١٥٦)· وأكبر دليل على أن ايرين لم تغير موقفها الشغوف بالأيقونات وعبادتها ، وأنها أخفت رأسها فقط أمام عاصفة اضطهاد والد زوجها للايقونيين أنه بتفتيش حجرة نومها اكتشف أنها كانت قد « خبأت بعض الأيقونات فى سريرها » وعندما سؤلت عنها أنكرتها وذكرت أنها « خبأت بدون علمها » (١٥٧) ·

وثمة رأى طريف يذكر « أن ليو الرابع كان شديد الولع بالأحجار النفيسة وانه صادر تاجا من الخزانة البطريركية وكان يضعه على رأسه فى بعض الاحتفالات وفى أحد الأيام بدا عليه حزنا شديدا ، وكان رأسه مغطى بأورام مماثلة لحبات الياقوت التى كان التاج المختلس مرصعا بها وسرعان ما توفى ليو · عندئذ سرت شائعة تعزى موته الى القصاص منه بسبب اختلاسه وسرقته للتاج » (١٥٨) ·

وربما أيدت تلك الرواية القول بأن ليو الرابع لم يكن بالشخص الملتزم دينيا والا لما اختلس تاجا ليضعه على رأسه وفى نفس الوقت لكان يقظا لكل ما تفعله زوجته ايرين التى كانت تسير على منوال مخالف تماما لما ورثه عن والده المتشدد فى كرهه للايقونات ·

وهكذا كان حكم ايرين نقطة تحول دينى هامة فى تاريخ الدولة البيزنطية، فبعد أن ظلت السيادة للايقونيين حوالى نصف قرن جاء حكم تلك الامبراطورة ليعلن عن بداية الاتجاه الأيقونى من جديد (١٥٩) وأصبحت المناصب العليا

---

(١٥٥) د · ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٢٢ ·

156. G. Zananiri : Hist. de l'Eglise Byzantine, p. 164.

157. G. Zananiri : Ibid., p. 164-165.

158. G. Zananiri : Ibid., p. 165.

159. Halphen : Les Barbares, p. 311.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فى الدولة والكنيسة فى أيدى مؤيديها من الأيقونيين (١٦٠) ٠

وقد برزت ميول الامبراطورة ايرين الأيقونية عندما أرسلت ٧٨٤م الى البابا أدريان الأول Adrien Ier (٧٧٢ ـ ٧٩٥ م / ١٥٥ ـ ١٧٩ هـ) (١٦١) ـ بعد أن تفاوضت مع كل الأساقفة ـ وطلبت من البابا دعوة مجمع مسكونى لاعادة عبادة الصور ٠ الا أن الخطاب لم يصل الى البابا الا فى أكتوبر ٧٨٥ م وفى تلك الفترة الفاصلة توفى بطريرك القسطنطينية بول (١٦٢) ٠

كذلك اتضحت ميول ايرين الأيقونية أواخر ٧٨٤ م / ١٦٨ هـ عندما أجبر البطريرك بول الرابع Paul IV ، بطريرك القسطنطينية من ٧٨٠ الى ٧٨٤ م / ١٦٤ ـ ١٦٨ هـ ـ والذى عينه الامبراطور ليو الرابع ـ على الاستقالة فى ٣١ أغسطس ٧٨٤ م وهو الذى أدان الأيقونات والصور (١٦٣) ٠ وبالفعل انسحب البطريرك الى أحد الأديرة (١٦٤) وذلك بعد شعوره بالندم وتبكيت الضمير بسبب اليمين الذى اتخذه على نفسه لمحاربة الأيقونات (١٦٥) ٠

ولتوضيح ذلك أكثر نذكر أن ايرين على حد تعبير (جاستون زنانيرى) طلبت من البطريرك أن يقف الى جانبها فى مسألة الأيقونات ، لكنه عارضها ورد عليها « بأن كنيسة القسطنطينية قد طغت وانفصلت عن باقى الكنائس المسيحية » ورغم الحاح ايرين عليه وارسالها العديد من النبلاء ورجال السناتو الا أنه صمد على موقفه فى رفض مؤازرة الأيقونات وهدد الامبراطورة بأنها « اذا لم تدعو لاجتماع عام ، واذا لم تستأصل الخطأ ، فلن تضمن سلامتها » وأضاف بأن وعده بعدم تبجيل الأيقونات هو سبب دموعه ورغبته فى الندم والتوبة وطلب المغفرة من الله ٠ ثم لم يلبث أن توفى بعد فترة وجيزة (١٦٦) ٠

---

160. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 177,

ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٢٤

161. The New Encyclopaedia Britannica, V. I, p. 101.
162. L. Bréhier : Op. cit., p. 89.
163. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 177, G. Zananiri : Op. cit., p. 165.
164. G. Zananiri : Ibid., p. 165.
165. L. Bréhier : Op. cit., p. 89.
166. G. Zananiri : Op. cit., p. 165.

http://www.al-maktabeh.com

عندئذ اختارت ايرين بطريركا جديدا هو طرسيوس ٧٨٤ ـ ٨٠٦ م (١٦٧) / ١٦٨ ـ ١٩١ هـ ، وذلك بعد أن جمعت كل الشعب فى قصر الماجنورا وأضفت على تعيين البطريرك الجديد نوعا من الاختيار الشعبى (١٦٨) · وكان طرسيوس وقتذاك سكرتيرا امبراطوريا لايرين وكان من العلمانيين المثقفين (١٦٩) · وكان معروفا بأرثوذكسيته المتشددة (١٧٠) · الا أنه لم تكن له أية خبرة بالشئون الدينية (١٧١) ·

والواقع أن البابا أدريان الأول أبدى أسفه فى البداية على اعتلاء أحد العلمانيين للكرسى البابوى ثم تنازل بالموافقة على ترسيم طرسيوس بطريركا واشترط لاتمام ذلك تعهد البطريرك الجديد « باعادة الصور المقدسة الى جانب أمله فى أن يحارب الامبراطور Le Basileus البرابرة كما يفعل شارلمان » (١٧٢) ·

لذلك فبمجرد ترسيم طرسيوس بطريركا عمل جاهدا على تقريب المسافة بين القسطنطينية وروما (١٧٣) · فما أن اعتلى طرسيوس كرسى البطركية فى القسطنطينية فى السنة الرابعة من حكم ايرين حتى « أعلن عن ضرورة دعوة مجمع مسكونى يهدف لبحث موضوع اعادة عبادة الصـ La restauration du Cult des Images (١٧٤) ومن أهداف ذلك المجمع أيضا ضحض قرارات المجمع اللاأيقونى الذى انعقد سنة ٧٥٤ م (١٧٥) / ١٣٧ هـ والذى أشرنا

---

167. G. Zananri : Ibid., p. 165.
168. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 177, M. V. Anastos : Cam. Med. Hist. V. IV, Part, I, p. 84.
169. L. Bréhier : Op. cit., p. 89.

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية . ص ١٩٦ · عن (Vasiliev)

170. G. Zananiri : Op. cit., p. 165
171. M.V. Anastos : Cam. Med. Hist. V. IV, Part. I, p. 84.
172. G. Zananiri : Op. cit., 165. والمقصود بالباسليوس هنا ايرين
173. L. Bréhier : Op. Cit., p. 89.
174. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 349.

بل قيل أن ايرين وطرسيوس اتصلا معا بالبابا لدعوة مجمع مسكونى لاعادة عبادة الصور

(G. Zananiri : Op. cit., p. 165)

مكتبة المهتدين الإسلامية

اليه من قبل . هذا الى جانب البحث بطريقة جدية فى كيفية اعادة تنظيم الكنيسة والمجتمع (١٧٦) .

واذا كانت القسطنطينية قد أرسلت بعض السفراء عنها لدعوة البابا شخصيا لحضور ذلك المجمع المسكونى (Un Concile oecuménique) الا أنه أرسل نوابا عنه لحضور ذلك المجمع (١٧٧) . كذلك دعت ايرين الى المجمع أيضا باقى الكراسى البطركية (روما والاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس (فلم يستطع بطارقة الشرق الثلاثة الحضور وأرسلوا مندوبين اثنين فقط عنهم هم الآخرين (١٧٨) .

وهكذا انعقد ذلك المجمع المسكونى فى كنيسة الرسل المقدسة Holy Apostles بالقسطنطينية فى ٣١ يولية ٧٨٦ (١٧٩) أو أول أغسطس ٧٨٦ م (١٨٠) / ١٧٠ هـ .

ولما كان هناك عددا كبيرا من اللاأيقونيين من رجال الدين بين القوات الامبراطورية المقيمة بالقسطنطينية فقد اعترضوا بشدة على أية محاولة لاعادة عبادة الأيقونات أو ابطال قرارات قنسطنطين الخامس فى هذا الشأن (١٨١) . وقد بلغ من شدة الأمر أن عددا من قوات الأمن بالقسطنطينية اندفعوا الى داخل المجلس أثناء اجتماعة الأول مستلين سيوفهم واثاروا الشغب وأجبروا

---

175. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 177.
176. L. Bréhier : Op. cit., p. 90.
177. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 349.

هنا يذكر الدكتور ابراهيم على طرخان : الحركة اللا أيقونية ، ص ٢٣ عن Finaly « أن الهدف الرئيسى للبابا هادريان من ارسال مبعوثيه لهذا المجلس هو أن يحثوا البطريق تاراسيوس على أن يعمل على اعادة السياسة الروحية العليا للبابا ، وأن يعمل كذلك على ارجاع الاملاك الموقوفة على كنيسة القديس بطرس الرسول وهى التى صادرها ليو الأيسورى وبدا تحقيق هذه الأمور أكثر أهمية لدى البابا من أمر اعادة الأيقونات » .

178. M.V. Anastos : Cam. Med. Hist. V. IV, part I, p. 84.

ويذكر هذا المرجع أن اعتذار بطاركة انطاكية وبيت المقدس والاسكندرية كان بسبب الفتح العربى .

179. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 178.
180. L. Bréhier : Op. cit., p. 89.
181. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 178, M.V. Anastas : Op. cit., p. 84.

http://www.al-maktabeh.com

أعضاء المجلس على التفرق (١٨٢) · بعد أن انتقدوا بشدة ايرين وطرسيوس وأتباعهما (١٨٣) · هنا ثبتت الامبراطـــورة ايرين بشـــجاعة أمام ذلك الاخفاق (١٨٤) · الذى لم يستمر سوى فترة قصيرة (١٨٥) ·

اضطرت ايرين والمقربين منها الى تأجيل المجلس الى السنة التالية(١٨٦) ولكى تضمن ايرين النجاح التام للمجمع الدينى طلبت من الفرق العسكرية ـ ذات الاتجاهات اللاأيقونية ـ العبور الى آسيا الصغرى بحجة الاعـداد لحملة عسكرية ضد العرب ، وبمجرد وصول تلك الفرق الى بثينيا سرحوا وحل محلهم فرق أيقونية من تراقيا (١٨٧) ·

وفى سبتمبر من العام التـــالى ٧٨٧ م (١٨٨) / ١٧١ هـ انعقـــد المجمع فى كنيسة الحكمة المقدسة Holy Wisdom (١٨٩) فى Bithynie فى نيقية (١٩٠) ، وهو المجمع المســـكونى الســـابع (١٩١) ومجمع نيقية الثانى (١٩٢) بل المجمع المسكونى الأخيرة فى تاريخ الكنيسة الشرقية (١٩٣) أو الكنيسة الأرثوذكسية (١٩٤) · وقد حضره عدد من الأساقفة يتراوح بين

---

182. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 349, C.W. Previte Orton : Op. cit. V. I, p. 250, G. Zananiri : Op. cit., p. 165.
183. G. Zananiri : Op. cit., p. 165.
184. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 178.
185. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 349.
186. M.V. Anastos : Op. cit., p. 84.
187. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 178, M.V. Anastos : Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 84.
188. M.V. Anastos : Ibid, p. 84.

هنا يذكر بريبه أن المجمع دعى الى الاجتماع فى نيقية وذلك فى مايو ٧٨٧ م ولكنه لم يبدأ جلساته الا فى ٢٤ سبتمبر

(L. Bréhier : Op. cit., p. 90)

189. M.V. Anastos : Ibid., p. 84.
190. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 350.
191. M.V. Anastos : Studies in Byzantine Intellectual History, Part X, The Argument for iconoclasm as presented by the iconoclastic council of 754, p. 178, A.A. Vasiliev : Ibid, p. 350, M.V. Anastos Op. cit., p. 84, C.W. Previte Orton, V. I, p. 250.
192. The New Encyclopaedia Britannica, V. I, p. 101.
193. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 350.
194. M.V. Anastos : Op. cit., p. 84.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ثلثمائة (١٩٥) وثلثمائة وخمسين (١٩٦) وفى رأى ثالث « ضم عددا من الأساقفة يتراوح بين ٣٣٠ ، ٣٦٧ هـ ، كما ضم مندوبين بابويين وعددا كبيرا من الرهبان » (١٩٧)

استغرقت اجتماعات المجمع ثمانى جلسات (١٩٨) عقدت الأخيرة منها فى قصر الماجنورا Magnaura Palace بالقسطنطينية (١٩٩) · وقد استمع المجمع فى البداية لمجموعات من النادمين اللاايقونيين ، الذين سمح لهم بالعودة مرة أخرى الى عروشهم الأسقفية · وقد حدثت خلافات كبيرة بين الرهبان المتطرفين المتشددين فى تنفيذ القانون وبين المعتدلين فى مجمع نيقية (٢٠٠) ·

وقد خصصت الجلسة الرابعة من جلسات المجمع لتلاوة بعض القصص عن الأيقونات والمعجزات المرتبطة بهم ، مع اعطاء ملخص عن أهم السمات الرئيسية لعبادة الصور (٢٠١) · ويقال انه فى نهاية تلك الجلسة أبدى طرسيوس ملحوظة هامة هى « انه ليس من الضرورى أن تنتج معجزات عن الصور لأن الله استخدمهم لهذا الغرض ليكسب الوثنيين الى جانب المسيحيين » (٢٠٢) وهو رأى ربما احتاج الى شىء من التمحيص الدقيق لأن الله قادر على كل شىء فى كل زمان ومكان دون الحاجة الى أسباب ·

---

195. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 350.
196. M.V. Anastos : Op. cit., p. 84

د · ابراهيم على طرخان : الحركة اللا أيقونية ، ص ٢٣

197. L. Bréhier : Op. cit., p. 90.
198. M.V. Anastos : Op. cit., p. 84, A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 350.
199. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179, A.A. Vasiliev : Op. cit. p. 350.
200. M.V. Anastos : Op. cit., p. 85.
201. M.V. Anastos : Ibid., p. 85.

وهنا يضيف نفس المرجع انه من بين تلك الامثلة الخاصة بالمعجزات الناتجة عن الأيقونات أن احدى المعتقدات فى القديس Damian, Casmas غطت جدران منزلها بصورهما ، وعندما مرضت مرضا شديدا حفرت فى دهان الصور بأظافرها ووضعت الناتج عن الحفر فى كوب ماء وشربت الخليط فعادت فى الحال الى كامل صحتها « بواسطة حضور القديسيين بداخلها » هذا وقد اعتقد البعض الآخر بأن الصور لها قدرة على معاقبة اللا ايقونيين ·

202. M.V. Anastos : Ibid., p. 85.

http://www.al-maktabeh.com

أما الجلسة الخامسة فقد تناولت بالتمحيص ثم بالرفض السلطات المعتادة لآباء الكنيسة التى استند اليها اللاأيقونيين ، وفى الجلسة السادسة والتى كانت أهم الجلسات رفضت قرارات مجمع ٧٥٤ م قرارا تلو الآخر (٢٠٣) ٠

ولقد أسفرت اجتماعات نيقية الثمانية عن عدة نتائج هامة منها !

العودة لتبجيل الأيقونات والتنديد باللاأيقونيين ، واصدار قرار الحرمان واللعنة ضدهم (٢٠٤) ٠ « وادانة العداء للايقونات واعتباره نوعا من الهرطقة » بالاضافة الى ابادة الكتابات اللاأيقونية (٢٠٥) وصدور « قرار الحرمان ضد هؤلاء الذين اعتبروا الصور المقدسة نوعا من الأوثان أو الأصنام ٠٠ ذلك لأن الكنائس الكاثوليكية لم تعترف بالأوثان مطلقا» (٢٠٦) ٠ كما قرر المجمع رفض قرارات المجمع اللاأيقونى الذى انعقد ٧٥٤ م (٢٠٧) / ١٣٧ هـ والغاء القوانين اللاأيقونين (٢٠٨) ، ودحضها عن طريق كتابات طرسيوس (٢٠٩) ٠

واذا كان هذا المجمع قد أعاد تبجيل الأيقونات فانه فى نفس الوقت اعتبر أن « هذا التجيل غير موجها للايقونات فى حد ذاتها بل للاشخاص المقدسين المرسومين عليها » (٢١٠) ٠

---

203. M.V. Anastos : Studies in Byzantine Intellectual History, Part X, Op. cit., p. 178, M.V. Anastos : Ibid., p. 85.
204. A.A. Vasiliev : Op. cit., T. I, p. 350, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 250, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179, C. Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 77.
205. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.
206. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 350.
207. M.V. Anastos : Op. cit., p. 85, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179,

د ٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٢٣

208. L. Bréhier : Op. cit., p. 90, G. Ostrogorsky : Ibid., p. 179.
209. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 179.
210. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 179.

فأى رسم لأى شخص لا يبرز عضلاته وعروقه وعظامه ودماءه فحسب ، وصورة المسيح مثلا لا تتضمن فصل طبيعته الالهية عن طبيعته البشرية ذلك لأن الناس عندما ينظرون الى صورته لا يمكنهم أن يفصلوا طبيعته البشرية عن طبيعته الالهية لكنهم يعودون بأفكارهم فى نفس الوقت الى صفاته الالهية التى لا يمكن أن تشاهد » ٠
(M.V. Anastos : Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 86)

مكتبة المهتدين الإسلامية

واثبت المجمع اهمية الصور والأيقونات وانها استخدمت فى الكنائس منذ أزمنة مبكرة ولم يعترض عليها آباء الكنيسة (٢١١) · وقد دللوا على صدق أقوالهم بالاستشهاد بفقرات من الانجيل (٢١٢) وخاصة العهد القديم (٢١٣) · كذلك استشهدوا بالآداب المتعلقة بآباء الكنيسة لتأييد عبادة الأيقونات (٢١٤)· كما أنكر المجمع ما وقع من تحويل الأديرة الى دور مساكن (٢١٥) ·

وقد انتهت جلسات ذلك المجمع فى ٢٣ اكتوبر ٧٨٧ م / ١٧١ هـ وصدق عليها الامبراطورة ايرين والامبراطور الشاب قنسطنطين السادس (٢١٦) · عندئذ هلل الأساقفة المجتمعين « لقنسطنطين الجديد وهيلين الجديدة » (٢١٧)· وكان سر تحمس هؤلاء الأساقفة هو أنه بهذا النصر ضمنوا الاستقلال التـــام للكنيسة تحت رعاية الدولة (٢١٨) ·

وليس أدل على ارتفاع منزلة ايرين بعد ذلك المجمع الدينى العالمى من أنها « حييت بعده بلقب حليفة المسيح Christophore » (٢١٩) ، هنا حلل لنا (جاستون زنانيرى) حقيقة موقف ايرين عندئذ بطريقة رائعة بقوله « ان ايرين كانت تظهر بمظهر الورع والتقوى الذى يعذبه الطموح · وأنه منذ عهد ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان لم تمارس امبراطورة ما نفوذا واسعا على بيزنطة· ولقد لعبت ايرين مثل ثيودورا دورا بارزا فى تاريخ الكنيسة البيزنطية ، لكن بينما كانت زوجة جستنيان تحمى المنوفيزيتيين كانت ايرين تحمى الأرثوذكس»

---

211. M.V. Anastos : Ibid., p. 85.
212. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.
213. M.V. Anastos : Op. cit., p. 85

بينما لم يجدوا ما يؤيد أقوالهم فى العهد الجديد
214. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.

(٢١٥) د· السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٧ · عن Vasiliev مثل تحويل كنيسة القديسه يوفنيا Euphinia الى دار صناعة ، وتحويل بعض الأديرة الى مساكن مدنية وبعضها الى ثكنات حتى ان بعض المعاصرين علق على هذه الموجة الكاسحة بأن بيزنطه تبدو وقد خلت من نظام الديرية (د · ابراهيم على طرخان ، الحركة اللا ايقونية ، ص ٢٠ ـ ٢١)

216. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.
217. A.A. Vasiliev : Op. cit., p. 350 عن (Mansi)
218. C. Diehl : Hist. de l'Empire Byzantine, p. 77.
219. G. Zananiri : Op. cit., p. 168.

http://www.al-maktabeh.com

هذا الى جانب خلافا آخر أوضحه بين الامبراطورتين هو « أن أسلوب ثيودورا فى التصرف كان فى أساسه أسلوبا نسائيا ، أما ايرين فكانت ذات مزاج رجالى » (٢٢٠) ٠

وهكذا أعاد مجمع نيقية الثانى البيزنطيين الى المذهب العام للعالم المسيحى (٢٢١) واتفقت كلمة الغالبية العظمى من الأرثوذكس (٢٢٢) ٠ وعادت للأيقونات من جديد مكانتها المبجلة فى العالم المسيحى لكن هل كان ذلك نهاية الصراع اللا أيقونى بالنسبة لايرين وعهدها ؟

والواقع أن العناصر اللا أيقونية لم تستأصل تماما بل ظلت تبرز بين حين وآخر خلال الصراع الذى قام بين ايرين وابنها قنسطنطين السادس (٢٢٣) ٠

ومن ناحية أخرى قيل أنه بالرغم من نجاح ايرين فى مجمع نيقية ٧٨٧ م الا أن الهدوء الداخلى للامبراطورية كان يثيره تصلب وعناد الرهبان الذين انكروا على البطريرك طرسيوس اجازته التوبه والتوفيق بين الأساقفة اللا ايقونيين ، بالاضافة الى الخلافات التى قامت بين ايرين وابنها والتى اثارت سلسلة من الثورات والمؤامرات الداخلية فى القصر عرضت هيبة الامبراطورية للخطر (٢٢٤) ٠

٥ ـ الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبراطور ثيوفيل :

لعل أهم ما يميز فترة اشتراك الامبراطورة ثيودورا فى الوصاية على ابنها (٨٤٢ ـ ٨٥٦ م) كما مر بنا هو العودة الى الأيقونات وعبادتها (٢٢٥)، فقد كانت ثيودورا من محبى الأيقونات (٢٢٦) رغم أن أسرتها ترجع بأصولها الأولى الى بافلاجونيا من سلالة أرمينية ، ولهذا كان من المستغرب أن يكون

220. G. Zananiri : Ibid., p. 168.
221. M.M. Gaudefroy - Demombynes et Platonov : Op. cit., p. 427.
222. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 179.
223. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 179.
224. L. Bréhier : Op. cit., p. 90.
225. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 225.

(٢٢٦) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٢٢٧ ، د ٠ ابراهيم على طرخان : المرجع السابق ص ٣٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

حرصها على اعادة الأيقونات هو هدفها الأول (٢٢٧) ٠

والواقع أن ثيودورا « كانت مترددة فى البداية فى اعلان رأيها الدينى، احتراما لذكرى زوجها الذى كان قد حرم عبادة الصور والأيقونات (٢٢٨) ٠ فقد كان الامبراطور ثيوفيل شديد القسوة والاضطهاد للأيقونيين بل قيل « انه اشتط فى مقاومة الأيقونات لدرجة تقربه من ليو الايسورى وابنه قنسطنطين » (*) وساعده فى ذلك البطريرك حنا النحوى Jean Hylilas وأغلقت أديرة وامتلأت بالمسجونين وطبقت العقوبات البيزنطية القاسية على الأيقونيين ٠ لكن نتائج ذلك الاضطهاد كانت سريعة الزوال باعتبار أن الامبراطورة ثيودورا ورجال البلاط كانوا ذوى مشاعر مخالفة ٠

ورغم محاولة الامبراطور ثيوفيل وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة أن ينتزع من ثيودورا عهدا بأن تبقى على البطريرك Hylilas (٢٢٩) اللا أيقونى ٠

الا أن ثيودورا لم تكن فى قرارة نفسها مقتنعة برأى زوجها (٢٣٠) ٠ وقد حدثت عدة أشياء أوضحت حقيقة الاتجاه الدينى آنذاك وأعلنت بداية العودة لتبجيل الصور المقدسة فقد فتحت السجون وعاد عدد كبير من المنفيين ، وشوهد عددا كبيرا من رهبان الأستوديون Moines de Studion بالقسطنطينية بعد أن خرجوا من مخابئهم (٢٣١) ٠

---

227. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 219.
228. E. Amann : Op. cit., p. 243.

(*) د ٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٢٩ ٠

229. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 252

كان البطريرك حنا من المعارضين للأيقونات لمدد ربع قرن مضى :
(E. Amann : Op. cit., p. 243)

230. E. Amann : Ibid., p. 244.
231. E. Amann : Ibid., p. 243.

يعتبر دير ستوديون Studion أهم دير فى بيزنطه ٠ أسس فى الجزء الغربى من المدينة بالقرب من البوابات الذهبية ٠ أسسه القنصل الرومانى Studios سنة ٤٦٣ م ولذلك نسب اليه وانشأ فيه كنيسة يوحنا المعمدان ٠ وفى ٧٩٨ لجأ اليه عدد من الرهبان من دير سكوديون وهم المعروفين (بالرهبان الذين لا ينامون ـ Acoe Metae-Sleepless) ذلك هربا من العرب ، وكرسى هؤلاء الرهبان كل وقتهم للصلاة ٠ وتحت رئاسة الأب بلاتو Plato رئيس الدير وابن اخيه St. Theodore the Studite ارتفع عدد الرهبان الى ٧٠٠ راهب ٠ ولما كان =

http://www.al-maktabeh.com

وقد بدأت المبادرة فى الاسراع بأخذ الاتجـــاه الأيقونى من جانب (الماجستروس مانويل (Magistros Manuel الذى كان يعانى من مرض خطير ، وعندما زاره بعض رهبان الاستوديون وعدوه بالشفاء اذا عمل كل ما فى وسعه لاحياء عبادة الصور الأيقونات (٢٣٢) · كذلك انضم الى رهبان الاستوديون عددا آخر من الأتقياء وضموا صوتهم اليهم فى تأييد رغبتهم فى عودة عبادة الأيقونات وأخذوا من مانويل وعدا بالتأثير على ثيودورا لتلبية هذا المطلب (٢٣٣) ·

والحقيقة أن ثيودورا أجلت الافصاح عن موقفها الدينى حوالى سنة أى ٨٤٢ ـ ٨٤٢ م لانشغالها كما بينا بذكرى زوجها الى جانب « محاولتها الحصول على براءته من الاساقفة الأرثوذكس » (٢٣٤) · فقد دعت ثيودورا الآباء الارثوذكس الى مجمع ليحلوا زوجها ثيوفيل من خطيئته فى اضطهاد من كرم الأيقونات وطلبت الى البطريرك حنا النحوى أن يشترك فى أعمال هذا المجمع فأبى (٢٣٥) · فطلبت منه أن يتنازل عن الكرسى البطرقى ولكنـــه رفض وأعلن أنه « لن يتخلى عن منصبه الا بالقوة » (٢٣٦) ·

عندئذ تدخل برداس ـ شقيق ثيودورا ـ فى الأمر وانتزع حنـــا من القصر البطركى وأبعده الى بيته الريفى فى Psicha(٢٣٧) وفى رأى آخر أن مجلس الوصاية خير البطريرك حنا النحوى بين أمرين : عقد مجلس دينى أعضاؤه جميع الأساقفة ورؤساء الأديرة الأيقونية أو الاستقالة فرفض الامرين· وحدث ان أصابه جرح اثناء مشادة وقعت بينه وبين الحرس الامبراطورى ،

= الاستوديون من الايقونيين لذلك نشطوا فيما بين القرن الثامن والحادى عشر فى كتابه تراتيل الصلاة البيزنطية التى ظل انتاجهم لها فى مواجهة الأباطرة الذين لم يؤيدوا تبجيل الايقونات · وقد فقد الكثير منهم حياتهم بسبب ذلك · وقد دمر الدير بواسطة الصليبيين ١٢٠٤ م لكنه اعيـــــد بناؤه ١٢٩٠ م ثم دمر مرة أخرى بواسطة الاتراك ١٤٥٣ م ·

(New Catholic Encyclopaedia Volume XIII, the Catholic University of America, 1967, p. 746.

232. E. Amann : Ibid., p. 243.
233. E. Amann : Ibid., p. 243.
234. L. Bréhier : Op. cit., p. 115.

(٢٣٥) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ·

236. E. Amann : Op. cit., p. 244.
237. E. Amann : Ibid., p. 244.

مكتبة المهتدين الإسلامية

فأشيع عندئذ أنه هو الذى جرح نفسه محاولا الانتحار ، وهى جريمة كبرى لا تقرها المسيحية ، فكانت الفرصة سانحة لعزله ونفيه (٢٣٨) واختير مكانه ميثوديوس Methodius وذلك فى مارس ٨٤٣ م (٢٣٩) بموافقة مجلس الوصاية (٢٤٠) ٠

وهكذا تخلصت ثيودورا من معارضة البطريرك حنا النحوى بنفيه وأسندت البطرقية لنصير الأيقونية مثوديوس (٢٤١) البطريرك الأرثوذكسى (٢٤٢) ٠ الذى سبق أن لقى العنت والتشريد على عهد ثيوفيل (٢٤٣) ٠

كان لابد من وضع حد للمسألة الدينية ، وكانت ثيودورا هى المرأة التى تعهدت بحلها بعد ايرين «بطريقة رجال الدين Dans le sens du Clergé » (٢٤٤) وقد رأت ثيودورا وميثوديوس أنه ليس من الضرورى الاعتماد على موافقة روما لاعادة عبادة الأيقونات كما فعلت ايرين عندما دعت لمجمعها ٠ لذلك تطلبت الضرورة التاريخية أن يحرم البيزنطيون روما من نفوذها الدينى العالمى كما دمر الغرب السيادة العالمية للدولة البيزنطية (٢٤٥) ٠ وربما كان فى ذلك تنويه باحياء الامبراطورية فى الغرب على يد شارلمان واختصار نفوذ بيزنطة على الشرق ٠

وهكذا عقد فى كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية مجمعا دينيا محليا فى ٨٤٣ م بحضور الامبراطوره ، جدد قرارات مجمع نيقية المسكونى العالمى السابع (٢٤٦) ٠ الخاصة باعادة عبادة الصور والأيقونات (٢٤٧) « كصور

---

(٢٣٨) د٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللاليقونية ، ص ٣٠ ـ ٣١ ٠ وهو يضيف هنا ان حنا انزوى فى أحد الاديرة فرأى ايقونة قديس فطمس عينى الصوره فعوقب بسمل عينيه ٠ عن Finlay

239. L. Bréhier : Op. cit., p. 115, E. Amann : Ibid., p. 244.

(٢٤٠) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ٠

(٢٤١) عبد القادر أحمد اليوسف : الدولة البيزنطية ، ص ١١٥ ٠

(٢٤٢) د ٠ اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٨٤

(٢٤٣) د ٠ ابراهيم طرخان : المرجع السابق ، ص ٣١ ٠

244. M.M. Gaudefroy - Demombynes et Platonov : Op. cit., p. 427

245. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 225.

246. L. Bréhier : Op. cit., p. 115, M.M. Gaudefroy - Demombynes et Platonov : Op. cit., p. 427.

د٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللاليقونية ، ص ٣١ ٠

http://www.al-maktabeh.com

لا كتماثيل » (٢٤٨) والتنكيل بشدة باللا أيقونيين (٢٤٩) ونزلت قرارات اللعنة والحرمان على المشهورين من اللا أيقونيين (٢٥٠) ٠

وقد أعطى المجتمعين فى المجلس للامبراطورة التقية ثيودورا مرسوما مكتوبا بهذه القرارات بالاضافة الى قرار بالعفو عن الامبراطور الراحل على خطيئته بالنسبة للأيقونات (٢٥١) ٠

كانت ثيودورا قد صممت على استصدار قرار من المجلس بالعفو عن زوجها باللجوء الى أسلوب الضغط (٢٥٢) أولا ثم انتهت الى أسلوب الاقناع ٠ ومن الطريف ما قيل من أنها تذرعت بحجة سهلة التصديق للوصول الى هدفها وهى أنه عند وفاة زوجها ثيوفيل أعطى بعض الاشارات الغامضة التى تنم عن ندمه وتوبته على موقفه من عبادة الصور المقدسة (٢٥٣) وأنها قدمت له أيقونة وضعت على صدره فقبلها ، عندئذ اقتنع المجلس وأعلن العفو عن ثيوفيل (٢٥٤) ٠

---

247. E. Amann : Op. cit., p. 244,

د ٠ عبد القادر أحمد اليوسف : الدولة البيزنطية ، ص ١٩٥ ، د ٠ أسد رستم ٠ الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٧ ، د ٠ اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية، ص ٨٤ ٠

248. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 253,

وقد وضح د ٠ ابراهيم على طرخان ص ٣١ عن Bury ذلك بقوله « أى أن الايقونات تكون صورا فقط وليست منحوته من حجر أو مصنوعة من أية مادة ٠

249. E. Amann : Op. cit., p. 244.

250. C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 253.

251. E. Amann : Op. cit., p. 245. (Grumel) عن

(٢٥٢) عندما طلبت ثيودورا الغفران لزوجها عن أخطائه فى حق الايقونات بدأ الوجوم على اعضائه عندئذ هددتهم فى بساطة بأنهم اذا لم يفعلوا ذلك فسوف تتخلى عنهم بنفوذها كامبراطوره ووصية لاتمام النصر على اللا ايقونيين ، وســـوف تترك الكنيسة كما هى فى وضعها القائم ٠ حينئذ تكلم البطريق قائلا « ان الكنيسة من سوء الحظ لا تستطيع الحصول على مغفرة الله لأولئك الذين ماتو على غير التقاليد الأرثوذكسية ولديها المفاتيح السماوية لفتح أو قفل أبواب الخلاص أمام الأحياء فحسب أما الأموات فهم فوق طاقتها (د ٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ص ٣١) ٠

253. E. Amann : Op. cit., pp. 244-245. (Theophane) عن

(٢٥٤) د ٠ ابراهيم على طرخان : الحركة اللا ايقونية ، ص ٣٢ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

وقد تم الاحتفال بعودة الصور المقدسة فأقيم قداس بكنيسة سانت صوفيا فى أول أحد من الصيام الكبير يوم (١١ مارس ٨٤٣ م) ٢٢٨ هـ وحضرت الامبراطورة الى الكنيسة يصحبها الامبراطور الطفل ميخائيل الثالث والبطريرك ورجال الدين والوزراء وأعضاء السناتو وكانوا يحملون فى أيديهم للصلبان والأيقونات والشموع (٢٥٥) وفى رأى آخر أنه « فى أول أحد من الصوم الكبير ٨٤٣ م نصبت الأيقونات المكرمة فى كنيسة الحكمة الالهية وأصدر البطاركة الثلاثة خريستيفوروس الاسكندرى وأيوب الأنطاكى وباسيليوس الأورشليمى بيانا مشتركا بوجوب حماية الأيقونات وتكريمها » (٢٥٦) وبذلك استحقت ثيودورا لقب « القديسة » (٢٥٧) ٠

وهكذا « تم احياء الأرثوذكسية من جديد » (٢٥٨) وأصبح يوم ١١ مارس فى السنوات التالية « عيدا للارثوذكس » وظل يحتفل به باستمرار فى كنيسة القسطنطينية وفروعها ، وبذلك تأسست كنيسة المجامع الدينية السبعة فى ١١ مارس ٨٤٣ م (٢٥٩) ٠

لكن رغم نجاح ثيودورا فى اعادة الأيقونات دون أية اعاقة من الجيش كما حدث فى عهد الامبراطورة ايرين الا أن تاريخ تلك الأعمال الدينية العظيمة تعرض للتشويه من جانب المعارضين ، وكانت النتيجة أن القديسة ثيودورا والقديس ثيوكتيستوس والقديس سرجيوس حرموا أحيانا من شهرتهم التى تستند الى دورهم الحاسم الذى لعبوه فى انجاز أعمالهم العظيمة (٢٦٠) ٠

---

255. E. Amann : Op. cit., p. 245,

اسمت غنيم : الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، ص ٨٤ - ٨٥ عن (Monachus : Vitae Recentiorum Imperatorum)

(٢٥٦) أسد رستم الروم ، جـ ١ ، ص ٣٢٧ ٠

257. G. Buckler : Op. cit., p. 414, C.W. Previte Orton : Op. cit., p. 253

258. L. Bréhier : Op. cit., p. 115.

259. E. Amann : Op. cit., p. 245.

أما M.M. Gaudefroy - Demombynes et Platonov : Op. cit., p. 427

فقد ذكر أن ذلك العيد يحتفل به فى ١٩ فبراير من كل سنة ٠ لكن الأرجح الرأى الأول أى فى ١١ مارس استنادا لرأى د ٠ اسمت غنيم عن (Monachus) الى جانب (E. Amann)

260. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 106.

http://www.al-maktabeh.com

وليس أدل على ذلك من أن فوطيوس دعا الى عقد مجمع دينى فى ٨٦١م/ ٢٤٧هـ تلخصتنتائجه فيأنه اعتبر الانتصار الأخير للارثوذكسية يرجع الىفترة حكم ميخائيل الثالث منفردا · وهكذا سلب ثيودورا وثيوكتيستوس من أهم أللقاب شهرتهم وهو أنهم « باعثوا الارثوذكسية من جديد فى ٨٤٣ م» (٢٦١)

ومن أهم الأحداث الدينية الهامة فى عهد ثيودورا أيضا موقفها من البيالقة أو البولسيين Paulicians (٢٦٢) ، الذين كانوا فرقة مسيحية أساس عقيدتها الثنائية (٢٦٣)،وكان مذهبهم بين النصرانية والمجوسية(٢٦٤)· وعلى ذلك قيـــــل أنهم « كانوا من الروم الا أنهم يخالفونهم فى كثير من أديانهم » (٢٦٥) ·

وقد نسب المذهب البولسى الى بولس السميساطى (٢٦٦) والواقع أن البوليسيين كانوا يعيشـــون فى داخـــل الحـــدود الرومية منـــذ أيـــام قنسطنطين الخامس فى آســـيا الصغرى على حدود العرب وكانوا يؤدون للامبراطورية الرومية أجل الخدمات فى عمليات الثغور (٢٦٧) ·

ولقد كانت هناك علاقة قوية بين الأباطرة اللا أيقونيين وعلى رأسهم ليو الثالث وقنسطنطين الخامس وبين هذا المذهب (٢٦٨) بل ان البوليسيين وصفوا بأنهم « الجناح الأيسر لمحطمى الصور والأيقونات » (٢٦٩) ولقد قامت

---

261. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 112.

(٢٦٢) انظر الكلام بالتفصيل عن هذا الموضوع فى كتاب المؤلفة : الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ص ١٧١ ـ ١٧٥ ·

263. L. Bréhier : Op. cit., (1969), p. 113, Bury : A History of the Eastern Roman Empire, p. 276, Encyclopaedia Britannica, V. 17, (1768), p. 482.

(٢٦٤) لوسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١ (الطبعة الرابعة ببغداد ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م) ·

(٢٦٥) قدامه بن جعفر : الخراج وصنعة الكتابة ، الباب السابع ، ص ٢٥٤ (مع كتاب المسالك والممالك لابن خروا ذبه بريل ١٣٠٩)

(٢٦٦) لوسترانج : المرجع السابق ، ص ١٥١ ، أسد رستم : الروم ، جـ ١ ، ص ٣٣٤ ·

(٢٦٧) فازيلييف : العرب والروم ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ ·

268. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 221.

269. Bury : A History of the Eastern Roman Empire, p. 276.

مكتبة المهتدين الإسلامية

حركة اضطهاد شديدة فى الدولة البيزنطية ضد البوليسيين بلغت ذروتها فى الفترة ما بين ميخائيل الأول رانجاب والامبراطور ثيوفيل (٢٧٠) ٠

وقد تحرك على اثر ذلك الاضطهاد حوالى خمسة آلاف من البوليسيين بقيادة (قريباس) (٢٧١) Karbeas الى الحدود العربية سواء فى نهاية عهد الامبراطور ثيوفيل أو فى بداية عهد الامبراطورة ثيودورا (٢٧٢) ٠

ويقال أن اضطهاد الامبراطورة ثيودورا للبوليسيين كان غـــــاية فى القسوة وراح ضحيته آلافا منهم (٢٧٣) ٠ فقد « خيرتهم ثيودورا بين الهداية أو الموت ٠ وأريقت سيول من الدماء » واستقر من بقى على قيد الحياة منهم مع كرباس قرب ملطية على الحدود العربية كأعداء ألداء ، لا كمدافعين عن الامبراطورية البيزنطية « وهذا يعتبر الخطأ الجسيم الذى ارتكبته الامبراطورة ثيودورا فى حق الامبراطورية فى ذلك القرن » (٢٧٤) ٠ أى التاسع الميلادى فقد أصبح عداء البوليسيون الذين كانوا حماة الامبراطورية خطرا مستمرا على نفس الامبراطورية ، لولا أن الخلافات الداخلية التى قامت بين بعض رؤساء العرب خففت بعض الشىء من حدة هذا الخطر على الروم (٢٧٥) ٠

والواقع أن المرأة البيزنطية ساهمت بدور بارز فى كافة النواحى الدينية سواء من نساء الطبقات العليا أم الدنيا ٠ واذا كنا قد أوضحنا فى عرضنا

---

270. L. Bréhier : Op. cit., (1969), pp. 113-114.

فقد أثير ميخائيل الأول رانجاب (٨١١ ـ ٨١٣ م) بواسطة رجال الدين كى يبدأ حركة اضطهاد واسعة النطاق ضد البوليسيين اذا لم يعودوا للمذهب الأرثوذكسى ٠ وبالفعل بدأ حملة اضطهاد واسعة النطاق ضـــــد البوليسيين فى فريجيا وليكاونيا وكبادوكيا وبونطس وغيرها ٠ وفى هذا الاضطهاد شنق البوليسيون بالآلاف واغرقوا وذبحوا ونزعت أملاكهم واضطروا أمام مثل هذا الاضطهاد أن يفروا الى ما وراء الحدود فتلقاهم العرب بالترحاب وأشركوهم معهم فى حملاتهم ضد الروم ٠

Bury : A History of the Eastern roman Empire, p. 277,

فازيلييف : العرب والروم ، ص ٢٠٢ ، أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٣٤)٠

(٢٧١) الطبرى : تاريخه ، أحداث ٢٤٢ هـ ٠

272. Bury : A History of the Eastern Roman Empire, p. 277, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 712.

273. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 221.

274. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 253.

(٢٧٥) فازيلييف : العرب والروم ، ص ٢٠٤ ٠

http://www.al-maktabeh.com

السابق هذا الدور الذى قامت به نساء حكمن الدولة البيزنطية فى فترات مختلفة فهذا لا يعنى أن دورهن كان هو الدور الوحيد الذى لعبته المرأة التى تنتمى الى الطبقات العليا بل يمكننا أن نضيف لما سبق بعض الأدوار المتفرقة للمرأة البيزنطية من هذه الطبقة على طول العصور الوسطى ٠

وعلى سبيل المثال لا الحصر نورد هنا ما نكرته (جورجينا بوكلر) من أنه « فى القرن الخامس تراسلت الأميرة Anicia Juliana مع البابا Hormisdas ، كما تلقت زوجة الامبراطور موريس ٥٨٢ - ٦٠٢ م رسالة من البابا جريجورى العظيم كذلك كانت أناد الاسينا والده الامبراطور الكسيوس الأول تدعو الى مائدة طعامها الرهبان ، وقد أسست كنيسة Christ Pantepoptes التى لا زالت قائمة فى استنبول كما أن الامبراطورة آن دوكاس التى ملأت ابنتها أناكومنينا بالورع والتقوى نتيجة دراستها الدينية كما وهبت أيضا ديرا كبيرا للراهبات وانسحبت اليه لتقضى فيه نحبها»(٢٧٦)٠

فاذا أضفنا الى ذلك كله دور بعض النساء البيزنطيات من الطبقات الدنيا اللائى عملن « كرئيسات أديرة للراهبات والبعض الآخر أصبحن قديسات كما لعب بعضهن دورا بارزا كراهبات أو شماسات أو مرتلات » (٢٧٧) ٠

---

276. G. Buckler : Op. cit., p. 414.
277. G. Buckler : Ibid., p. 414.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الثالث

دور المرأة البيزنطية فى الحياة الثقافية والفكرية

شاركت المرأة البيزنطية فى الحياة الثقافية والفكرية بدور فعال فى مجالات كثيرة منها الفلسفة والتاريخ واللغة والأدب ، ووقفت ندا للرجل فى بعض تلك المجالات ، بل تفوقت عليه أحيانا ، وقطعت المسافات الطويلة من أجل العلم ومن أجل التزود والتخصص فى فرع معين من فروع المعرفة · فنحن نقرأ « أن الأميرة زويه ابنة شقيق الامبراطور باسل المقدونى رحلت الى ايطاليا ١٠٠٢ م فقط من أجل التعليم » (١) ·

وقد برعت المرأة البيزنطية كشاعرة ، وعلى وجه الخصوص فى نظم التراتيل الروحية · ويمثل هذا المجال كاسيا الراهبة (٢) التى نظمت ترتيلتين رائعتين (٣) ، مما خلد ذكراها (٤) ·

كما ألفت ايودوكيا ـ زوجة الامبراطور ثيودسيوس الثانى « شرحا شعريا للكتب الثمانية الأولى من العهد القديم ، ولنبوءات دانيال وزكريا ، وجمعت مقتبسات من أشعار هوميروس » (٥) وقد برعت ايودوكيا أيضا فى

---

1. Cam. Med. Hist. V. IV. Part I, p. 187.
2. Georgina Buckler : Women in Byzantine Law, p. 414.

أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٤٥ · (هنا يوضح المرجع الأخير سبب ترهبها بقوله : لما أهمل ثيوفيلوس الفسيلفس كاسية فى عرض الجميلات اتجهت انظارها نحو جمال النفس والروح · ثم عزفت عن الدنيا عزوفا تاما ، فأسست ديرا والتجأت اليه متعبدة ، وعنيت أثناء عزلتها بالتراتيل الروحية) · والراجح أن كاسيا كانت ذات نكته بارعة فقد قيل أنه كلفها رد فاهت به عرشا خسرته (رنسيمان: الحضارة البيزنطية، ص ٢٧٨) ·

3. G. Buckler : Ibid., p. 414.

(٤) أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٤٥ ·

(٥) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ، رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٧٨ ·

http://www.al-maktabeh.com

النثر والخطابة ، فقد القت - على سبيل المثال - أمام السناتو فى انطاكية « خطابا غاية فى البلاغة » (٦) ٠

والواقع أن « شخصية تلك الامبراطورة تعتبر شاهدا حيا على المنوال الذى سلكته المسيحية جنبا الى جنب مع المعارف الكلاسيكية فى الدولة البيزنطية » ، فقد ظلت تلك الامبراطورة وفية لمعتقداتها الثقافية الخاصة ببلدها الأصلى أثينا ، كذلك كانت تابعة متحمسة للعقيدة الجديدة وهى المسيحية وتميزت بأنها ألفت فى كل من الشعر الدنيوى والترانيم الكنسية ولقد برز نفوذ ايودوكيا قويا فى ٤٢٥ م عندما أعادت تنظيم وترسيع المؤسسة التى كانت قد انشأت منذ عهد الامبراطور قنسطنطين الأعظم والتى تحولت الى جامعة جديدة ٠ تلك المؤسسة التى أصبحت أعظم مركز هام للمعرفة والتعليم فى الامبراطورية ، والتى كانت تضم « عشرة كراسى للنحو اليونانى وعشرة للنحو اللاتينى ، وخمسة كراسى لعلم البلاغة وفن الخطابة اليونانى وثلاثة للاتينى وكرسى للفلسفة وكرسيان للقانون » (٧) ٠

كذلك تشير المصادر البيزنطية الى شاعرة أخرى هى (ايرين (The Sebastocratorissa Irène أرملة اندرونيكوس Andronicus الأخ الأكبر للامبراطور مانويل ، التى « كان الشعر أحد اهتماماتها الرئيسية » (٨) ٠

أما فى مجال الكتابة الأدبية فالراجح أن المرأة البيزنطية كانت فى رأى جورجينابوكلر « ملهمة للرجال أكثر منها مبدعة ومؤلفة » ويضيف نفس المرجع أيضا أنه « من المحتمل أن يكون ذلك هو النقص الوحيد فيما كتب عنهن أو لهن » (٩) ٠

ومهما كان الحال فان ايودوكيا الآثينية كتبت فى القرن الخامس بطريقة

---

(٦) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ ٠ وكان ذلك اثناء توجهها للحج الى بيت المقدس ٠

7. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 55-56
8. Robert Browning : Studies on Byzantine History Literature and Education, Part VII, p. 8 (George Tornikes) هن
9. G. Buckler : Op. cit., p. 414.

مكتبة المهتدين الإسلامية

جيدة سواء لمستوى المرأة العادى أو للمرأة ذات المستوى الرفيع « للمرأة وللأميرة » (١٠) ٠

كذلك استغلت بولكيريا اخت الامبراطور ثيودوسيوس تمكنها من معرفة واستخدام اللغتين اليونانية واللاتينية فى التحدث والكتابة فى الشئون العامة وكانت تزن مناقشاتها وزنا ناضجا (١١) ٠

كما ساهمت ايودوكيا زوجة الامبراطور ثيودوسيوس بنصيب فى هذا المجال « فطبقت قصة سانت سيبريانوس على حياة المسيح ومعجزاته وكتبت مديحا تشيد فيه بانتصارات ثيودوسيوس الفارسية ٠ وقوبلت كتاباتها باستحسان أبناء عصرها الاذلاء المؤمنين بالخرافات ولم يوجه اليها النقاد المتسمون بالصراحة وعدم التحيز ما يقلل من شأنها » (١٢) ٠

أما فى القرن العاشر فقد عملت بنات الامبراطور قنسطنطين السابع Constantine VII Porphyhogenitus (٩١٣ ـ ٩٥٩ م)(١٣) « كسكرتيرات له » (١٤) كما كان هناك عددا من « الأميرات المثقفات من بيتى كومنينوس وباليولوجوس » (١٥) ٠

والواقع أن هناك حقيقة هامة تستوقفنا عند دراستنا للأدب البيزنطى ، وهى نقص الانتاج الانثوى فيه ، وهى حقيقة مثيرة للانتباه جديرة بالملاحظة ٠ واذا أخذنا برأى (بيورى Bury) أن كل والدين قادرين على تحمل نفقات ومسئولية التعليم كانا « يعلمان بناتهما مثل أبنائهما » (١٦) ٠ أى أن الأبناء الذكور كان لهم مكان الصدارة فى التعليم ثم اذا اتيحت الظروف بعد ذلك تتعلم أخواتهم الاناث ٠

ولعلنا نكون عادلين ـ على حد تعبير رنسيمان ـ اذا قلنا ان بنات

---

10. G. Buckler : Ibid., p. 414.

(١١) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٧ ٠

13. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 590.

(١٢) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٥١ ٠

14. G. Buckler : Op. cit., p. 414.

(١٥) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٧٨ ٠

16. G. Buckler : Ibid., p. 414.

http://www.al-maktabeh.com

الطبقة الموسرة كن على الجملة يتلقين نفس التعليم الذى يتلقاه اخـــوتهم الصبيان وان تعلمن على يد معلمين خصوصين بالمنزل ، بيد أن ذلك التعليم كان عند الطبقات الوسطى مقصورا فى العادة على معرفة الكتابة والقراءة دون غيرهما (١٧) ٠

والحقيقة أننا سوف نركز الكلام هنا بشىء من التفصيل على الأميرة أنا كومنينا Anna Comnena كمؤرخة وفيلسوفة وأديبة الى آخر المجالات التى برزت فيها والتى أمدتنا المصادر البيزنطية والأوروبية ، الى جانب كتابات (أنا) نفسها بالكثير عنها ، وذلك كمثال واضح لدور المرأة البيزنطية فى الحياة الثقافية ٠

ولدت (أنا كومنينا) فى الحجرة الأرجوانية بالقصر الكبير فى فجر يوم السبت ٢ ديسمبر ١٠٨٣ / ٤٧٦ هـ (١٨) ٠ أما تاريخ وفاتها فغير متفق عليه تماما ٠ فالبعض يذكر أنه ١١٤٨ م (١٩) / ٥٤٣ هـ ، والبعض الآخر يذكر أنه يحتمل أن يكون بعد ١١٤٨ م (٢٠) فى حين يشير فريق ثالث أنه كان بين سنتى ١١٥٣ ـ ١١٥٥ م (٢١) / ٥٤٨ ـ ٥٥٠ هـ ٠ ومهما يكن من أمر فقد كانت (أنا) تبلغ من العمر حوالى السبعين عاما حينما قضت نحبها٠ وهنا يشير (جورج تورنيكس) ـ الصديق الحميم لأنا وعائلتها ـ الى أنها « احتفظت حتى آخر لحظة فى حياتها بطبيعتها المشرقة ومزاجها المتفائل » ٠ والواقع أن هذا الوصف يعتبر الوحيد الباقى لأحد شاهدى العيان القليلين المعاصرين للأميرة (أنا) (٢٢) ٠

---

(١٧) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٧٩ ٠

18. Robert Browning : Studies on Byzantine History, Part, VII, p. 4 عن Ge orge Tornikes)

(١٩) جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩ ،
The Encyclopaedia Britannica, V. I, p. 992.

20. Robert Browning : Studies on Byzantine..., Part VII, p. 4 عن (Alexiad), F. Dolger : Emeritus : Cam. Med. Hist., V. IV, Part II, p. 231.

21. R. Browning : Ibid., p. 4

هنا يذكر بروننج انه يميل الى هذا التاريخ ويذكر أن الأب (ج داروزيه) قـــد اخبره فى خطاب أنه توصل الى نفس النتيجة ٠

22 R. Browning : Ibid., pp. 4-5.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كانت (أنا كومنينا) هى الابنة الكبرى للامبراطور الكسيوس الأول Alexius I (١٠٨١ - ١١١٨ م (٢٣) / ٤٧٤ هـ - ٥١٢ هـ) وكانت من الشخصيات المفكرة ذات الثقافة العالية تلقت قدرا ممتازا من التعليم (٢٤) وقد سطرت روايتها الشخصية عن تعليمها فى كتابها الألكسياد Alexiad وكانت دائمة الشكر لوالديها لعنايتهم بتعليمها · أما ما وصلنا من خطبة تورنيكس الجنائزية فى تأبينها والتى نقلها لنا روبرت برونتج فهى تختلف عن ذلك قليلا وربما كانت أكثر تشويقا ، ومنها يمكن أن نقسم مراحل تعليم الأميرة الى ثلاثة مراحل هامة ·

الأولى أنها وجهت بواسطة والديها بطريقة قوية فاضلة ، فلم يعارض والديها فى دراستها للفلسفة ، التى كانت تتبع المنهج المسيحى وتعتنى بالتقـــدم الروحى ، ولكنهما عارضا بشدة دراستها لأسلافها وأجدادها الأصـــليين ولقواعد اللغة ، لأنها لا تتبع المنهج المسيحى · ولما كانت تلك المسألة غاية فى الخطورة بالنسبة للرجال ، فقد كانت بالتالى أكثر خطورة بالنسبة للنساء، فاذا تذكرنا أن (أنا) كانت لا تتعدى الثلاثين من عمرها آنذاك لوضح لنا مدى خطورة الوضع · الا أن دهاء الأميرة فاق حذر ويقظة والديها ، وذلك بنجاحها فى أخذ دروس خصوصية من أحد خصيان القصر « فكانت كعذراء تأخذ موعدا غراميا سريا مع حبيبها » (٢٥) ·

---

23. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 351.

24. F. Dolger, Emeritus : Cam. Med. Hist., V. IV, Part 11, p. 231 (Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 194)

وقد اشارات (أنا) الى ذلك فى مقدمة الالكسياد بقولها · « أننى قرأت ودرست بامعان أعمال أرسطو ومحاورات أفلاطون ، وأثريت فكرى بالمعارف عن طريق تعلم المجموعة الرباعية للعلوم » ·

والكسيوس كومنين هو الابن الثالث لحنا كومنين وابن شقيق اسحاق الأول الذى كان امبراطورا من ١٠٥٧ - ١٠٥٩ م · جاء من أسرة بيزنطية مشهورة · وكان أحد القواد العسكريين العظام الذين كان لهم دور فعال فى محاربة الأتراك فى المقاطعات البيزنطية شرق ووسط الاناضول من ١٠٦٨م الى ١٠٨١م ظهرت مواهبه العسكرية خلال فترة الحكم القصيرة لرومانوس الرابع ،ميخائيل السابع ونقفور الثالث، وبمساعدة أخيه اسحاق وأمه أنا دالا سينا ذات الهيبة ، بالاضافة الى تأييد أسرة دوكاس ، اعتلى العرش بعد نقفور الثالث ·

(The New Encyclopaedia Britannica, V. I, (1768, A alto Arithmetic), p. 483).

http://www.al-maktabeh.com

والمرحلة الثانية بعد زواجها من (نقفور برنيوس Nicephorus Bryennius ١٠٦٢ - ١١٣٨ م (٢٦) / ٤٥٤ - ٥٣٣ هـ ، وهى المرحلة التى اكملت فيها تعليمها بطريقة علنية ، فدرست قواعد اللغة على يد أحد خصيان القصر ، والفلسفة على يد فلاسفة جمعوا بين الفصاحة والعبقرية الفلسفية وبين كبر السن ٠

أما المرحلة النهائية من تعليمها فكانت بعد وفاة والدها ، وهى التى شهدت فترة عزلتها عن الحياة العامة ، عندما جمعت حولها بعض الرجال البارزين المتعلمين فى عصرها ، ودرست معهم فلسفة أرسطو وافلاطون ، وعلم البلاغة وفن الخطابة الى جانب التاريخ (٢٧) ٠

وبوفاة والدها الامبراطور الكسيوس الأول ١٥ أغسطس ١١١٨ م (٢٨)/ ٥١٢ هـ انفصلت الأميرة (أنا) عن حياة البلاط الراقية لمدة خمس وثلاثين عاما ، لكنها لم تنفصل عن الحركة العقلية والفكرية لعصرها (٢٩) انفصلت (أنا) فى أحد أديرة القسطنطينية وقضت الجزء الأخير من حياتها فى شبه عزلة (٣٠) ٠ هنا يشير أحد المراجع الى أن (أنا) « اعتزلت لتكتب تاريخها » (٣١) ، لكننا نميل الى الرأى الذى يذكر أن من أهم وأقوى أسباب

= والمجموعة الرباعية للعلوم هى الحساب والهندسة والفلك والموسيقى ٠ ومعظمها دراسات علمية بعكس المجموعة الثلاثية وهى النحو والبلاغة والمنطق وهى دراسات أدبية ٠

(د٠ سعيد عاشور : أوروبا العصور الوسطى ، ج ٢ النظم والحضارة الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، ص ١٢٥) ٠

25. R. Browning : Op. cit., Part VII, p. 5 عن (Tornikes)

(٢٦) كان نقفور برنيوس قائدا موهوبا ٠ تزوج (أنا) فى ١٠٩٧ م
F. Dolger, Emeritus : Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 230.

أعلن نقفور نفسه امبراطورا منافسا خلال فترة حكم كل من ميخائيل دوكاس ونقفور بوتانياتس
(G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 351)

27. R. Browning : Op. cit., p. 5 (Tornikes) عن
28. C.W. Previte : Orton: Op. cit. V. I, p 538.
29. R. Browning : Ibid., p. 5.
30. R. Browning : Ibid., p. 5

وهو يذكر هنا أنها لم تصبح راهبة حقيقية الا وهى على فراش الموت ٠
31. C. W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.

مكتبة المهتدين الإسلامية

عزلتها هو سوء علاقتها بأخيها الأصغر حنا الثانى الـــــذى اعتلى العرش الامبراطورى بعد والده ، فى الوقت الذى كانت (أنا) تتوق فيه الى وضع التاج الامبراطورى على رأس زوجها (نقفور برنيوس) • ثم ازدادت تلك الجفوة فى عهد ابن أخيها الامبراطور (مانويل الأول) ، الذى يذكر برونتج - نقلا عن تورنيكس - أنها لم تكن تعرفه الا معرفة سطحية « فلم يشـــــاهدا بعضهما عينا لعين » ولم يحاول هو من ناحيته أن يصلح الجفوة مع عمته « الخشنة الفظة التى كانت تبلغ الستين من عمرها » (٣٢) •

والحقيقة أن ما يهمنا من أمر هذه الفترة هو أن نشير الى أن الأميرة (أنا) استطاعت وهى فى أحد الأديرة فى نهاية فترة عزلتها ان تؤلف تاريخا لعصر والدها (٣٣) • الا وهو كتاب الألكسياد المشهور الذى خلد اسمها (٣٤)•

هنا نجد أنفسنا مضطرين للتوقف عند تلك النقطة للالمام بكافة جوانبها ، كمتهمين بالتاريخ والمؤرخين •

ألفت (أنا) كتاب الألكسياد باللغة اليونانية وهو يغطى الفترة الممتدة من ١٠٦٩ الى ١١١٨ م / ٤٦٢ - ٥١٢ هـ بدأت فى تدوينه بعد ١١٣٧ م / ٥٣٢ هـ وأتمته حوالى ١١٤٨ م (٣٥) / ٥٤٣ هـ •

ذلك العمل الناتج عن « العطف البنوى » كما يحلو للبعض أن يسميه أو بمعنى آخر ، عاطفة ابنه تجاه والدها • كتبته (أنا) لتمجيد فضائل والدها الذى كانت تحبه الى درجة العبادة وتعجب به أكثر من أى شخص آخر (٣٦)• ولقد ذكرت أنا نفسها فى الألكسياد أنها ألفت هـــــذا التاريخ كى تذكر فيه الأعمال التى قام بها والدها « كى لا تضيع فى سكون » (٣٧) •

---

32. R. Browning : Op. cit., pp. 5-6.
33. R. Browning : Ibid., p. 6, The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A. Bib 1768), p. 390.
34. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 377.
35. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 351, F. Dolger, Emeritus: Cam. Med. Hist., V. IV Part II, p. 231,

جوزيف نسيم : العرب والروم واللاتين ، ص ١٩

36. F. Dogler, Emeritus : Cam. Med. Hist., V. IV, Part II, p. 231.
37. Anna Comnena : The Alexiad, p. 1.

http://www.al-maktabeh.com

وبذلك كان تاريخها هذا يمثل النوع الأول من الفروع الثلاثة للكتابات التاريخية التى عرفتها العصور الوسطى وهى « السير Biographies الحوليات Annals والوقائع Chronicles » (٣٨) ٠

وقد ذكرت (أنا) سبب تصميمها على كتابة الألكسياد فقالت كان « زوجى هو القيصر برنيوس وكان جديرا بالاعجاب فى كل شىء ، صحب أخى حنا ـ الامبراطور فى العديد من الحملات الحربية ٠٠ ولما كان نقفور غير قادر على ترك عمله الأدبى ، لذلك فقد كتب العديد من المذكرات اليومية الممتازة ، وقد أعجبت الملكة (٣٩) كثيرا بكتاباته وطلبت منه كتابة تاريخ لعصر الامبراطور اللكسيوس ـ أبى ـ يوضح فيه الأعمال التاريخية والأدبية التى كان يهواها ٠ وبدأ نقفور فعلا فى تدوين هذا التاريخ بداية مبكرة منذ عهد الامبراطور رومانوس الرابع ولكن عندما وصل الى عهد والدى وأعد مسودة لتلك الفترة وعاد بها الينا من الخارج نصف منتهية ، كان للاسف قد عاد أيضا محملا بورم خبيث داخلى كان يعانى منه بشدة ، مما جعله غير قادر على رواية القصة الحزينة لمغامراته » (٤٠) ٠ لذلك قررت (أنا) تكملة عمل زوجها وبذلك ابرزت الأعمال الخالدة لوالدها الامبراطور، بالاضافة الى الانتصارات الباهرة لزوجها العظيم الذى كان مؤرخا هو الآخر ، لكن تاريخه لم يكن قد اكتمل ـ كما رأينا ـ بالاضافة الى أنه لايقارن بما ألفته زوجته (أنا) (٤١) ٠

وثمة عدة آراء لبعض المصادر والمراجع الأجنبية تعرضت سواء بالمدح أو بالنقد للألكسياد ٠ وعلى سبيل المثال أشار أحد المراجع الى الألكسياد بقوله أنه عرض « بأسلوب متحذلق لكنه تاريخ قيم » (٤٢) فى حين يذكر الآخر انه كتب « بأسلوب انسانى رائع مفعم بالحيوية والبهجة » وذلك برجوع (أنا) للاقتباس من المؤلفين الكلاسيك ، وقد اعتمدت على العديد من المصادر ، لكنها تكتب بعض الأحداث التى وقعت قبلها بعدة سنوات ، وغالبا ما كانت ذاكرتها تخطىء فى ذكر التفاصيل (٤٣) ٠ بينما يذكر رأى ثالث «أن

---

(٣٨) د ٠ سعيد عاشور : حضارة ونظم أوروبا فى العصور الوسطى ، ص ١٥٦ ٠

(٣٩) تقصد (أنا) هنا والدتها الامبراطورة ايرين دوكاس ٠

40. Anna : Op. cit., pp. 2-3.

41. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 351-352.

42. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.

43. F. Dolger, Emeritus : Cam. Med. Hist. V. IV, Part II, p. 231.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(أنا كومنينا كانت فصيحة فى عرضها للمحن والكروب التى وردت فى تاريخها ، لكنها لم تجعلها واضحة كما يجب » (٤٤) كذلك يذكر رأى رابع « أن الألكسياد يعتبر مصدر قيم لوجهة النظر المؤيدة لبيزنطة عن الحملات الصليبية الأولى وأنه يعدنا بصورة عن النشاطات الدينية والفكرية داخل الامبراطورية ، تلك الصورة التى تعكس التصور البيزنطى للمنصب الامبراطورى » (٤٥) ٠

أما استروجووسكى فيعطينا الرأى الأخير فى تقييم الألكسياد بقوله أنه « كتب بأسلوب قديم متعمد » بقلم أميرة نشأت وتعلمت وفقا للأساليب الكلاسيكية وانغمست فى الكتابات التاريخية ، والشعر وفلسفة الاغريق القدماء وينهى تقييمه للكتاب بقوله « أنه مصدر تاريخى ذو أهمية كبرى لأن التفاصيل التى روتها (أنا) تعتبر قاعدة أساسية لمعرفتنا ، أولا للفترة الهامة التى شهدت اعادة تأسيس القوة البيزنطية ، وثانيا لالتقاء البيزنطيون والغرب فى الحملة الصليبية الأولى ، وثالثا للصراع بين البيزنطيين من جهة والنورمان والقبائل الرحل فى الشمال والشرق من جهة أخرى (٤٦) ٠ ويضيف استروجورسكى أنه بالرغم من اتجاه الأميرة (أنا) الى المدح والاطراء وبعض مواطن الضعف الأخرى مثل عدم الدقة فى تعيين التواريخ الخاصة بالأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمنى ، الا أن الكفة ترجح أكثر بكنز المعلومات الوافرة التى زودتنا بها المؤلفة وذلك يرجع الى تعطشها الشديد للمعرفة (٤٧) ٠

والى جانب اهتمام (أنا) بالتاريخ فقد برزت أيضا فى مجال آخر ربما تعمقت فيه أكثر وهو المجال الفلسفى ٠ فبين حين وآخر كانت (أنا) تعالج فى تاريخها مسألة أو أخرى من المسائل الفلسفية ٠ فقد رأت أن من واجبها

---

44. R. Browning : Op. cit., Part VII, p. 5.
45. The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A. Bib 1768), p. 390.
46. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 351.
47. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 351.

وقد ورد نفس المعنى تقريبا فى دائرة المعارف البريطانية حيث ذكرت : ان الألكسياد يؤخذ عليه عدم الدقة فى تعيين التواريخ الخاصة بالأحداث وترتيبها وفقا لتسلسلها الزمنى الى جانب التملق الزائد للامبراطور الكسيوس كومنين
(The New Encyclopaedia Britannica, V. I (A. Bib. 1768, p. 390).

http://www.al-maktabeh.com

أن تلائم بين تعاليم الفلسفة القديمة ومتطلبات العقيـــدة المسيحية وكانت تعاليم الفلسفة القديمة تعنى بالنسبة لها ، بل لكل البيزنطيين ، أرســـطو وأفلاطون (٤٨) · وبوجه عام ذكرت (أنا) « أنها قرأت ودرست بامعان أعمال أرسطو ومحاورات أفلاطون »(٤٩) وأنها وجدت فلسفة أرسطو (٥٠) أكثر اقناعا · ولعبت (أنا كومنينا) دورا هاما فى المنافسات التى نشأت بين تلاميذ مدرسة أرسطو فى العالم البيزنطى (٥١) ·

هنا يذكر Karl Preachter فى مقال مشهور له : « أنه ما من أحد ينظر الى أعمال أرسطو سواء فى العصور البيزنطيـــة الأولى أو المتأخرة الا ويواجه بثلاث شعب مهمة وهى : علم السياسة ، علم البيان والبلاغة وعلم الحيوان والأجناس » ··· ولقد اســـترعت تلك الملاحظة انتباه (أنا كومنينا) قبـل ذلك بثمانمائة عام (٥٢) ·

وبالاضافة الى ذلك ، صممت (أنا) على أن تجـــد فى علم الطبيعة

48. R. Browning : Studies on Byzantine Hist. Part VII, p. 8.
49. Cam. Med. Hist. V. IV Part II p. 194.

(٥٠) كانت فلسفة أرسطو أقوى أثرا من أفلاطون فى الحياة الفكرية الغربية فى العصور الوسطى وبصفة خاصة منذ القرن الثانى عشر والسبب فى ذلك لا يرجع فقط الى ان فلسفة أرسطو تتصف بطابع التعميم الذى يجعل منها مادة صالحة لكل زمان ومكان بعكس أفلاطون الذى كان يكتب لأهل اثينا والذى ظل تفكيره بعيدا الى حد كبير عن عقائد اليونانيين · وانما يرجع أيضا الى أن التفكير الفلسفى فى العصور الوسطى قام على أساس منطق بيوثيوس ، وهو منطق مستمد من أرسطو · هذا الى أن طريقة أفلاطون فى أن يطلق عنان تفكيره ليعالج موضوعا من الموضوعات عن طريق حوار جدلى لم يكن مستساغا فى العصور الوسطى ، فى حين اتصفت طريقة أرسطو بحسن العرض والتركيز والايجاز المفيد ، وهى الاتجاهات التى تتفق مع ما عرف عن أهالى العصور الوسطى من حب للمختصرات والكتب الموجزة · وهكذا عثر رجال الفكر فى العصور الوسطى على ضالتهم فى شتى ميادين الفلسفة والعلوم فى مؤلفات أرسطو ، مما جعل أرسطو أبا للفلسفة وأميرا لها فى تلك العصور · د · سعيد عاشـــور : حضارة ونظم أوروبا فى العصور الوسطى عن
Pirenne : La civilisation Occidentale, Haskins : عن (The Renaissance.)

51. R. Browning : Op. cit., pp. 8-9.
52. R. Browning : Ibid., p. 7.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وما وراء الطبيعة مالا يدمر قواعد الأخلاق ، وكان ذلك يعنى بالنسبة لها ما بعد الحياة · والواقع أنها عكفت هى وزملائها على تكوين منهج فلسفى ، ولم يكونوا سعداء بالنصوص البراقة الجذابة (٥٣) ·

والواقع أن أنا لم تعلم نفسها وتوسع دائرة ثقافتها عن طريق منهج يشمل المحاضرات ، وبواسطة مشرفين متخصصين فحسب ، لكنها نظمت وألهمت بل وبدون شك شجعت أعمال الآخرين ، وعلى وجه الخصـــوص تشجيعها لشراح ومفسرى فلسفة أرسطو الذين كانوا يحظون برعايتها ونخص بالذكر هنا ايوستراتيوس Eustratius مطران نيقية (٥٤) · وميخائيل الافسوسى الذى اشتهر بتفسيراته وتعليقاته فى علم الحيوان والأجناس وعلم البلاغة والسياسة · وكان يعمـــل ذلك كله تحت اشراف وتوجيه (أنا كومنينا) (٥٥) ·

كذلك كان لأنا بعض الآراء فى مجال التنجيم · وهنا نجد (تورنيكس) لم يمنع نفسه من ادانة أنا فى التنجيم ـ وهو صديق أسرتها الحميم ـ ولو أنه « من المحتمل أن تلك الادانة كانت موجهة بالذات الى ابن أخيها الامبراطور الشاذ الأطوار مانويل كومنين » (٥٦) ·

لكن ماذا كانت نظرة (أنا كومنينا) الى الحضارة الأوروبية الغربية المعاصرة لها آنذاك ؟ ·

لقد احتقرت الأميرة (أنا) ـ فى القرن الثانى عشر الميـــلادى ـ الحضارة الأوروبية الغربية المعاصرة لما اتصفت به من خشونة وبربرية (٥٧)·

وفى النهاية نود أن نشير الى رأى (فشر) الذى يضع الأميرة (أنا كومنينا) كأحد الأمثلة التى تشير الى المتناقضات فى التاريخ البيزنطى · فقد ذكر أن المطلع على ذلك التاريخ يقرأ مؤلفات أميرة بيزنطية ملمة بمعظم الآداب اليونانية القديمة « فيعجبك أنها أحبت أباها حب العبادة وأنها كتبت تاريخا

53. R. Browning : Ibid., p. 9.
54. R. Browning : Ibid., pp. 6-7.

ولقد أشارت اليه أنا فى تاريخها باطراء كبير

55. R. Browning : Ibid., p. 7.
56. R. Browning : Ibid., p. 6.

http://www.al-maktabeh.com

رائعا تمجيدا له ، ثم نعلم أنها شاركت فى مؤامرة لاغتيال أخيها » (٥٨) ٠

والواقع أن أنا كومنينا بشر ، والبشر دائما أبناء الظروف والبيئة المحيطة بهم ٠ ويكفى أن نعلم موقف والدتها المعادى لأخيها ، وقوة تأثيرها عليها فى نفس الوقت الذى شملها والدها الامبراطور الكسيوس كومنين بحبه الجم ، لنفهم موقفها المتناقض ٠ وهو ما سنتناوله بالتفصيل فيما بعد عند تناول الحياة الاجتماعية ٠

---

(٥٧) كريستوفر دوسن : ترجمة د٠ زيادة ، د٠ عاشور : تكوين أوربا ، ص ٢١١ ٠ وهنا يذكر نفس المؤلف أنه « منذ القرن التاسع الى القرن الثانى عشر انصرفت مجموعة من عظماء العلماء انصرافا كليا الى الاداب الكلاسيكية والعلوم القديمة وهم فوتيوس وأرتياس فى القرن التاسع وسويداس الموسوعى وقنسطنطين كيفالاس فى القرن العاشر ، وميخائيل بسلوس وحنا ايتالوس وغيرهم فى القرن الحادى عشر ٠ وكان ذلك أوج عصر النهضة البيزنطية التى اتصف رمزها الأعظم ـ وهو بسلوس ـ بجميع صفات الانسانيين الايطاليين وهو تمجيدهم العاطفى لكل قديم ولا سيما اثينا القديمةودأبهم على محاكاة الطرق الكلاسيكية فى الأسلوب ٠٠ غير أن هذا العصر لم يكن عصر عبقرية ابتكارية بل كان معظم انتاجه فى المعاجم ودوائر المعارف الكبرى امثال مكتبة فوتيوس وتصانيف قنسطنطين الارجونى (بورفيروجنتيوس) وكلها اكثر شبها بالموسوعات الأدبية الصينية منها بأى انتاج فى الأدب الاوربى الحديث ٠ على أنه رغم خلو هذا العصر من أصالة فهو عصر حضارة أنيقة مهذبة ٠٠ ومن السهل لذلك فهم احتقـــار (أنا) لحضارة ذلك العصر » (نفس المرجع ص ١٠ ـ ١١) ٠

(٥٨) فشر : تاريخ أوربا العصور الوسطى ، ق ١ . ص ١٧٣ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الرابع

دور المرأة البيزنطية فى الحياة الاجتماعية

تستوقفنا فى مستهل هذا الفصل عبارة صدرت عن (اندريه جويلو André Guillou) يقول فيها « تعتبر صورة العائلة البيزنطية هى صورة عالم عادى صغير عاقل وسعيد تتوسطه المرأة ويقوم كل فرد من افراده بدوره تحت سيادتها » (١) فقد كانت « ككل نساء البحر المتوسط تدير المنزل بينما يعمل الرجل خارجه » (٢) ٠

والحقيقة أن ما نقرأه عن وضع المرأة فى الحياة الاجتماعية البيزنطية يجعلنا أمام آراء تتناقض مع بعضها فمن قائل أن « غالبية النساء البيزنطيات ليس لديهن أخلاقا بالمرة » وربما دفع ذلك Cecaumenus فى نهاية القرن الحادى عشر الى تحذير قرائه من معاشرتهن حيث « أنه من الخطورة بمكان أن تكون على علاقات سيئه بالنساء والأكثر خطورة أن تظل صديقا لهن » (٣) ٠ حيث كانت مفاتنهن تتحالف مع الشيطان ضد الرجل بل ان (برودروموس Prodromus) فى فترة تاليه على ذلك اشتكى من زوجته للامبراطور قائلا :

« اننى أخاف لسانها ، اننى أخاف غضبها

اننى افزع من تهديداتها ومن قسوتها » (٤) ٠

وثمة راى آخر يذكر أن المرأة البيزنطية « كانت بعد زواجها خاضعة لزوجها ـ الذى كان يعاملها بحب واحترام ـ وكانت تتفرغ لأعمال المنزل وللقراءة فى الكتب البعيدة عن لهو الحياة وكان أكثر نفعا لها أن تلتزم بمنزلها عن أن تقضى وقتها فى الملذات التافهة ، وكانت لا تعاشر مطلقا النســـــاء الطائشات أو اللائى ينغصن حياة ازواجهن وكانت أهم صفاتها التى اتصفت

---

1. André Guillou : La civilisation Byzantine, p. 234.
2. André Guillou : Ibid., p. 235.
3. G. Buckler : Op. cit., p. 415.
4. G. Buckler : Ibid., p. 415.

http://www.al-maktabeh.com

بها أنها كانت مخلصة عاقلة متزنة حذرة ، متدينة بعيدة عن الاهتمام بالتفاهات المسرفة فى تطرفها مثل الزينة التى تهدم منزلها ، لأنه ليست هناك أية ثروة تكفى لسد حاجات المرأة المادية » (٥) ٠

والراجح أن كـــلا الرأيين كان يمثل عنصرا من النساء البيزنطيات فأحدهما كان يمثل المرأة المثالية والآخر كان يمثل المرأة المتشددة القاسية ٠

وقد تعددت الشعارات لدعوة المرأة الى الطريق المستقيم وكان الاتجاه العام لكثير من الكتاب هو التنديد بأى انحراف قد يسىء الى المرأة وعلى سبيل المثال لا الحصر ، أنه « من الأكثر احتراما للمرأة من ناحية زينتهـــا ألا تدع لسانها يسمع بواسطة أحد غير زوجها » (٦) ٠

وأنه « يجب اعتبار المرأة التى تهتم برسم عينيها باللون الأسود وبتزيين عنقها ويديها وشعرها بالحلى المصنوع من الذهب والتى ترش ملابســـها بأنواع العطور فاتنة لا تطاق » (٧) ٠

لكن رغم ذلك فثمة رأى يؤكد قسوة المرأة البيزنطية حيث يشير الى أنها « لم تكن المرأة التى تذرف الدمع على مصيرها أو لرثاء الآخرين وذلك لشجاعتها وحيويتها واقتدائها بالنساء المسنات المهيبات الجانب فى الكتاب المقدس » (٨) ٠

والواقع أن الفتيات غير المتزوجات كن يعشن عيشـــة الاعتزال الى حد ما ، وربما لا يرين أزواجهن حتى تقرر كل شئون الزواج ، ولكنهن لا يكدن يتزوجن حتى يستمتعن بمطلق الحرية (٩) ٠

أما الأم فكانت لها مكانة عظيمة لدى ابنها « فهى مربيته وموجهته » وليس هناك قلعة أقوى منها فنصيحتها دائما مسموعة وصلواتها لابنها تمثل « التأييد والحراس الذين لا يقهرون » (١٠) ٠

---

5. André Guillou : La civilisation Byzantine, p. 234.
6. G. Buckler : Op. cit., pp. 415-416.
7. André Guillou : Op. cit., p. 236.
8. André Guillou : Ibid., p. 325.

(٩) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٢٧ ٠

10. G. Buckler : Op. cit., p. 415.

مكتبة المهتدين الإسلامية

كانت الأم تعتنى بصغارها وتقص عليهم القصص « وكان الطفل البيزنطى موضع كل الحنان » ولكن رغم ذلك فقد نودى بضرورة العقوبات الجسمانية لتهذيب الصغار ، كما « امتد الاهتمام بتعليم الأطفال الى مراقبة المخالطين لهم من السفهاء وعديمى التربية » (١١) ٠

هنا نود أن نشير الى أن القسوة والتشدد اللذين نسبهما البعض الى المرأة البيزنطية التصقا بها أكثر بعد أن أصبحت أما ولم يلتصقا بها كفتاه أو كزوجة حديثه الزواج ٠

هذا عن وضع المرأة البيزنطية عامة أما اذا انتقلنا الى المرأة فى القصر الامبراطورى فاننا نجد أنفسنا أمام اضافات جديدة ولتتبعها نقول :

أن الامبراطورة الأم كانت تعامل باحترام خاص « فقد كان لسلطان أنا دالاسينا سمعة سيئة ولكن لم يقل أحد أن توقير أبنائها لها كان شيئا غير معقول ٠ وحتى والامبراطورية تميل شمسها للمغيب كان نفوذ آخر امبراطورة وهى الأرملة هيلينا درا جاسيس هو الذى يحفظ السلام بين أبنائها قنسطنطين الحادى عشر واخوته » (١٢) ٠

أما عن اختيار الامبراطورة فقد كان يتم وفقا لتقاليد معينة عن طريق معرض العرائس ، فيذهب مبعوثون الى كافة أرجاء الامبراطورية ليجمعوا البنات الجميلات الراقيات التعليم ليختار الامبراطور منهن عروسه (١٣) ٠ ولقد استخدمت تلك الطريقة عندما ارادت ايرين ان تزوج ابنها قنسطنطين السادس ، وكذلك يوم اختار ثيوفيل ثيودورا ضاربا صفحا عن الشاعرة كاسيا بسبب وقاحة اجابتها (١٤) ٠

---

11. André Guillou : Op. cit., p. 235.

(١٢) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨ ٠

(١٣) رنسيمان المرجع السابق ، ص ٢٢٨ وهو يضيف أنه غالبا ما كانت الاعتبارات السياسية أو عاطفة لم يحسب حسابها تمد الامبراطور بالعروس المطلوبة فيستغنى الحال بذلك الى اللجوء الى تلك الوسيلة ٠

(١٤) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ - ٢٢٩ ٠ عن (موناخوس) هنا يذكر أسد رستم : الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٤ أن (ثيوفيلوس حين أصبح أرملا طلب الى الامبراطورة فروسنة أن تجمع فى تشريفاتها أجمل بنات الاشراف فى العاصمة وسار =

http://www.al-maktabeh.com

والواقع أن الامبراطورة الوصية كانت أحيانا تتدخل حتى فى اختيار عروس ابنها · فايرين مثلا هى التى انتقت عروس ابنها قنسطنطين السادس· وكانت العروس جديرة بالاعجاب من الناحية الخلقية ولكنها لم تكن جذابة وان كان الوكلاء قد قاسوا بعناية طولها وقدميها (١٥) ·

كذلك تدخلت الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبراطور ثيوفيل فى حياة ابنها ميخائيل الثالث ـ وحرمته من الزواج من عشيقته Eudocia Ingerina وأجبرته على الزواج من Eudocia Decapolite وذلك فى ٨٥٥م(١٦)/٢٤١هـ· وهى التى اختارتها وفقا لاحدى مسابقات الجمال رغم ما قيل من أنها كانت تافهة · وقد قيل أن الذى دفع ثيودورا الى ذلك هو « قلقها الزائد بسبب غرائز ابنها الفطرية الشريرة » (١٧) ·

كان للجمال اعتبارات هامة لدى البيزنطيين ، وكان الجمال غالبا ما يرفع البنت الى أعلى من مكانتها كثيرا « فان ثيودورا الممثلة المولوده بالسيرك وثيوفانو ابنه صاحب الخان أصبحتا امبراطورتين » (١٨) ·

وقد بلغ اعجاب البيزنطيين بالجمال البشرى الى حد أن الجند أرادوا فى القرن السابع ـ أن يعينوا أرمينيا هو ميزيزيوس امبراطورا على البلاد لفرط جمال صورته ، كما لم ينقذ الامبراطورة السخيفة زويه من احتقار

= بين صفوفهن ليختار زوجة · وكان يحمل فى يده تفاحة من الذهب تشبها بباريس بطل الأساطير اليونانية القديمة · فوقع نظره فى أول الأمر على الحسناء ايكاسيه · وعندما اقترب منها قال لها : « ان معظم الشر من النساء » فأجابت : « ومعظم الخير أيضا » فأفحمته · ويبدو أن هذا الرد لم يرض الفسيلفس لانه تابع طريقه وأعطى التفاحة الذهبية لثيودورا التى كانت تنافسها فى الجمال) ·

(١٥) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٢٨ ·

16. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 222, Cam. Med. Hist., V. IV Part I, p. 108.

وقد تزوجت ايودوكيا انجيرينا فى ٨٦٥ م من باسل المقدونى وهو صديق ميخائيل الثالث الحميم والذى أصبح فيما بعد امبراطورا باسم الاول ٨٦٧ ـ ٨٨٦ م ·
(G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 232, Cam. Med. Hist., V. IV Part I, p. 117, C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 255)

17. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 116.

(١٨) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٤١ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

الناس الا حسن طلعتها فانها كانت حتى وهى فى الستين من عمرها تبدو كطفلة غريرة بشعرها الذهبى وبشرتها الناعمة البضة ، كما أن الأردية البسيطة التى ترتديها كانت مثار الاعجاب الكبير من الجماهير (١٩) ٠

وربما دفعنا الكلام عن موضوع حب الجمال وشدة الاهتمام به بين البيزنطيين الى التنويه الى أن التمسك بالجمال وحده ـ دون النظر لاعتبارات وقيم امبراطورية هامة ـ جعل الامبراطورية ترضخ فترة من الزمن لامبراطورة مثل ثيودورا زوجة جستنيان التى كانت حياتها فى مستهل شبابها مخزية للغاية ولذلك عملت بعد اعتلائها العرش البيزنطى على حماية كافة الساقطات فى المجتمع كى لا يعانين على الأقل من آلام العذاب النفسى وسط الشرفاء لهذا « يرجع الفضل اليها فى انشاء أول بيت فى أوربا لانقاذ النساء الساقطات الى هذه المرأة الساقطة » (٢٠) بل قيل أنها أنشأت الكثير من الأديرة (٢١) وربما ساعد ثيودورا على القيام بمثل ذلك المشروع توفر المال اللازم له بسهولة فى متناول يدها بعد أن أعطاها جستنيان ممتلكات واسعة فى كبادوكيا وبونطس وبافلاجونيا فقامت بادارتها بنفسها وعادت بدخل كبير عليها (٢٢) ٠

وكانت العادة أن أصهار الامبراطور الجديد يجتمعون عندئذ فى القصر، ومهما يكن أصلهم يبدأون سيرة جديدة من الأرستقراطية (٢٣) فمثلا ثيودورا زوجت أختها الكبرى كوميتو ـ التى كانت ممثلة مسرح قبل ذلك ـ من أحد

---

(١٩) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٦٦ ٠

(٢٠) فشر : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٤٧ ٠ وهنا يفصل جيبون : اضمحلال الامبراطورية ج ٢ ، ص ٤٠٧ الكلام عن هذا الموضوع بما عرف عنه من شدة تحامل على ثيودورا بقوله : « ترجع أعظم مؤسسه للبر والخير فى عهد جستنيان الى عطف الامبراطورة على بنات جنسها اللائى قعد بهن الحظ واللائى اضطررن الى ممارسة مهنة الدعارة وحول قصر على الشاطىء الآسيوى للبسفور الى دير فخم فسيح وخصص معاش سخى لخمسمائة من النسوة جمعن من شوارع ومواخير القسطنطينية ، وفى هذا الملجأ الأمين عكفن على العزلة الدائمة » وهذا يذكرنا بأفروديت وبرعايتها لعاهرات المعابد فى كورنثه كما سبق ٠

21. L. Bréhier : Vie et Mort, p. 23.
22. C. Diehl : Theodora, pp. 90-91.

(٢٣) رنسيمان الحضارة البيزنطية ، ص ٢٤١ ٠

http://www.al-maktabeh.com

موظفى الطبقة العليا المسمى Sittas والذى أصبح موضع ثقة الامبراطور ، كما عملت أيضا على تزويج ابن اختها المسمى Athanase من ابنة بلزاريوس بالاضافة الى تزويج ابنة اختها صوفيا الى جستين ابن سقيق جستنيان الذى أصبح فيما بعد جستين الثانى ، كما جعلت من خالها Theodore عضوا من أعضاء السناتو (٢٤) ٠

وربما كان دافع ثيودورا من وراء كل تلك الأعمال هو التعويض عن عدم انجابها لطفل يرث العرش الامبراطورى بعد أبيه مما كان ينغص عليها حياتها باستمرار (٢٥) ٠

كان لقصور النبلاء شأن القصر الامبراطورى أقساما للحريم ٠ وكان الخصيان يقومون بالخدمة فيها (٢٦) وكان لا يجوز للرجال دخوله فكانت الامبراطورة تغادره متى شاءت وتزور الامبراطور فى أجنحته وتتغذى معه فى قاعات طعامه وهى تستطيع ان كانت وصية أن تستقبل وزراءها متى شاءت وهى تكاد تكون داخل ذلك القصر أقوى من الامبراطور نفسه (٢٧) ٠

ومن النقاط الهامة التى يجب الاشارة اليها عند التعرض لدور المرأة فى الحياة الاجتماعية فى بيزنطه هى مسألة زواجها هل كان من الممكن أن تتزوج البيزنطية بأجنبى ؟ وهل أتيحت الفرصة للأجنبيات كى يعتلين العرش البيزنطى ؟

وقبل أن نجيب على تلك التساؤلات نود أن نشير الى رأى قنسطنطين السابع فى تلك المسألة فقد كان دائما يرى « أن هناك أمورا ثلاثة ينبغى الا يمنحها الامبراطور لأجنبى قط وهى : التاج وسر النار الاغريقية ويد أميرة

---

24. C. Diehl : Theodora, p. 155.
25. C. Diehl : Ibid., p. 156

ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ... ، ج ٢ ، ص ٤٠٨ ٠

(٢٦) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ ٠ وهو يضيف أن الذى كان يساعد الطبيب فى مهنته غالبا ما يكون خصيا حيث كان يستطيع فى مثل هذه الحالة الدخول الى الأديرة والى مستشفيات النساء ، وان كانت بعض المؤسسات النسوية من التشدد والتدقيق بحيث أصرت على استخدام الطبيبات الأنثيات دون غيرهن (ص ٢٤٤ - ٢٤٥)٠

(٢٧) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

من مواليد الغرفة الأرجوانية ، وقلما خالف أحد هذه السنة على أن رومانوس الأول زوج حفيدته ماريا لقيصر بلغاريا · كما أن حفيدتى قنسطنطين نفسه ثيوفانو وأنا أصبحت الأولى منهما امبراطورة للغرب وأصبحت الثانيـــة غراندوقة لروسيا ، وكان الوضع الثانى مهينا بوجـــه خاص وذلك لأن الغراندوق فلاديمير كان همجيا بربريا لا يرجى صلاحه (٢٨) ·

هنا يوضح لنا (كريستوفر دوسن) ذلك الوضع أكثر بقوله أن فلاديمير ابن سفياتوسلاف الروسى - عقد اتفاقية مع الامبراطور باسل الثانى ٩٨٨ م تعهد بمقتضاها فلاديمير باعتناق المسيحية وامـــداد الامبراطورية البيزنطية بستة آلاف من الجند الاضافية على شرط أن يتزوج فلاديمير من الأميرة أنا أخت الامبراطور باسل الثانى (٢٩) ·

ولم يكثر تزويج بنات الأباطرة فى الخارج الا فى عهد أباطرة نيقية وآل باليولوجوس ، وكان زواجهن بخاصة لملوك الصقالبة (٣٠) ·

هذا وكثيرا ما كانت سيدات أقل سموا من ناحية مولدهن ترسلن من القسطنطينية فينفعن بلادهن حيث يبثثن روح التحضر فى زوج مـــن امراء البلدان القاصية وذلك مثلما حدث أن الاسرتين المالكتين الارمينية والقوقازية دخلتا بالتدريج فى فلك النفوذ الامبراطورى حيث شجع اعضاؤهما على التمـــاس عرائسهم من المدينة العظيمة ··· وقبل ذلك حصـــل أمراء من اللومبارديين جنوب ايطاليا فعلا على زوجات من بيزنطة · وذلك مثل جريمولد صاحب بنفنتوم الذى تزوج أخت زوجة قنسطنطين السادس ، وتزوج اثنان من أدواج البندقية فى القرن الحادى عشر عروسين بيزنطيتين وهما يوحنا أورسينوودومينيكو سلفيو ، وكانت سيدات من بيزنطة يجلسن على عروش

---

(٢٨) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٩٠ ·

(٢٩) كريستوفردوسن: ترجمة د· زيادة، د· عاشور: تكوين أوربا ص٢١٦ ويضيف نفس المرجع : ان الامبراطور باسل لم يف بما التزم به فى هذه الاتفاقية الا بعد ان ضغط الروس على اطراف الامبراطورية البيزنطية بالاستيلاء على ميناء خرزون ، وهى آخر بقية من بقايا الجاليات اليونانية القديمة شمالى البحر الأسود وهكذا صار الطريق مفتوحا لدخول السلاف الشماليين فى المسيحية ، وصارت روسيا جزءا من العـــالم المسيحى الأرثوذكسى ·

(٣٠) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٩١ ·

http://www.al-maktabeh.com

بالروسيا فى القرن الحادى عشر · حتى اذا حل القرن الثانى عشر فى عهد آل كومنين اتسعت دائرة زواجهن · فان كلا من ماريا كومنينا وثيودورا كومنينا وهما بنات اخوه للامبراطور تربعتا على عرش اورشليم كما تزوجت ابنه أخت أخرى لمانويل الأول من دوق النمســـــا · ومهما يكن من أمر فان نزعة الاعتزال والترفع القديمة التى اتخذها وليدو الغرفة الأرجوانية قد نبذت وكانت النتيجة أن الشرف العائد من الزواج من عروس من الســـــلالة الامبراطورية أصبح أقل شأنا وبذلك انحطت قيمتهن الديبلوماسية (٣١) ·

ومن ناحية أخرى لم يترفع بعض الأباطرة البيزنطيين عن الزواج من أجنبيات مثل جستنيان الثانى وقنسطنطين الخامس اللذان تزوجا من أميرتين من الخزر ، كما زوج رومانوس الأول حفيده الذى أصبح رومانوس الثانى من أميرة ايطالية غير شرعية المولد · وكانت زوجة ميخائيل الســـــابع هى الفاتنة البديعة مارية الآلانية ، كذلك كانت القاعدة العامة ابان حكم آل كومنين وآل باليولوجوس هى اتخاذ الأباطرة زوجات لهم من الغرب · ومن ثم تكونت سلسلة طويلة من الامبراطورات الغربيات المولد وغير الصالحات لمناصبهن واللاتى كان الكبرياء البيزنطى يأبى عليهن اباء مطلقا محبة الشـــعب لهن بالقسطنطينية بالاضافة الى أن هذه الزيجات كانت فاشلة من الناحيـــة السياسية (٣٢ ·

وهنا يتبادر الى ذهننا سؤال هو : هل كان من الممكن لامبراطور أن يتزوج مرة ثانية ؟

والواقع اننا نقرأ فقرة مأخوذة عن القانون البيزنطى تفيد فى الرد على هذا التساؤل وهى « انه لا يحق لمن يتزوج للمرة الثانية أن يضع التاج

---

(٣١) رنسيمان : المرجع السابق ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ ·

(٣٢) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ١٨٩ ـ ١٩٠ ·

والراجح أن اللقب الامبراطورى لم يكن يمنح لأى امبراطوره أجنبية عن بيزنطة الا بعد أن تنجب ، وبذلك تثبت اركان العرش وتستمر السلالة الحاكمة كما حدث عندما أرجأت بولكيريا أخت ثيودوس الثانى منح ايودوكيا لقب أوغسطا حتى أثبتت أنها غير عقيم وأنجبت بنتا تزوجت تلك البنت بعـد خمسة عشر عاما من امبراطور الغـــرب (جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ج ٢ ، ص ٢٥٠) ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

على رأسه أو أن يجلس على العرش الامبراطورى ، وهذا هو ما فعله ميخائيل الثانى والد الامبراطور ثيوفيل (٨٢٩ - ٨٤٢ م) ، فعندما توفيت زوجته الأولى ثكلا Thekla اتخذ زوجة ثانية من أحد الأديرة وترك العرش والتاج جانبا . ولم تلبث تلك الزوجة الثانية بعد وفاة ميخائيل ٨٢٩ م أن حلقت رأسها وعادت للدير مرة أخرى وقد يتناقض ذلك مع ما قيل من « أن الامبراطور مانويل خدع زوجته الامبراطورة فى ١١٦٦ م لأنها لم تنجب له وريثا وانه قتلها بالسم واتخذ زوجة ثانية وهذا يتنافى شرعيا مع أفعال الملوك » (٣٣) .

وأحيانا كان تضافر وفاة الزوجة مع عدم انجابها من أقوى العوامل على اتخاذ الامبراطور زوجة ثانية وهناك حالة فريدة من نوعها فى التاريخ البيزنطى تعددت فيها زيجات الامبراطور الى أربع زيجات وهى حالة الامبراطور ليو السادس (٨٨٦ - ٩١٢ م) .

فقد توفيت زوجته الأولى ثيوفانو Theophano فى ١٠ نوفمبر ٨٩٧ وكان قد تزوجها وفقا لرغبة والده باسل وعلى ذلك لم يكن يحبها وبعد وفاتها اعتبرت قديسة (٣٤) عندئذ تزوج ليو فى بداية ٨٩٨ من زويه Zoe عشيقته وابنه ستليانوس زوتزيس Stylianus Zautzes لكنها توفيت أيضا فى ٨٩٩ م دون أن تترك وريثا ذكرا (٣٥) .

وفى صيف ٩٠٠ م / ٢٨٧ هـ تزوج ليو السادس من ايودوكيا بيانا Eudocia Biana الفريجية (٣٦) مما أدى الى تفجر الصراع العنيف ضد ليو سواء من الكنيسة أو الدولة . فقد كان من المعروف منذ القرن الرابع الميلادى أن الرجل الذى يتزوج للمرة الثالثة رجل « متعدد الزوجات Polygamists ، اما من يتزوج أكثر من ثلاث مرات فهو « بهيمى أو وحشى وانه بعيدا كل البعد عن الجنس البشرى bestial and wholly alien to

33. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 290.
34. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 259, Cam. Med. Hist. V. IV, Part, I, p. 130.
35. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 259, Cam. Med. Hist., Ibid., p. 130.
36. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 259.

http://www.al-maktabeh.com

the human » (٣٧) . هذا بالاضافة الى أن ليو السادس نفسه اكـــد تحريم الزواج الثالث واستنكر قرار الزواج الثانى (٣٨) « وذلك فى وقت لم يكن يفكر فيه أنه سيتجاوز هذا الحد أو حتى سيتعداه » (٣٩) .

لكن سرعان ما لاحق سوء الحظ العنيـــد ليو مرة أخرى فقد توفيت ايودوكيا بيانا فى ١٢ ابريل ٩٠١ م / ٢٨٨ هـ (٤٠) عندئذ وقع بصره على الجميـــلة زويه كاربو نويسيتا Zoe Carbonopsina (٤١) فارتبط بها دون زواج فى البداية . ويقال أن ليو لم تكن لديه نية الزواج للمرة الرابعة الا بعد أن أنجبت زويه قنسطنطين بورفيروجنيتيوس Constantine Porpherogenitus وذلك فى ٩٠٥ م (٤٢) / ٢٩٢ هـ عنـــدئذ كان من الضرورى تعميد الطفل واعتباره وريثا للعرش ، وبالفعل تم ذلك فى ٦ يناير ٩٠٦ م / ٢٩٣ هـ فى كنيسة سانت صوفى بواســـطة البطريرك نيقولاس ميستيكوس على شرط أن ينفصل ليو عن زويه (٤٣) .

لكن رغم ذلك لم تمر سوى ثلاثة أيام حتى تزوجها ليو ورفعها لمرتبة أوغسطا Augusta مما عرضه لعاصفة من المعارضة الشديدة (٤٤) .

ثم يدفعنا التساؤل السابق الى تساؤل آخر : هل كان للمرأة أن تتزوج أكثر من مرة هى الأخرى ؟

والاجابة هنا بنعم أيضا ودليلنا على ذلك ثلاثة أمثلة واضحة هى :

أولا : الامبراطورة زويه ابنة الامبراطور قنسطنطين الثامن السابقة الذكر والتى تزوجت من رومانوس الثالث Romanus III Argyrus

---

37. Romilly J.H. Jenkins : Studies on Byzantine History of the 9th and 10th Centuries, Part VII (Eight Letters of Arethas on the Fourth Marriage of Leo the wise, p. 338 عن (Basil Laourdas)
38. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 259.
39. Romilly F.H. Jenkins : Op. cit., Part VII, p. 339.
40. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 259, Romilly, J.H. Jenkins : Ibid., p. 336.
41. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 259.
42. Romilly. J.H. Jenkins : Op. cit., Part VII, p. 334.
43. Romilly. J.H. Jenkins : Ibid., p. 337, G. Ostrogorsky : op. cit., p. 260.
44. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 260.

مكتبة المهتدين الإسلامية

(١٠٢٨ - ١٠٣٤ م) وبعد مقتله تزوجت من ميخائيل الرابع Michael IV (١٠٣٤ - ١٠٤١ م) وبوفاته تزوجت قنسطنطين مونوماخوس Constantine IX Monomachus (١٠٤٢ - ١٠٥٥ م) (٤٥) ٠

ثانيا : الامبراطورة ايودوكيا زوجة الامبراطور قنسطنطين العاشر (Constantin X) ثم رومانوس ديوجين (Romain Diogène) .

فقد مر بنا كيف تعهدت لزوجها قنسطنطين العاشر قبل وفاته بتعهد مكتوب « بألا تتزوج مرة ثانية بعد وفاته وأنها ستعيش مخلصة لذكراه ٠٠٠ متفرغه لرعايه أبنائها ٠٠٠ » (٤٦) ٠

ولكن كيف تحللت ايودوكيا من تعهدها ؟ لقد مر بنا كيف ازدادت الأخطار الخارجية على الدولة البيزنطية آنذاك وساد القسطنطينية شعور بحاجة ملحة لامبراطور يكون قادرا على مواجهة الصعوبات ٠ هنا تأملت ايودوكيا تلك الحقيقة وخشيت أن الحاجة لذلك الامبراطور قد تؤدى الى قيام ثورة يفرض بعدها امبراطور ٠ فكان المخرج الشرعى والطبيعى لها من تلك الضائقة أن تتحد عن طريق الزواج بزوج ثان ترفعه معها على العرش ، وبذلك تضمن مصير أبنائها (٤٧) ٠

لذلك اختارت رومانوس ديوجين أحد زعماء كبادوكيا (٤٨) - والذى كان قد اتهم فى احدى المؤامرات فى عهد زوجها الأول وبرأته هى - فاستدعته من بلاده الأصلية كبادوكيا الى القسطنطينية فى ٢٥ ديسمبر ١٠٦٧ م ولقبته Magistros et Stratelate تمهيدا للزواج منه ٠ وقد قوبلت ايودوكيا بمعارضة من البطريرك زيفيلينوس ومن بعض رجال السناتو عندما عرضت عليهم فكرة زواجها من رومانوس (٤٩) ٠

---

45. G. Ostrogorsky : Ibid., pp. 323-324, Cam. Med. Hist., V. IV, Part I, p. 196, The Encyclopaedia Americana (1974) V. 7, p. 650, V. 19, pp. 11, 12, V. 23, p. 637, V. 29, p. 788, L. Halphen : Op. cit., p. 385.

ابن الاثير : الكامل ، ج ٩ (دار صادر بيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٨ ، القلقشندى : مآثر الأناقة ٠٠ ، ج ٥ ، ص ٤٠٠ - ٤٠١ ٠

(٤٦) انظر ملحق رقم (١) ٠

47. N. Oikonomidès : Op. cit., pp. 124-125.

(٤٨) د٠ السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٧٢٦ ٠

49. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 125.

http://www.al-maktabeh.com

وهـــذا يعنى أن ايودوكيا هى التى اختـــارت رومانوس ولـــم تكتف « بالموافقـــة عليه » كما ذكر استروجورســـــكى (٥٠) · ولـــكن كيف وافق البطريرك وباقى رجال الدين والسناتو على ذلك الزواج رغم تعهدهم معها بعدم اتمام أى زيجة ثانية لها ؟

ثمة رأى يذكر انها أرسلت أحد خصيانها وكان داهية الى البطريرك محملا برسالة منها ملخصها أنها تنوى الزواج من ابن أخيه المسمى برداس Bardas (٥١) · وربما كان دافعها من وراء ذلك ما ذكر من أن برداس هذا كان قد فشل فى اقناعها بالزواج منه (٥٢) ·

وبعد النجاح فى اغراء البطريرك استدعى اليه كل اعضاء السناتو الواحد تلو الآخر ـ وهم الذين كانوا محملين أمانة المحافظـــة على اليمين واقنعهم بسحب توقيعاتهم لذلك قرر الجميع انه يجب تحرير الامبراطورة من يمينها الذى أخذته على نفسها « بسبب غيرة زوجها ·· وأن المصالح الهامة قد تفسد بسبب بعض الوعود الخاصة » وبمعنى آخر أصدر الجميع قرارهم بأن « المصلحة العامة من الممكن أن تلغى الاتفاقات الخاصة » (٥٣) ·

وهكذا تزوجت ايودوكيا من رومانوس ديوجين فى اليوم الأول من يناير ١٠٦٨ م واعترف به امبراطورا فى نفس اليوم (٥٤) ·

ثالثا : الامبراطورة ثيوفانو Theophano زوجة الامبراطور رومانوس الثانى ثم نقفور فوقاس ثم حنا تزيمسكيس ·

كانت على قدر كبير من الجمال وكانت ذات طموح ودهاء ، كما عرف عنها الانحلال الخلقى · وقد لفت جمالها نظر الامبراطور رومانوس الثانى الذى عرف عنه ضعف الشخصية فاتخذ منها زوجة له (٥٥) ·

---

50. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 344.
51. N. Oikonomidès : Op. cit., p. 126.
52. R. Guilland : Titres et fonctions de l'Empire Byzantine, Part XIV, p. 10.
53. N. Oikonomidès : Op. cit., pp. 125-126.
54. N. Oikonomidès : Ibid., p. 125, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 344.

(٥٥) عمر الكمالى توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما المصدر العربي فيحكى لنا قصة زواج ثيوفانو الأول بقوله : « كان من عادة ملوك الروم أن يركبوا أيام الأعياد الى البيعة المخصوصة بذلك العيد ، فاذا اجتاز الملك بالأسواق شاهده الناس وبأيديهم المداخن يبخرون فيها فركب والد بسيل وقنسطنطين فى بعض الأعياد وكان لبعض أكابر الروم بنت جميلة فخرجت تشاهد الملك فلما مر بها استحسنها ، فأمر من يسأل عنها فلما عرفها خطبها وتزوجها وأحبها وولدت منه بسيل وقنسطنطين » (٥٦)

وبعد وفاة رومانوس اختارها نقفور زوجة له (٥٧) · وقد قيل أنها لم تكن ترغب فى الزواج منه (٥٨) · وبزواج نقفور من ثيوفانو أصبح امبراطورا ٩٦٣ - ٩٦٩ م (٥٩) ·

والواقع أن زواجها من نقفور كان أمرا أدهش معاصريه نظرا لما عرف عنه من التقوى والزهد وما كانوا يعرفونه عنها من السمعة السيئة ، وقد سجل شعور المعاصرين بخصوص ذلك الزواج فى النقوش التى كتبت على قبر نقفور والتى تقول بأن الامبراطور تمكن من قهر كل شيء ما عدا المرأة (٦٠) ·

ولكنه كان زواجا غير مستقرا انتهى بمقتل نقفور بتآمر ثيوفانو مع

---

(٥٦) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ (دار صادر بيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٧ ·

واذا كان ابن الأثير هنا قد جعل ثيوفانو ابنه احد أكابر الروم فالراجح أنه أخطأ وخلط بينها وبين أخرى بنفس الاسم لأن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص٢٤١ ود · عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ يذكران أنها من أصل وضيع ونحن نميل الى الرأى الأخير لأنهما نقلا عن مصادر بيزنطية أصيلة ·

(٥٧) د · عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ ·

58. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173.

وربما يرجع سبب رفضها للزواج منه الى أنه هو الذى قتل رومانوس على قول ابو الفدا (المختصر ، ج ٢ ، ص ١١١) ولو أننا لا نجد ما يؤيد رأيه هذا · بل الراجح أنها كانت لا تستحسن منظره القبيح وطبعه الخشن وميله للتقشف (عمر كمال توفيق ، ص ٢٧ · عن

Schlumberger : Nicephore Phocas)

59. Larousse Encyclopaedia of Ancient and Medieval History, p. 290.

(٦٠) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ · عن
(Krumbacher, K. : Geschuichte des byzantinuschen).

http://www.al-maktabeh.com

عشيقها تزيمسكيس الذى تزوجها واعتلى العرش بعـــد نقفور (٦١) وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى الجزء الخاص بالمرأة والمؤامرات ٠

وفى النهاية نتطرق الى موضوع المرأة البيزنطية والمؤامرات والذى سنتتبع بعض أمثلة منه تتبعا تاريخيا مسلسلا بقدر ما أسعفتنا المصـــادر والمراجع المختلفة كى تتضح لنا معالمه ٠ فالمؤامرات العديدة التى كانت تحاك خيوطها فتبعث الحيوية والنشاط فى حياة الأرستقراطية البيزنطية ٠ كانت المرأة تلعب فيها جميعا وبلا استثناء دورا (٦٢) بارزا وعلى سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ نبدأ ذلك الموضوع بعهد الامبراطور قنسطنطين العظيم وما لعبته المرأة فيه فى مجال المؤامرات والدسائس فقد قامت فاوستا Fausta زوجة قنسطنطين الثانية بدور بارز فى التآمر والتخلص من كرسبوس Crispus ابن قنسطنطين من زوجته الأولى منرفينا Minervina (٦٣) وكان كرسبوس قد اشتهر بانتصـــاراته الباهرة أمام الغال على نهر الراين حيث كان قائد الأسطول من ٣٢٠ م ثم قنصلا من ٣٢٤ م (٦٤) ٠

كانت الخلافات على أشـــدها بين فاوستا والامبراطورة الأم هيلين بسبب محبة الأخيرة لكرسبوس ٠

ولما كانت ٣٢٦ م حل موعد الاحتفال العظيم بذكرى العام العشرين من حكم قنسطنطين ومن أجل هذا نقل الامبراطور بلاطه من نيقوميدية الى رومه حيث اعدت أروع الترتيبات لاستقباله (٦٥) وهنا بدأ بعض أعـــداء

---

61. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173, G. Ostrogorsky Op. cit., p. 293, Larousse Encyclopaedia, p. 290),

ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ (دار صادر بيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٧ ـ ٤٩٨ ، د ٠ عمركمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٣١ ٠

(٦٢) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ص ٢٣٨

(٦٣) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ ، ج ١ ، ص ٥٣٧ : وهى التى تعلق بها أيام شبابه فى علاقة مشروعه ٠

64. André Piganiol : L'Empereur Constantin, p. 168.

(٦٥) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ ، ج ١ ، ص ٥٤١ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

كرسبوس يكيدون له بمســـــاعدة فاوستا التى دفعت لهم المال الـــــلازم لتحريضهم (٦٦) ٠

ولما كان الامبراطور قنسطنطين بقانونه الذى أصـــــدره عن الزنا فى ٣١١ م قد « اعتبر خليفة قاسيا متوحشا للامبراطور أغسطس Auguste »،(٦٧) لذلك اتهمت فاوستا كرسبوس « بأنه هم بها » (٦٨) وعليه فقد أمر قنسطنطين بالقبض على ابنه واعدامه فى بولا Pola (٦٩) ٠

ويقال أن قنسطنطين نفذ قراره فى ابنه « رغم توسلات أخته للابقاء على حياة ابن لم يكن له من جريرة الا مرتبة (قيصر) والذى لم يقدر لها البقاء طويلا بعد فقده » (٧٠) ٠

وقد عقب جيبون على ما آل اليه مصير كرسبوس بقوله : ان براءة كرسبوس كانت امرا يسلم به القاصى والدانى الى درجة أن البيزنطيين ــ الذين يقدسون ذكرى مؤسسهم فى العصور التالية ، « انزلقوا الى حد التهوين من أمر الجريمة التى نهت عن تدبيرها أبسط المشاعر العادية فى الطبيعة الانسانية الا وهى جريمة قتل الوالد لابنه ٠ ويزعمون أنه حالما اكتشف الوالد المنكوب بطلان الاتهام الذى ضلل سذاجته على هذا الشكل الرهيب نشر على العالم ندمه وتأنيب ضميره وأنه لبس الحداد لمدة أربعين يوما ، انقطع فيها عن الحمام وعن سائر ملاذ الحياة العادية وأنه أراد أن يشهد الأجيال المقبلة على ذلك فأقام لكرسبوس تمثالا من الذهب نقش عليه العبـــــارة التذكارية « الى ولدى الذى أعدمته بغير حق » (٧١) ٠

---

66. André Piganiol : Ibid., pp. 168-169.

67. André Piganiol : Ibid., p. 170.

(٦٨) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٤٢ ٠

69. André Piganiol : Op. cit., p. 170.

هنا يفصل جيبون : اضمحلال الامبراطورية ٠٠٠ ج ١ ، ص ٥٤١ الكلام عن تلك الحادثة بقوله « اختفت لبرهة وجيزة تحت أستار المراسيم والرياء ابشع خطط الانتقام والاغتيال وقبض فى غمرة الاحتفال على كرسبوس المنكود بأمر من الامبراطور الذى تخلى عن حنان الأب دون أن يتحلى بعدالة القاضى ، وكانت المحاكمة قصيرة سرية ، ولما رؤى أنه من الأليق اخفاء مصير الأمير الشاب عن اعين الشعب الرومانى فقد أرسل تحت حراسة قوية الى بولا فى استريا حيث اعدم فور وصوله بيد الجلاد أو بطريقة أخف أى بالسم ٠

(٧٠) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ج ١ ، ص ٥٤١ ٠

http://www.al-maktabeh.com

وسرعان مادارت الدائرة بعد ذلك على فاوستا نفسها حيث اتهمتها هيلين أم قنسطنطين انتقاما لما حل بحفيدها كرسبوس الحبيب الى نفسها(٧٢) « فلم يمض وقت طويل حتى زعم أنه اكتشف ان حقا أو باطلا أن هناك علاقة آثمة بين فاوستا وبين أحد العبيد فى الاسطبلات الامبراطورية » وعلى ذلك صدر الحكم ونفذت العقوبة فور توجيه الاتهام « وماتت الزانية خنقا بفعل البخار فى حمام زيدت فيه الحرارة لهذا الغرض الى درجة غير عادية » (٧٣)

وثمة رأى يشير الى أن فاوستا مجدت فى عهد خلفاء قنسطنطين « وتغنت بعض الخطب بفضائل الامبراطورة فاوستا وبجمالها وحظها بوصفها ابنه وزوجه وأختا وأما لكثير من الأمراء » (٧٤) ٠

والواقع أنه مما قد يرجح موت كلا من كرسبوس وفاوستا ظلما أن قنسطنطين أصبح « بعد موتهما الثنائى مملوءا بالخوف القاتل » لذا استشار الفيلسوف Sopairos فى كيفية التهوين عن نفسه فأخبره أنه لا يوجد شيئا يخفف آثار مثل تلك الجرائم وقيل انه منذ ذلك الوقت ـ ٣٢٦ م ـ بدأ تحول قنسطنطين الحقيقى للمسيحية (٧٥) ٠

بل ان الدافع الرئيسى لحج هيلين أم قنسطنطين الى الأراضى المقدسة فى نهاية ٣٢٦ م أيضا كان التكفير عن أخطائها والتشفع لنفسها ولابنها (٧٦) ٠

٢ ـ يتلو ذلك موقف بولكيريا أخت الامبراطور ثيودوسيوس الثانى من زوجته أيودوكيا التى اختارتها له بنفسها أو على الأقل أغرته بالزواج

---

72. André Piganiol : Op. cit., p. 170.

ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٥٤٢

(٧٣) جيبون : المرجع السابق ، ص ٥٤٢ ـ ٥٤٣ ٠

جيبون : المرجع السابق ج ١ ، ص ٥٤٢

(٧٤) جيبون : المرجع السابق ، ص ٥٤٣ ٠

75. André Piganiol : Op. cit., p. 171.

76. André Piganiol : Ibid., p. 173.

مكتبة المهتدين الإسلامية

منها بوسائلها الخاصة · ولكن عندما ارتفعت مكانه ايودوكيا لدى ثيودوسيوس « أغرتها العظمة التى تشبعت بها على التطلع فى طموح الى حكم الامبراطورية الشرقية دون أن تهتم كثيرا بفضل بولكيريا عليها والتزاماتها نحوها فساد القصر الملكى نزاع بين المرأتين ، غير أن سمو مكانة شقيقة ثيودوسيوس كفل لها الغلبة فى النهاية وجاء اعدام بولينوس رئيس الديوان والعار الذى لحق بكيروس Cyrus حاكم الشرق البريتورى دليلا أقنع الناس بأن حظوة ايودوكيا لا تكفى لحماية أخلص اصدقائها كما أن الجمال الخارق الذى اتصف به بولينوس شجع على انتشار اشاعة خفية بأن الذنب الذى اقترفه كان ذنب عاشق وصل الى قلب ايودوكيا (٧٧) ·

ولم يتوقف تآمر بولكيريا ضد ايودوكيا عند هذا الحد بل ان ايودوكيا عندما شعرت أنها قد خسرت محبة زوجها ثيودوسيوس التمست أن يأذن لها بالانسحاب الى (أورشليم) كى تعيش فى عزلة بعيدة فأجيبت الى طلبها عندئذ تعقبتها روح الانتقام الى تملكت بولكيريا فى هذا الانسحاب الأخير · فقد كلف ساترينتوس رئيس الحاشية أن يقتل اثنين من رجال الدين كانا أقرب الاتباع لها ، وعلى الفور انتقمت لهما ايودوكيا بقتل رئيس الحاشية (٧٨) · ٦٤١ م) ·

٣ ـ أما مارتينا Martina

الزوجة الثانية للامبراطور هرقل (٦١٠ ـ ٦٤١ م) (٧٩) ولتفهم حقيقة موقفها يجدر بنا أن نعود قليلا الى بداية ارتباطها بهرقل ، فقد تزوجها حوالى سنة ٦١٣ م وكانت بنت أخته أو أخيه وعلى ذلك قوبل ذلك الزواج بسخط كبير ونظر اليه على أنه « سفاح قربى » فقد كان ذلك الزواج ضد القانون العام

---

(٧٧) ادوارد جيبون : المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ٢٥١ ـ ٢٥٢ ·

(٧٨) نفس المرجع ص ٢٥٢ ·

79. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 112.

كانت زوجته الأولى هى Fabia-Eudocia التى ولدت له بنتا وولدا هو قنسطنطين الثالث وكانت تعانى من مرض الصرع وماتت بعد شهور قليلة من ميلاد ابنها وذلك فى ٦١٢ م ·

http://www.al-maktabeh.com

وقانون الدولة . وعلى ذلك كرهت مارتينا من أهالى القسطنطينية (٨٠) .

ورغم ذلك غمرها هرقل بحبه وسلم « وهو الامبراطور المعتد برأيه بمطالب زوجته مارتينا الجميلة الطموح » (٨١) .

فقد شـــاركته السراء والضراء وصـــحبته فى أصعب حمـــلاته العسكرية (٨٢) .

والواقع أن السبب المباشر لتفجر الصراع فى العائلة الامبراطورية ، وبينها وبين الشعب أيضا هو موقف مارتينا المتشدد ورغبتها فى تخطى ابن هرقل من ايودوكيا ونقل حق وراثة العرش لأبنائها « وقد أدى هذا الصراع الى تنغيص سنوات شيخوخة الامبراطور وتغطيتها بالسواد » . عندئذ حاول هرقل أن يعطى نسل مارتينا نصيبا فى الحكم دون أن ينزع من ابنه الأول قنسطنطين حقوقه الامبراطورية (٨٣) .

لذا ترك وصية تنص على أن يتولى شئون الدولة من بعده ابنه الأكبـر قنسطنطين (٢٨ سنة) ومشاركة هيرقلوناس Heraclonas بن مارتينا (١٥ سنة) له بالتساوى فى الحقوق . بالاضافة الى اعلان هرقل على مسئوليته ـ ان مارتينا تعتبر بالنسبة للحاكمين « أما وامبراطورة » وبذلك تـــكون شريكة لهما فى الحكم (٨٤) .

هنا تصدى الشعب للجزء الأخير من الوصية ورفضوا اشراك مارتينا فى الحكومة ، متذرعين فى ذلك بانه لا يمكن أن تمثـــل امراة الامبراطورية الرومانية أو أن يكون لها حق سماع السفراء الأجانب (٨٥) . بل ان البلاط

---

80. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 112.

وربما دفع ذلك الأهالى الى تفسير وفاة أربعة من ابنائهما فى سن الطفولة واصابة الاثنان الكبار بعجز جسمانى الى انتقام العناية الالهية .

(٨١) د . العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ص ٥٠ .

82. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 112.

83. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 112.

84. G. Ostrogorsky : Ibid., p. 112.

د . العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٥٠ .

85. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 112-113.

مكتبة المهتدين الإسلامية

البيزنطى كان فى الأيام الأخيرة من عهد هـــرقل مسرحا للدس والمؤامرات تقودها الامبراطورة مارتينا بغية تهيئة الجو لانفرادها ومعها ابنها بالحكم فانقسم البيزنطيون شيعا كل يؤيد حزبا من الأحزاب كما عزل البعض منهـــم أو أطلق سراح الآخرين حسبما تهوى السلطات العليا فى القسطنطينية (٨٦) ٠

وبعد وفاة الامبراطور هرقل أصبح غالبية الشعب مؤيدا لقنسطنطين الثالث ، لكنه كان يعانى من مرض خطير - هو السل - فمات فى ٢٥ مايو ٦٤١ م بعد أن حكم حوالى ثلاثة أشهر ، هنا أشيع أن قسطنطين مات مسموما، لذلك نادى مؤيديه بتولية ابنه الصغير مكانه ، وكان شعور الكرة قد زاد ضد مارتينا وابنها هيرقلونس وخاصـــة بعد دفعها البطـــريرك المونوثيليتى Pyrrhus للعرش البطرقى ، وهكذا « تراكمت السحب الكثيفة فـوق رأس كل من مارتينا وهيرقلونس » (٨٧) ٠

ورغم قيام (Valentine Arsacidus) أحد أتباع قنسطنطين الثالث بتحريض القوات فى آسيا الصغرى ضد مارتينا وهيرقلونس ، مما جعل الأخير يرضخ للضغط ويتوج ابن قنسطنطين الثالث كامبراطور مساعد ، الا أن ذلك لم يمنع نهايته فى نهاية سبتمبر ٦٤١ م ٠ وتلى ذلك أمر الســـناتو بعزل مارتينا وهيرقلونس ، بل ان الأمر لم يقتصر على ذلك فقط بل تضمن قطع لســـان مارتينا وأنف هيرقلونس ثم عوقبا بالنفى الى رودس (٨٨) ٠

٤ - ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان :

لم تحرم ثيودورا فى هذا الجزء الخاص بالمؤامرات من تقرير سيء عن حبها للخداع والقسوة والوحشية والحقد والكراهية التى لا تهدأ والمحـاباة والتحيـــز للبعض « مما جعـــل القصر الامبراطورى مرتعا خصـــبا للمؤامرات » (٨٩) ٠

---

(٨٦) د ٠ العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٥٠ عن Bury)

87. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 113

88. G. Ostrogosky : Ibid., pp. 113-114.

وهذه أول بادرة للعادة الشرقية للتشويه والتمثيل بقطع اللسان أو الأنف فى فى الدولة البيزنطية ٠

89. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 187, Cam. Med. Hist. V. II, p. 26. عن (Diehl)

http://www.al-maktabeh.com

لقد استخدمت ثيودورا منتهى القسوة والشراسة تجاه من لم يرضخ لرغباتها وينفذ مظاليها مثلما حدث بالنسبة للقائدين العظيمين بلزاريوس Bélisaire وبوتزيس Boutzès (٩٠) .

بل انها جعلت بلزاريوس يكفر بمرارة عن أخطائه النادرة بهيمنتها على زوجته Anadonina وبذلك جعلته خادمها المطيع المتواضع (٩١) كما حطمت بالمؤمرات المخزية وبدون رحمة آمال حنا الكبادوكي ، أحد أعضاء الحرس الامبراطوري الأقوياء لمجرد أنه تجرأ لحظة وفكر في انتزاع سلطانها منها ٥٤١ م (٩٢) .

ويذكر صاحب التاريخ السري (بروكوبيوس أنها هي التي أشارت بقتل Amalasonthé ابنه ثيودريك العظيم لمجرد أن تلك الأميرة كانت ذكية مشهورة وجميلة ، « لمجرد أنها شكت في أن تكون تلك الأميرة منافسة خطيرة لها تستطيع انتزاع قلب زوجها منها » ولو أنه لا يوجد ما يعضد مثل هذا الرأي في أي مصدر (٩٣) .

د - الامبراطورة ايرين :

لقد فتحت الامبراطورة ايرين - باتباعها سياسة المؤامرات والقتل - من جديد الباب لقيام عهد ثورات داخلية ، تلك الثورات التي تمكن الاباطرة الايسوريون من القضاء عليها واخمادها لمدة قرن تقريبا (٩٤) .

ولن نكرر هنا مرة أخرى أساليبها المكيافيلية في تدبير مؤامراتها والتي

---

90. C. Diehl : Theodora, p. 148.

وربما قصدهما جيبون عندما قال أنه ربما أثار الخوف والطمع معا غضب ثيودورا على قائدين اعلنا في نزق وتهور في أثناء مرض الامبراطور أنهما غير مستعدين لأن يبقيا عن العاصمة بديلا جيبون : اضمحلال الامبراطورية .. جـ ٢ ، ص ٤٠٦) .

91. Cam. Med. Hist., V. II, p. 26 عن Diehl

92. Cam Med. Hist., V. II, p. 26 عن Diehl

93. C. Diehl : Theodora, p. 154.

(٩٤) عمر كمال توفيق : تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٢٧ .

مكتبة المهتدين الإسلامية

أوضحناها فى معرض الحديث عن الحياة السياسية والحكم للتدليل على مدى تفوقها فى فن التآمر والمكر والخداع (٩٥) . ويكفى فقط لاثبات ذلك ان نشير الى سملها عينى ولدها قنسطنطين دون أن تمنعها أية مشاعر أمومية من الاقدام على ذلك .

٦ - زويه ابنة الامبراطور قنسطنطين الثامن :

تعرفنا عن قرب على شخصية الامبراطورة زويه فى الفصل الأول ولكننا نود هنا أن نبرز دورها فى مجال المؤامرات والدسائس . فنجد أنها شاركت فى هذا المجال عندما تخلصت من زوجها الأول رومانوس الثالث أرجيروس بمساعدة عشيقها ميخائيل الرابع الذى تزوجته بعد ذلك . ولقد أشارت بعض المصادر العربية الى ذلك بقولها أن زويه وميخائيل « عملا الحيلة على أرمانوس فمرض » ثم « أدخلاه الحمام كارها وخنقاه » (٩٦) أى أنهما ربما سماه ثم خنقاه فى الحمام . بينما اشار مصدر عربى آخر الى أن زويه « دسته عليه فقتله » (٩٧) .

أما المصادر والمراجع الأجنبية فبعضها اكتفت باشارة عامة الى تعاون زويه مع ميخائيل فى قتل رومانوس الثالث (٩٨) . والبعض الآخر ذكر أنه ربما مات مسموما » بواسطة زويه وميخائيل ، وذلك عندما غفلت عينا أخت رومانوس عنه بعض الوقت ، وهى التى حذرته كثيرا وكان لها دورا بارزا فى نجاح أخيها (٩٩) بينما ذكر البعض أنه مات فى الحمام فى ١١ أبريل ١٠٣٤ م (١٠٠) وذلك « بدفعه بالقوة تحت الماء » (١٠١) وقد اكتفت زويه بعد

---

(٩٥) للتوسع انظر كتاب المؤلفة : الامبراطوره ايرين ، ص ٤١ : ٤٦ ، ٦٥ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ (صادر بيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٩ .

(٩٧) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٤٠٠ والمقصود هنا ميخائيل هو الذى اندس فقتل رومانوس .

98. The Encyclopaedia Americana (1974), V. 19, p. 12, V. 23. p. 657, V. 29, p. 788.

99. Cam. Med. Hist., V. IV, Part, I, p. 196 عن (Pesellus)

100. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 323.

101. Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 196.

http://www.al-maktabeh.com

أن شـــاع خبروفاته بأن دخلت الى الحجرة التى يرقد فيها و « ألقت عليه نظرة واحدة ثم تمالكت نفسها » (١٠٢) ٠

٧ ـ الامبراطورة ثيوفانو :

كانت ثيوفانو « أمرأة خطيرة » (١٠٣) بكل ما تحمله تلك الكلمة من معنى كان زواجها بالامبراطور نقفور فوقاس زواجا غير موفقا ، لذلك سعت جاهدة للتخلص منه وذلك لأسباب عدة منها :

أنه تزوجها دون رغبة منها (١٠٤) «فكره كل واحد منهما صاحبه»(١٠٥) كذلك لم تجـد ثيـوفانو مع ما عـرف عنهـا من فجـور ونزعة حسية قـوية ما يشـبع رغبتها فى شـخص الامبراطور نقفور بما له من قبح خلقة وخشونة طبع وميل للتقشف وكثرة التغيب للاشتراك فى حملاته العسكرية وان رفض الامبراطور للنوم فى الفراش الامبراطورى وتفضـيله على ذلك افتراش جلد نمر على أرض الحجرة الملحقة بمخدعه ، لابد وأن كان مصدر استياء لهذه المرأة (١٠٦) ٠ وهكذا كان من الطبيعى أن تبحث تيوفانو عن عشيق لها يحقق لها نزواتها وقد وجدته فى شخص تزيمسكس الذى كان يختلف عن نقفور شكلا وطابعا ، فان تزيمسكس بالرغم من قصر قامته الملحـوظ كان يتمتع بوسامة وشخصية جذابة وحيوية متدفقة (١٠٧) ٠

---

102. Cam. Med. Hist. : Ibid., p. 196.

(١٠٣) د ٠ عمر كما توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ ٠

104. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173.

(١٠٥) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ (دار صادر وبيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٧ ٠

(١٠٦) د ٠ عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٧ ٠ وهو يذكر هنا أن نقفور كان متشككا فيمن حوله فى الفترة الأخيرة من حياته وأنه أراد الا يفاجئه من يتآمرون على حياته وهو فى فراشه فكان يرفض النوم فيه ٠ عن Schlumberger : Nicephore Phocas

(١٠٧) عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٨ ٠ ويزودنا أستاذنا الكبير هنا بفقرة مستفيضه عن أصل تزيمسكس ونشأته : فيقول أنه جاء من بيت من اكبر البيوت الأرستقراطية فى الامبراطورية البيزنطية فهو ينتمى من جهه أبيه الى أسرة كوركواز ومن جهة أمه الى أسرة فوقاس التى جاء منها سـلفه الامبراطور نقفور ٠ هذا ويرجع تزيمسكس مثل كثير من الأباطرة والقواد العسكريين الذين ظهروا فى التاريخ البيزنطى ، الى أصل أرمينى ٠ وقد ولد حوالى سنة ٩٢٤ م فى هيبرا بوليس =

مكتبة المهتدين الإسلامية

فاذا أضيف الى ذلك رغبة نقفور فى أن يخصى ولديها باسل وقنسطنطين ليستمر الحكم فى نسله هو بالاضافة الى انه « لم يكن مخلصا بها كزوج » على حد تعبير ابن العبرى (١٠٨) لاتضحت لنا أسباب كره ثيوفانو لنقفور · ومن ناحية أخرى كان حب ثيوفانو لتزيمسكس وتعلقها به من أهم الأسباب المشجعة لها على تدبير مؤامرة معه للتخلص من زوجها (١٠٩) ·

والواقع أن رغبة تزيمسكس فى الانتقام من نقفور تضافرت مع رغبة ثيوفانو (١١٠) ·

Hiérapolis وهى بلدة أرمينية صغيرة تقع فى أقليم خوزان تلك التى نسبت فيما بعد الى هذا الامبراطور وأصبحت تعرف باسم Tchmechkatsak أى مسقط رأس تزيمسكس · وعرف فى غالبية المصادر العربية باسم ابن الشمشيق ، أما البيزنطيون فقد حرفوا اسم الامبراطور الى تزيمسكس Tzimiscés

108. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173. عن Mar Michael عن Ignatius اللطى

هنا يوضح لنا د · عمر كمال مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٨ ـ ٢٩ عن يحى بن سعيد الأنطاكى الذى عاش فى انطاكية التى كانت خاضعة للحكم البيزنطى والتى كان من المتيسرين له فيها الاطلاع على اخبار البيزنطيين ان نقفور عقد العزم على أن يجعل أخيه نائبا عنه فى القسطنطينية ، ويجعله وصيا على الأميرين أثناء تغيبه فى غزواته · ولما كان ليو فوقاس يكن عداوة كبيرة لتزيمسكس فقد اعترضت ثيوفانو على تعيينه وأظهرت تخوفها لنقفور بقولها « انى أتخوف عليك الحوادث ولا أطمئن الى أخيك على ولدى ولا آمن به لأنه اذا رأى نفسه منفردا بتدبير الأمر فى البلاط أخاف أن يتغلب على الأمر دونهما ولا سيما وله أولاد » عندئذ غضب نقفور ورد عليها بقوله : « انك الآن تضطرينى الى أن اخصى الصبيين وأجعل الملك لأخى » ·

(١٠٩) د · عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٨ ·

(١١٠) جمعت بين نقفور وتزيمسكس الزمالة فى قيادة الجيوش البيزنطية والمعروف أن تزيمسكس هو الذى الح على نقفور لكى يتولى عرش الامبراطورية بعد رومانوس الثانى ٩٦٣ م وبعد أن اعتلى نقفور العرش البيزنطى سلم لتزيمسكس المنصب الذى كان يشغله وهو « دمستق القوات الاسكلارية فى الاناضول كما منحه لقب ماجستر ، وكان من أعلى الألقاب التى تمنح للأعيان فى بيزنطة · وقد ترتب على ذلك أنه صار عليه أن يتحمل مسئولية قيادة الجيوش البيزنطية فى الجبهة الشرقية وأحرز تزيمسكس أثناء ذلك عدة انتصارات باهرة أعلت من شأنه وزادت من محبته بين الجنود وشهرته بين الشعب · وفى ٩٦٩ م تغير قلب نقفور عليه بسبب الانتصارات العسكرية التى أحرزها تزيمسكس وشهرته التى كادت تضارع شهرة الامبراطور · كذلك أضمر شقيق =

http://www.al-maktabeh.com

وتشير المصادر البيزنطية والعربية الى أن ثيوفانو هى التى اتخذت عنصر المبادأة فى رسم وتنفيذ المؤامرة التى انتهت باغتيال نقفور واعتلاء تزيمسكس العرش · فقد اعتمدت على جمالها ودلالها كى تجعل نقفور يرضى مرة أخرى عن تزيمسكس وأخذت تشير الى رابطة الدم بينهما والى صداقتهما وزمالتهما السابقة · عندئذ استجاب لها نقفور واستدعى تزيمسكس الى القسطنطينية، فتحايلت ثيوفانو واتصلت به سرا وعرضت عليه فكرة التخلص من زوجها فاتفقا على تفاصيل المؤامرة وعلى الزواج وأن يصير تزيمسكس امبراطورا (١١١) ·

وقد تمكن تزيمسكس من الحصول على عدد من الشركاء ليعاونوه فى تنفيذ المؤامرة · وكان هؤلاء من الساخطين على نقفور وكان من أبرزهم القائد ميخائيل بورتزيس Michael Burtzes المعروف فى المصادر العربية باسم ميخائيل البرجى ، الذى لعب دورا هاما فى الاستيلاء على انطاكيا وكان الامبراطور قد تنكر له أيضا ولم يحسن معاملته ، وكان من شركاء المؤامرة كذلك ليوبيدياسوس Pediasimos وليو بلنطس Balantes واسحق بن بهرام الذى كان قد اشترك فى فتح انطاكية (١١٢) ·

هنا يفصل لنا ابن العديم كيفية تنفيذ المؤامرة : « فقد أدخلت ثيوفانو تزيمسكس ورفاقه الى كنيسة القصر - متنكرين فى زى النساء فى ليلة عيد الميلاد وأخبرت نقفور أنها دعت بعض قريباتها لقضاء الليلة معها فى الكنيسة

=

الامبراطور - الذى كان يحمل لقب Curoplates ويشغل مكانة رفيعة فى حكومة نقفور - كراهية شديدة لتزيمسكس ، وبذل كل جهد لافساد العلاقة بين تزيمسكس والامبراطور · وفى نفس ٩٦٩ م جرد نقفور قائده تزيمسكس من رتبته العسكرية وطرده من البلاط الامبراطورى واصدر أمره بأن يعيش منفيا فى خلقدونية فى ممتلكاته فى آسيا الصغرى · وقد أدى هذا الى استياء تزيمسكس وغضبه على الامبراطور واعتباره ناكرا للجميل · وأخذ يفكر فى الانتقام لنفسه (عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ص ٢٥ - ٢٦) ·

(١١١) د · عمر كمال : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٢٩ - ٣٠ عن يحى بن سعيد الأنطاكى ولو أن ابن الأثير يشير الى أن ثيوفانو هى التى استدعت الشمشقيق سرا فقصد القسطنطينية متخفيا فأدخلته الى دار الملك واتفقا (ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ (دار صادر وبيروت ١٩٦٦ م ص ٤٩٧) ·

(١١٢) د · عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ٣٠ عن يحى بن

مكتبة المتقين الإسلامية

للتمتع بالحديث معهن . وعندما استغرق نقفور فى النوم أيقظت عليه من كانوا معها فقتلوه على سريره كما قتلوا معه أكثر من سبعين رجلا ممن يقومون بحراسة بوابة القصر » (١١٣) .

تم ذلك بسرعة فى ليلة ١٠ - ١١ ديسمبر ٩٦٩ م عندئذ أمر تزيمسكس بوضع رأس نقفور فى النافذة ليشهدها الناس ويجعلهم أمام الأمر الواقع(١١٤) وأتمت ثيوفانو استتباب الأمور لعشيقها تزيمسكس بأن أحضرت البطـــارقة متفرقين وأعطتهم الأموال ودعتهم الى تمليك الشمسقيق ففعلوا » ولم يصبح اليوم التالى الا وقد فرغت من مهمتها فى هدوء ودون معارضة (١١٥) .

ولكن بالرغم من ذلك فان ثيوفانو لم تسترح بعد أن خلى لها الجو مع عشيقها تزيمسكس « ذلك لأنها لم تكن تنسجم مع أى رجل على الاطلاق » (١١٦)

والواقع أن وضع تزيمسكس كان غاية فى الحرج بعد تلك الجريمة ذلك أنه عندما أراد التوجه الى كنيسة أيا صوفيا لكى يتم تتويجه رسميا « ويحصل على مباركة الكنيسة » قوبل بمعـــارضة شديدة من البطـــريرك بوليكتيس Polyeuctes ذلك أنه فرض عليه عدة شروط كى يتولى البطريرك نفســـه الاشراف على حفل دينى لتتويج الامبراطور . وكان من أهم تلك الشروط التى تهمنا فى استكمال الموضوع الذى نحن بصدده ، أنه طالب بطرد ثيوفانو من القصر « فلتطرد فورا من القصر المقدس الزوجة الزانية الآثمة التى دبرت ووجهت كل أمر والتى كانت بالتأكيد المحرك الأول للجريمة ! » (١١٧) .

وأمام هذا المركز الحرج الذى واجهه تزيمسكس فى باكورة عهده ورغبة منه فى توطيد أركان حكمه فضل هذا الامبراطور التسليم بجميـــع طلبـــات البطريرك ، فضحى بحبه وأمر بنفى ثيوفانو التى كان لها من العمر وقتـــذاك

113. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173.

(١١٤) د . عمر كمال : المرجع السابق ، ص ٣٠ - ٣١ .

(١١٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ (١٩٦٦) ص ٤٩٧ - ٤٩٨ .

116. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 173.

(١١٧) د . عمر كمال توفيق : مقدمات العـــدوان الصليبى ، ص ٣٣ - ٣٤ عن شلومبرجيه .

http://www.al-maktabeh.com

نحو سبعة وعشرين سنة الى أحد الأديرة بجزيرة بروتى Proti القريبة من القسطنطينية ثم أبعدت بعد ذلك الى أرمينيا (١١٨) ٠

بل أن ابن الأثير ذكر أن ثيوفانو بعد أن تزوجت الشمشقيق واقامت معه سنة خافها واحتال عليها وأخرجها الى دير بعيد وحمل معها ولديها (١١٩) ٠

ويبدو أن روح التآمر استمرت تسرى فى عروق ثيوفانو بعد ذلك أيضا ٠ فقد قيل أنها لعبت دورا هاما فى التخلص من تزيمسكس نفسه ، ولو أن الآراء اختلفت فى هذا الأمر فبينما يجمل الدكتور عمر كمال توفيق ذلك فى قوله « ان جماعة من اعدائه دسوا له السم » فتوفى فى ١٠ يناير ٩٧٦ م (١٢٠) / ٣٦٥ هـ ٠ نجد ابن العبرى يحدد لنا شخصية من وضع السم للامبراطور بأنها « أخت ثيوفانو » وأنها وضعته له فى شراب وقدمته له بطرسوس حيث بدأ يشعر بالمرض بعد ذلك وعاد الى عاصمته (١٢١) أما ابن الأثير فقد أعطانا رأيا مخالفا هو أنه بعد أن أقامت ثيوفانو فى أحد الأديرة لمدة سنة « أحضرت راهبا ووهبته مالا وأمرته بقصد قسطنطينية والمقام بكنيسة الملك والاقتصار على قدر من القوت فاذا وثق به الملك وأراد القربان من يده ليلة العيد سقاه سما ففعل الراهب ذلك » (١٢٢) ٠

ومهما يكن من أمر فالراجح أن تزيمسكس مات مسموما وأن ثيوفانو كان لها يدا فى قتله هو أيضا ٠

---

(١١٨) د ٠ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ٣٤ ـ ٣٥ ٠

(١١٩) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ (دار صادر وبيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٨ ٠

(١٢٠) د ٠ عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبى ، ص ١٧٠ ٠ وهو يضيف هنا أنه بعد أن استولى على بروزيه وصهيون أنهى تزيمسكس حملته على بلاد الشام ٩٧٥ م وعاد الى انطاكية ومنها الى القسطنطينية (تفصيل الحديث عن حملة تزيمسكس على بلاد الشام ٩٧٥ م موجود فى نفس الكتاب ص ١٥٣ : ١٧٣) ٠

121. The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 175.

(١٢٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ ٩ (دار صادر وبيروت ١٩٦٦ م) ص ٤٩٨ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

٨ - آنا كومنينا ووالدتها ايرين دوكاس :

هنا أيضا ننتقل الى حلقة هامة ومثيرة من حلقات التاريخ البيزنطى نتعرض فيها للدور الذى قامت به آنا كومنينا ابنة الامبـــراطور الكسيوس الأول كومنين السابقة الذكر فى مجال المؤامرات . وكيف أنها كانت تتوق الى وضع التاج الامبراطورى على رأس زوجها نقفور برنيوس (١٢٣) وفى سبيل تحقيق رغبتها هذه تآمرت مع والدتها ضـــــد أخيها حنا الذى كانت تكرهه (١٢٤) وكانت أمها تشاركها فى ذلك الكره له (١٢٥) .

وعلى ذلك تآمرت آنا ضد أخيها وايرين ضد ابنها وضغطتا بشدة على الكسيوس كومنين وهو على فراش الموت كى ينفذ لهما مطالبهما ويحرم ابنه حنا من ارتقاء العرش بعده (١٢٦) وكان على الكســـــيوس « أن يتحمل التوسلات المزعجة للمرأتين » (١٢٧) .

لكنه حسم الموقف بسرعة بالنسبة لمصير ابنه حنا فاحتال كى ينقل التاج الى ابنه ، وبالفعل قام حنا بانقلاب انتقل عن طريقه العرش اليه فلم يسع زوجة الكسيوس الا أن تنفجر فى وجهه معلقة على موقفه هذا بقولها : « انك لم تفعل شيئا طوال حياتك سوى الغش والخداع ولقد فعلت نفس الشىء وأنت على فراش الموت » (١٢٨) .

وثمة رأى لابن العبرى يضيف فيه الى أنا وأمها متآمر آخر من الأسرة هو « شقيق حنا » وأنه بعد اعتلاء حنا العرش « نفى أخته وأخيـــــه وحلق شعر أمه ووضعها فى أحد الأديرة » وبذلك استقر له الحكم (١٢٩) .

---

123. R. Browning : Studies on Byzantine History..., Part VII. p. 5, G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 538.
124. R. Browning : Ibid., p. 5.
125. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.
126. C.W. Previte Orton : Ibid., p. 538, The New Encyclopaedia Britannica, V. I, (1768) p. 390.
127. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 377.
128. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.
129. The Chronography of Bar Hebraeus V. I, p. 248.

http://www.al-maktabeh.com

والواقع أن أنا كومنينا لم تسلم بالموضع الراهن لذلك تآمرت من جديد ضد أخيها بعد اعتلائه العرش (١٣٠) بفترة وجيزة (١٣١) لكن المؤامرة اكتشفت بسهولة (١٣٢) ٠

وبذلك أسهمت المرأة البيزنطية بدور بارز في مجال الدس والتآمر ٠

---

130. R. Browring : Op. cit. Part, VII, p. 5. G. Ostrogorsky. Op. cit., p. 377, The New Encyclopaedia Britannica, V. I (1768), p. 390.

وهنا أضاف برونج أن نفس الرواية ذكرت بواسطة نيكيتاس كونياتيس Nicetas Choniates وهو كاتب من كتاب بداية القرن الثالث عشر ٠

131. R. Browring : Ibid., p. 5.

132. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 538.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الفصل الخامس

وضع المرأة في القانون البيزنطي

حظيت المرأة البيزنطية بالكثير من التشريعات التى ترسم لها الطريق الذى تسير عليه ولا تتعداه · ولذلك سنحاول فى هذا الفصل أن نتتبع وضع المرأة البيزنطية القانونى من خلال بعض التشريعات التى أسعفتنا بهـا بعض المصادر والمراجع الخاصة بتلك الفترة ، وذلك فى عدة مسائل هامة مثل الزواج والمهر والطلاق والميراث واتخاذ المحظيات والزنا وغير ذلك ·

الزواج : Marriage

الزواج فى القانون الرومانى هو رباط الحياة بين رجل وامرأة من أجل انجاب الأطفال كأعضاء فى العـائلة فى الكومنـولث الرومانى أو الدولة الديمقراطية (١) ·

وكانت الخطبة Betrothal عادة تسبق الزواج وهى عبارة عن وعد متبادل بين الطرفين · وكانت المرأة تسلم بقرار والدها اذا كانت تحت سلطته، واذا لم تتجرأ وتقول رأيها بصراحة · وكان سن السابعة هو سن الادراك والقبول · « وكان الشخص المخطوب يعامل فى القانون معاملة المتزوج » وكانت الخطوبة عادة تتبع بالهدايا كعربون من كل طرف للاخر على الارتباط ، واذا توفى المتلقى للهدية فللطرف الآخر حق استردادها ، الا « اذا كانت هنـاك قبلة قد تبودلت بين الطرفين فيمكن فى هذه الحالة استعادة نصف الهدية فقط » وكان ذلك فى ٣٣٦ م (٢) ·

وفى الأزمنة القديمة كانت المرأة تتحول بممتلكاتها تحت سلطة زوجها، وتأخذ وضع الابنة · ولكن شيئا فشيئا تطور الزواج وأصبحت الزوجة لا تعد جزءا من عائلة الزوج بل ظلت تحت سلطة والدها أو أصبحت مستقلة على أن تتولى تدبير شئونها بمساعدة وصى لمدة من الوقت (٣) ·

---

1. Cam. Med., V. II, p. 71.
2. Cam. Med. Hist. V. II, p. 70.

http://www.al-maktabeh.com

وكان من شروط الزواج أن يتم بين اثنين من الأحرار ليسا من نفس العائلة · وقد عزز ذلك القانون أيام دقلديانوس ٢٩٥ الذى منع الزواج من الخالات أو العمات أو الاخوات أو نسلهن أو من بنات الزوجة أو أبناء الزوج أو زوجة الابن أو زوجة الأب واعتبرت كل تلك الأشكال من الزواج « سفاح قربى » ·

كذلك حرم قنسطنطين ٣٤٢ م الزواج من أرملة الشقيق أو أخت الزوجة وأعيد ذلك التحريم ٤١٥ م (٤) ·

أما جستنيان فقد منع فى ٥٣٠ م القانون القديم الذى يبيح الزواج من بنت الزوجة أو العكس ومنع زواج الاخوة والاخوات (٥) · كذلك فى مجموعة جستنيان القانونية كان لابد أن يتم الزوج أربعة عشرة عاما والفتاة اثنا عشرة عاما (٦) ·

أما الاكلوجا Ecloga - فى عهد ليو الثالث - فقد أضافت أنه لابد من موافقة الأم والأب على زواج ابنتهم · كما كان من شروط الزواج أيضا فى أيام ليو الثالث ، أن يتم الاتفاق عليه كتابة أو شفويا أمام قسيس أو بعض الأصدقاء أو يستدل عليه من التعايش كأزواج فى حالة المرأة الحرة وكانت الزوجة بعد زواجها تعد فى منزلة ابنة الزوج (٧) ·

كذلك كان من المحظور أن يتزوج عضو السناتو باحدى العبيد أو من المرأة المحررة أو المعتوقة ، أو الممثلة وحتى ولو كانت حسنة السمعة · كما لا تتزوج الفتاة من أسرة نبيلة من رجل محرر أو معتوق لأنه يعتبر زواجا باطلا « لأن المطلوب فى هذا الاتحاد ليس الشىء المسموح فقط ولكن الشىء الملائم أيضا » كذلك حرم زواج المسيحى من اليهودية أو الوثنية (٨) ·

---

4. Cam. Med. Hist., V. II, p. 71.
5. Cam. Med. Hist. V. II, pp. 71-72.
6. G. Buckler : Women in Byzantine Law, p. 397.
7. G. Buckler : Ibid., pp. 397-398.

وفى موضع آخر تذكر جورجينا بوكلر أنه فى حالة الموافقة الكتابية على الزواج لابد من وجود ثلاثة من الشهود الموثوق بهم · (G. Buckler : Ibid., p. 410)

8. G. Buckler · Ibid., p. 399.

هنا تعلق بوكلير على ذلك بأن جستنيان تزوج من ثيودورا التى كانت تعمل ممثلة بعد أن حث عمه على تغيير القانون لذلك عاد ليو الثالث وأكد تحريم مثل ذلك الزواج

مكتبة المهتدين الإسلامية

وفى عهد الامبراطور ليو السادس كانت الزوجة تحتل مكانة مماثلة لزوجها · وكان زواج الأقارب جريمة تتنافى مع الطبيعة والقانون وعلى ذلك يعاقب فيها الرجل مثل المرأة (٩) أما فى عهد الامبراطور باسل الأول فقد أصبح الزواج شركة بين الرجل والمرأة (١٠) ·

والواقع أن الأباطرة الأيسوريين ـ فى القوانين المدنية والكنسية ـ أحاطوا الزواج بالجلال والوقار واعتبروا التسرى واتخاذ المحظيات شيئا يشين السمعة · كذلك تأكد فى عهدهم تحريم زواج المحارم من ذوى القربى (١١)

المهـر أو الصداق Dowry : :

كان الصداق الذى تقدمه المرأة أو أقربائها يعتبر مساعدة فى نفقات الحياة الزوجية ، وعند الانفصال يؤول للزوجة أو للمعطى نفسه (١٢) كذلك عند الطلاق يعود الصداق للزوجة وهدية الزواج للزوج ، أما فى حالة ارتكاب أحدهما لجريمة عظمى فيكون من حق الطـــرف الثانى أن يتبرأ من الطرف المقترف للجريمة ويحصل فى هذه الحالة على الصداق والهدايا معا (١٣) ·

كذلك فى حالة اذا ما ضرب الزوج زوجته بعصا أو بسوط فلها أن تصادر كل ممتلكاته بالاضافة الى ثلث هدية الزواج (١٤) أما جورجينا بوكلر ـ نقلا عن رأى Eustathius Romanus ـ فتقـــول أنه فى حالة طـــلاق الزوج زوجته بسبب الخيانة لا يعطيها الصداق · أما اذا كان الطلاق بسبب الضرب

---

9. G. Buckler : Ibid., p. 404.
10. G. Buckler : Ibid., p. 398.
11. G. Buckler : Ibid., p. 400.
12. Cam. Med. Hist. V. II, p. 72.

أما المهر فى الاسلام فيطلق على المال الذى يجب على الرجل للمرأة بسبب عقد الزواج عليها ودليل وجوب المهر على الزوج : الكتاب والسنة والاجماع · أما الكتاب الآيات مثل : (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) النساء آية ٤ · اما السنه فقول رسول الله (صلعم) « التمس ولو خاتما من حديد » وقد أوجب الاسلام المهر على الزوج وحده دون الزوجة حيث راعى فى ذلك طبيعة تكوين كل من الرجل والمرأة (محمد بن عبد الله عرفه : حقوق المرأة فى الاسلام ص ٦٣ ـ ٦٥) ·

13. Cam. Med. Hist. V. II, p. 75.
14. Cam. Med. Hist. V. II, p. 76.

http://www.al-maktabeh.com

أو الغذاء مع رجل غريب أو الذهاب دون رغبته الى المسارح وسباقات الخيل فيجوز له أن يعطيها الصداق (١٥) ٠

وفى ٥٢٩ م أصدر جستنيان تشريعا ينص على أن المهر يقسم بعد وفاة الزوجة ويعامل معاملة تقسيم هدايا الزواج بعد وفاة الزوج ٠ وقد أصبح من حق المرأة أن تطالب بالصداق قبل أى ممتلكات أخرى لزوجها بعد وفاته ، بل قيل أنه فى حالة ما اذا كان مفلسا فلها أن تقيم حقها على متلكاته الثابتة (١٦) ٠ أو بمعنى آخر لها الحق فى الحصول من زوجها على أملاك تعادل صداقها (١٧) ٠

كذلك كان للمرأة أن تتمتع بكافة الحقوق والضمانات القانونية والمواريث وأن تتصرف فيها بالبيع أو الهبة وذلك خارج نطاق الصداق ٠ بل انه يحق لها استرداد صداقها من الزوج اذا كان مبذرا (١٨) ٠

الزواج مرة ثانية Re-marriage

كان أباطرة القرن الرابع يطلبون موافقة والد المرأة التى لم تبلغ الخامسة والعشرين كى تتزوج للمرة الثانية ، وقد فرضت عقوبات صارمة على المرأة التى تتزوج للمرة الثانية قبل مضى عشرة شهور (وفى ٣٨١ م امتدت الى سنة كاملة) على وفاة زوجها وذلك لمصلحة أبناء الزوج الأول ، وقد بحث جستنيان ذلك الموضوع فى سنة ٥٣٦ ، ٥٣٩ م وتقرر أن الزوجة تفقد كل الامتيازات والألقاب الممنوحة لها بواسطة زوجها الأول الى جانب عدم السماح لها بتعليم أبنائها من زوجها الأول أيضا أو الوصاية عليهم (١٩) ٠

وفى ٥٤٩ م أصدر جستنيان قانونا بخصوص الزوجة التى يموت زوجها الجندى أثناء خدمته ، وأنه يجب عليها ألا تتزوج قبل مضى سنة وذلك بعد أن يحلف رؤساءه فى الجيش بوفاته على الانجيل ، ثم تنتظر سنة بعد ذلك ،

---

15. G. Buckler : Op. cit., pp. 403-404.
16. Cam. Med. Hist., V. II, p. 73.
(١٧) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٨١ - ٨٢ ٠
18. G. Buckler : Op. cit., p. 408.
19. Cam. Med. Hist. V. II, p. 74.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وحتى اذا أخطأوا وعاد زوجها الأول فله الحق فى اعادتها من زوجها الثانى والا اعتبر ارتباطها بزوجها الثانى « زنا » (٢٠) ٠

أما ليو السادس فقد حـــرم الزواج الثالث فى لغـــة قوية جدا فى (90th Novel) (٢١) واستنكر قرار الزواج الثانى (٢٢) ٠ لكنه عاد فاضطرته ظروفه ـ السابقة الذكر ـ الى زواج رابع من زويه كازيونوبسينا ـ أى ذات العيـــون الســـوداء ـ ولما كـــان الزواج الرابع ممنـــوعا فى القانون البيزنطى (٢٣) لذلك تحدى الكنيسة والدولة معا كما مر بنا ٠

وربمـــا دفـــع ذلك قنســـطنطين الســـابع ابن الزوجـــة الرابعـــة الى تحـــريم الزواج الرابع وذلك تحت آلام الحـــرمان الشخصى أو الفردى Excommunication (٢٤) واعترف فقط بالزواج الثالث تحت شروط معينة وغرامات وكانت صيغة القرار الذى صدر بهذا الشأن كالتالى : « أن الزواج الأول هو القانونى والصحيح وأن الزواج الثانى مباح أما الزواج الثالث فهو خرق للقانون وما هو أكثر من ذلك فهو حياة خنزير » (٢٥) ٠

---

20. G. Buckler : Op. cit., p. 406, Cam. Med. Hist. V. II, p. 76.
21. Romilly. J.H. Henkins : Studies on Byzantine History of the 9th and 10th Centuries, Part VII, p. 339.

وذلك فى وقت لم يكن ليو يدرى فيه أنه سيتجاوز الزواج الثالث بل سيتعداه

22. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 259.
23. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 257.

(٢٤) عقوبة الحرمان الفردى أو الشخصى توجه ضد فرد معين ويصبح هـــذا الشخص منبوذا مطرودا من المجتمع المسيحى فلا يسمح بالاقتراب منه أو التعامل معه سوى لزوجته وأولاده ٠ وهو عكس الحرمان الاجماعى Interdict الذى يوقع على مجتمع بأكمله سواء كان هذا المجتمع مدينة أو اقليما أو مملكة بأسرها وفى هذه الحالة تغلق الكنائس أبوابها فى ذلك المجتمع ويضرب رجالها عن تأدية أعمالهم فلا يجد الناس أحدا يقضى مصالحهم المرتبطة بالكنيسة كمراسيم التعميد والزواج والشعائر الجنائزية، فضلا عن انقطاع الروابط التى تربط ذلك المجتمع بالمجتمع المسيحى كله (د٠ ســـعيد عاشور : أوربا العصور الوسطى ، ج ٢ النظم والحضارة : الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ، ص ٣ ، ٤ عن

Ullmann : The Growth of Papal government, Howell-Smith : A history of Roman Catholic Doctrine and Pratice).

25. G. Buckler : Op. cit., p. 407.

http://www.al-maktabeh.com

ويرتبط بموضوع الزواج تلك القرارات والتشريعات القوية الخاصة بالمرأة وعلى وجه الخصوص بالزواج فى مجمع ترولان Trullan عام ٦٩٢ م والتى سنقتطف منها بعض النقاط الهامة لاستكمال موضوعنا وأهم تلك التشريعات :

١ - أنه لا يصح لرجل سيصبح « قسيسا أو كاهنا أو شماسا » أن يكون قد تزوج مرتين أو اذا كانت زوجته أرملة أو مطلقة أو بنت هوى أو من العبيد أو ممثلة مسرح ٠

٢ - ان أى رجل متزوج سيصبح قسيسا لابد وأن يطلق زوجته ٠

٣ - منع الزواج من الهراطقة ٠

٤ - الا يحتفظ أى رجل فى منزله بامرأة اعتبرت بعيدة عن الشبهات لأن الشك يؤثر على النواحى الدينية ٠

٥ - الرجال ممنوعين من الاستحمام مع النساء لأن ذلك يعتبر تصرف وثنى ٠

٦ - على النساء أن يحتفظن بصمتهن فى الكنيسة ٠

٧ - وألا ترسم النساء شمامسة قبل سن الاربعين المتزن ٠

٨ - عندما تتخذ النساء الحجاب يجب الا يكون على نحو رائع أو أنيق ٠

٩ - واذا أصبحت النساء راهبات يجب ألا يتركن الدير الا برفقة حرس نسائى ولا يحق لهن قضاء الليل خارج الدير ٠

١٠ - لا تنام المرأة فى دير للرجال ولا الرجل فى دير للنساء ٠

١١ - اذا تركت امرأة زوجها واتجهت الى أحد الأديرة فله أن يتركها ستة أشهر ثم يزورها ليرى هل هى باقية على رغبتها فى البقاء بالدير وذلك دون تدخل من رئيسة الدير ، فاذا انقضت الستة أشهر لها أن تستعيد صداقها وتصبح راهبة (٢٦) ٠

الطلاق Divorce : :

كان من الممكن أن يتم الطلاق حتى ٥٤٢ م بين أى زوجين وفقا لاتفاق

26. G. Buckler : Ibid., pp. 394-396.

مكتبة المهتدين الإسلامية

بينهما وبدون أسباب جوهرية (٢٧) . ثم منع جستنيان الطلاق فى ٥٤٢ ، ٥٥٦ م استنادا الى رأى الكنيسة بالاجماع (٢٨) .

ففى سنة ٥٤٢ م منع الطلاق الا فى حالة واحدة وهى الاتجاه الى حياة الطهارة . وفى ٥٥٦ م شرع قانونا يبيح الطلاق على أن يرسل الطرفين الى أحد الأديرة الى نهاية حياتهما على أن تقسم ممتلكاتهما على النحو التالى : ثلث للدير وثلثين لأولادهما ، واذا لم يكن لديهما أولادا فثلثين للدير وثلث لوالديهما واذا لم يكن هناك أقارب على قيد الحياة ، فكل ثروتهما للدير . أما اذا أراد الزوج والزوجة معا الرجوع مرة أخرى فلا تنفذ فيهما أية عقوبات ، واذا أراد أحدهما فقط ذلك فله الحرية (٢٩) .

والواقع أن الطلاق فى الأزمنة القديمة كان غير مقيدا ولكن على عهد أوغسطس كان لابد أن يتم أمام سبعة شهود وذلك بطريقة شفوية أو كتابية وكانت هناك حالات يجوز فيها الطلاق عامة : عجز الزوج لمدة ثلاث سنوات من الزواج أو الرغبة فى حياة الطهارة أو الوقوع فى الأسر لمدة خمس سنوات(٣٠) كذلك أبيح الطلاق فى حالة الزنا ، القتل ، أعمال السحر ، الخيانة العظمى ، تدنيس المقدسات ، السرقة الخطيرة ، الخطف ، التزوير ، الاعتداء على حياة الآخرين ، افشاء أسرار الناس ومن ناحية الرجل عند ارتباطه بامرأة غير محترمة فى حضور زوجته . أما فى حالة المرأة . فضحكها أو مزحها مع رجال آخرين لا تربطهم بها أية صلة وبدون معرفة زوجها أو ضد رغبته أو الذهاب الى المسارح أو ميادين سباق الخيل دون موافقته أو التغيب عن فراش الزوجية دون أسباب معقولة . وقد أضاف جستنيان الى ذلك فى ٥٣٥ م استحمامها مع رجال آخرين أو تدبيرها لزواج آخر وهى لا زالت متزوجة (٣١) .

والواقع أن جستنيان فى قانون ٥٤٢ م جمع أسباب طلاق المرأة من زوجها فى ست نقاط هى :

التآمر ضد الامبراطورية ، واخفاء ذلك عن زوجها ، اثبات الزنا أو

---

27. Cam. Med. Hist. V. II, p. 74.
28. G. Buckler : Op. cit., p. 401.
29. Cam. Med. Hist. V. II, pp. 74-75.
30. Cam. Med. Hist. V. II, p. 75.
31. Cam. Med. Hist. V. II, p. 75.

http://www.al-maktabeh.com

الخيانة الزوجية عليها ، التآمر على حياة زوجها ، الاستعملم مع الوجـــال الغرباء بدون موافقة زوجها ، البقاء خارج منزلها فيما عدا منزل أهلها أو بموافقة زوجها ، زيادة المسارح وصالات العرض بدون علم زوجها ٠

ومن ناحية الرجل كانت هناك خمسة أسباب :

التآمر ضد الامبراطورية ، التآمر على حياة زوجته ، أو التستر على آخرين فيما يخص عفتها وطهارتها ، اتهام زوجته بالزنا وعدم اثباته ذلك ، اتصاله بامرأة أخرى فى المنزل حيث تقيم زوجته ، أو اجتماعه فى أوقـات متفاوتة بامرأة أخرى فى نفس البلدة واستمراره على الاتصال بها رغم معاتبة أهل زوجته له أكثر من مرة ، أو معاتبة آخرين (٣٢) ٠

ولكن سرعان ما أعاد جستين الثانى الطلاق من جديد فى ٥٦٦ م ثم منعته الاكلوجا Ecloga ـ ليو الثالث ـ التى تشير الى الزواج بأنه « الرابطة السرمدية الأبـــدية حيث أنه يعنى وجـــود شخصين فى جـــلد واحد » (٣٣) ٠

ثم أبيح الطلاق مرة أخرى بسبب سوء تصرف بعض الأشخاص ، حيث سمح بالطلاق لارتكاب الزوجة جريمة الزنا ، ولمحاولة أحد الزوجين التـآمر على حياة الآخر ٠ كذلك حددت الاكلوجا من جديد ما جاء فى قانون جستنيان من جواز الطلاق فى حالة المرأة التى تنام خارج منزلها ضد رغبة زوجها ، ما عدا منزل أهلها ، كذلك من تستحم مع الرجال أو تشرب الخمور أو تذهب الى المسارح أو ميدان سباق الخيل ٠ كذلك يحق الطلاق من المرأة التى تقتل أو تخطف أو تسرق سرقات خطيـــرة أو تدنس المقدسات أو لاجهـــاضها نفســـها ٠

وبالنسبة للرجل الذى يهجر زوجته ثلاث سنوات كذلك الرجل الـذى يعاشر امرأة أخرى رغم التوبيخ وذلك فى منزله او فى منزل آخر بالمدينة أو من يضرب زوجته بوحشية وكلا الطرفين للتآمر ضد الامبراطور (٣٤) ٠

---

32. Cam. Med. Hist. V. II, p. 75.
33. G. Buckter : Op. cit., p. 402.
34. G. Buckler : Ibid., p. 403.

مكتبة المهتدين الإسلامية

أما ليو السادس فلم يشر الى الطلاق بأية موافقة (٣٥) ٠

اتخاذ المحظيات أو الخليلات Concumbinage

والمقصود به قيام علاقة مؤقته بغرض ارضاء عاطفة الحب وليس بغرض لقامة أسرة للمجتمع ٠ وعلى ذلك لا يكون لنتاج تلك العلاقة من الأولاد أية حقوق قانونية على أبيهم أكثر مما لأمهم عليه ٠ والواقع أن التسرى ، أو اتخاذ المحظيات لم يكن يثير الاستنكار اذا كان الرجل غير متزوجا ٠ ولقد كان الأجانب والجنود فى العهد المبكر للامبراطورية الرومانية ـ كانوا غير قادرين فى النادر على اقامة علاقات زوجية شرعية ـ لذلك أصبحت العلاقات الحرة الخليعة محتومة ومتعذرة الاجتناب ٠ ولم تكن العلاقة تتم بالنسبة للمرأة ذات الأصل الرفيع الا نادرا لكن الأمر كان مختلفا بالنسبة للمرأة الوضيعة الأصل أو العبدة ، أو المرأة المحررة (٣٦) ٠

أما موقف الامبراطور قنسطنطين الأول من التسرى فانه شجع تحويل المحظية الى زوجة (٣٧) وفى نفس الوقت منع الرجل المتزوج من اتخاذ محظية و ضرة لزوجته (٣٨) ٠

أما جستنيان فقد أجاز ذلك التحويل فى قانون ٥٣٩ م خاصة اذا كانت المرأة من أصل حر واذا كان هناك أولادا ، حتى اذا ماتت الأم فان الأولاد

---

35. G. Buckler : Ibid., p. 403.

36. Cam. Med. Hist. V. II, p. 76.

ولقد أشار محمد بن عبد الله عرفه : حقوق المرأة فى الاسلام ، ص ٧٩ ـ ٨٠ الى ذلك النظام بأنه « نكاح المتعة الذى يتنافى مع كل الأهداف والمقاصد الرئيسية السامية للزواج ٠ فهو يهدف الى قضاء الشهوة الجنسية فقط ولا يرمى الى غيرها ٠ كما أنه يتنافى مع المقاصد العمرانية الاجتماعية من أجل عمارة الأرض فالنكاح المؤيد الذى يجمع بين الزوج والزوجه برباط المصير الواحد فينجبان الأطفال الأسواياء ويكونان الأسرة الصالحة المتألفة المتحابة ٠ ونكاح المتعة مؤقت ويخلو من المعنى السامى للزواج، السكن والموده والرحمة فلا تتحقق هذه الأمور فيه لأن كلا من الرجل والمرأة يشعر بالحياة المؤقته ، والسكن والتواد والتراحم مطالب أساسية ومعان سامية لا تتوافر الا فى الزواج الشرعى » ٠

37. Cam. Med. Hist. V. II, p. 76.

38. André Piganiol : Op. cit., p. 170.

http://www.al-maktabeh.com

يعتبرون شرعيين ، كذلك اذا صدقت المرأة يمين أخذه الرجل على نفسه وحلف على الانجيل فى الكنيسة وعاشت مدة طويلة معه وأنجبت منه أولادا وصل عددهم الى ثلاثة فان من حقها أن تطالب بنصيب أبنائها (٣٩) ٠

وفى ٥٤٢ م أصدر جستنيان قانونا ينص على أنه اذا كتب رجل - وأشهد على ذلك بارادته - أن طفلا ما ابنه وأعطاه لقبه فان ذلك كان كافيا لأن يجعل اخوته شرعيين وأمهم زوجة شرعية ٠ وحتى بالنسبة للعبيد نجده فى قانون ٥٣٩ يذكر أنه اذا ارتبط رجلا بامرأة من العبيد فان الزواج يصبح شرعيا اذا تحررت ويصبح الابناء شرعيين حتى ولو كانوا قد ولدوا قبل تحررها ، بل أكثر من ذلكأنه اذا أقام رجل حر علاقة مع احدى العبيد وأنجب منها أولادا واستمر على علاقة بها حتى مات ، تصبح المرأة وأولادها أحرارا بعد وفاته اذا لم يبت هو فى الموضوع بارادته (٤٠) ٠

أما بالنسبة لليو الثالث فى الاكلوجا فقد أشارت أنه بالنسبة للمحظية « فاما أن يتزوجها الرجل أو يطردها » (٤١) ٠

الزنا (*) Adultery

سن قنسطنطين العديد من التشريعات التى تتعرض لجـــريمة الزنا أو الخيانة الزوجية ففى ٣ فبراير ٣١١ أصدر قانونا يقول أنه « بالرغم من أن الزنا جريمة عامة الا أنه لا يمكن تتبعها الا عن طريق الأهل والأقارب » مثـل الزوج ، الأب ، الاخ ، الخالة أو العم وأبناء الأخ أو الأخت ، وأنه يحق للزوج فقط الحكم فيها ، وفى أول ابريل أضاف فقرة جديدة تقول « ان المرأة التى يثبت ارتكابها لجريمة الزنا بسبب عدم رزانتها تحتاج لحماية قاسية وانه يجب صب

---

39. Cam. Med. Hist. Hist. V. II, pp. 76-77.
40. Cam. Med. Hist. V. II, p. 77.
41. G. Buckler : Op. cit., p. 398.

روى عن رسول الله (صلعم) أنه قال : « يا معشر المسلمين اياكم والزنا ، فان فيه ست خصال : ثلاث فى الدنيا وثلاث فى الاخرة فأما التى فى الدنيا : فزوال البها ودوام الفقر وقصر العمر ، وأما اللواتى فى الاخرة فسخط الله جل ثناؤه وســـوء الحساب والخلود فى النار » وعن الحرث بن النعمان قال سمعت أنس بن مالك يقول ان رسول الله (صلعم) قال « المقيم على الزنا كعابد وثن » (ابن قيم الجوزية : اخبار النساء ، ص ١٦٨) ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

الرصاص المصهور فى فم المربية التى كانت واسطة فى تلك الجريمة · أما الفتاة فتعذب اذا لم تكن قد دافعت عن نفسها فى حين يحرق المتآمرون أحياءا كما سن قانونا آخر فى الرابع من ابريل ضد ولى الأمر الذى يهمل ويتهاون فى تربية ابنته القاصر (٤٢) ·

والواقع أن قوانين قنسطنطين ضد هتك العرض كانت شديدة القسوة ولم يقتصر وصف تلك الجريمة على الاغتصاب بالقوة بل تعداه الى الاغواء الناعم الذى يغرى امرأة غير متزوجة دون الخامسة والعشرين من العمر بترك بيت والديها » (٤٣) ·

أما جزاء الغاصب فكان الموت أو الحرق حيا أو تركه للوحوش تقطعه اربا فى المسرح · واذا اعترفت العذراء بأنها اختطفت برضاها فانها لن تنفذ بذلك حبيبها بل كانت تتعرض لمشاركته مصيره ، وكانت ترفع دعوى الى أبوى المجرم أو الفتاة المنكودة فاذا تغلبت عليهما عواطف الطبيعة وأدت بهما الى التغاضى عن الأذى واللجوء الى الزواج بعد ذلك محافظة على شرف الأسرة فان الأبوين كانا يعاقبان بالنفى والمصادرة · أما العبيد من الاناث أو الذكور الذين يثبت عليهم الاشتراك فى جريمة الاغتصاب أو الاغراء فكانت عقوبتهم الموت بصب كمية من الرصاص المصهور فى حلوقهم (٤٤) ·

كان للاب الحق فى قتل ابنته اذا امسكها متلبسة بجريمة الزنا فى منزله أو منزل زوج ابنته · وكذلك يحق له قتل الزانى أيضا · أما الزوج فله الحق فى قتل زوجته ، أما الزانى فيقتله فقط اذا كان من العبيد أو من مرتكبى الجرائم وقد لا يقتل الزوج زوجته وعليه فيجب أن يطلقها فورا (٤٥) ·

والواقع انه رغم قسوة تلك العقوبات فان الغرض منها كان المحافظة على المرأة وعلى سمعتها ·· وربما كان تشدد وقسوة قنسطنطين الأول هذه هى السبب فى اعتباره « الخليفة المتوحش الخشن للامبراطور أوغسطس » (٤٦)·

---

42. André Piganiol : Op. cit., pp. 169-170, Cam. Med. Hist. V. II, p. 106.

(٤٣) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ··· ج ١ ، ص ٣١٨ ·

(٤٤) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ، ج ١ ، ص ٣١٨ ·

45. Cam. Med. Hist., V. II, p. 106.

46. André Piganiol : Op. cit., p. 170.

http://www.al-maktabeh.com

أما في عهد جستنيان فقد نص القانون ٥٤٢ م على أنه من حق الزوج أن يقتل أى شخص ذو علاقة محظورة مع زوجته ، وذلك بعد أن يحذرها ثلاث مرات فى حضور أشخاص ثقة ثم يجدها تتحدث مع الزانى فى منزله أو منزلها أو فى مكان فى الضواحى أو أن يرسل الزوج زوجته والرجل الى القسيس لمعاقبتهما على جريمة الزنا وفقا للقانون · ويعتبر الزوج مذنبا اذا احتفظ بزوجته بعد ارتكابها جريمة الزنا · وأيضا يعتبر أى شخص مذنبا اذا تزوج من امرأة متهمة بالزنا · وأيضا يعتبر أى شخص مذنبا اذا تزوج من امرأة متهمة بالزنا · أما الرجل الذى يتهم بالزنا ويعود اليها مرة أخرى فمن حق أى قاض أن يقبض عليه ويعذبه ويقتله (٤٧) ·

وفى ٥٥٦ م أمر جستنيان أن ترسل المرأة الزانية الى أحد الأديرة بعد أن تجلد بالسوط ونفس الشيء يطبق على المرأة غير المتزوجة أو الأرملة التى على صلة بزانى او بشخص سيء السمعة (٤٨) كذلك اذا حملت الفتاة بدون علم أبويها تعاقب بالاعدام · أما المربية فيصيب الرصاص المصهور فى فمها وحلقها · فى حين يعاقب الوالدين الذين يهملان ويتغاضيان عن تلك الجريمة بالحرق (٤٩) ·

وقد أشارت الاكلوجا فى عهد ليو الثالث الى جريمة الزنا فذكرت أنه لابد من معاقبة الرجل والمرأة بقسوة بالتشويه أو الجلد أو النفى أو دفع الغرامات ان لم يكن بالموت (٥٠) أما اذا حطت المرأة ذات الأصل النبيل من قدر نفسها بعمل لا أخلاقى مع أحد العبيد تفصل عنه ويعاقب هو بالحرق (٥١) ·

أما فى عهد ليو السادس فقد نص على أن الزانى يستحق عقابا قاسيا كقاتل ، أما الزوجة الغير مخلصة فتعاقب بوضعها فى أحد الأديرة لتعود الى حياة النقاء والطهارة (٥٢) ·

---

47. Cam. Med. Hist. V. II, p. 106.
48. Cam. Med. Hist. V. II, p. 106.
49. Cam. Med. Hist., V. II, p. 106.
50. G. Buckler : Op. cit., p. 400.
51. G. Buckler : Ibid., p. 401.
52. G. Buckler : Ibid., p. 403.

مكتبة المهتدين الإسلامية

والواقع انه بالنسبة لعهد جستنيان فقد كان لثيودورا اثرا غير مباشر على القانون حينا وآثارا مباشرة أحيانا أما الأثر الغير مباشر فعندما فكر جستنيان فى الزواج من ثيودورا وجد أن القانون الرومانى كان يقف بأحد نصوصه عقبة كأداء أمام اتمام تلك الرغبة · ذلك النص الذى كان يمنع الزواج بين عضو السناتو والممثلة أو الداعرة (٥٣) أو بين عضو السناتو وأى امرأة حط من قدرها أصلها الوضيع أو عملها فى المسرح (٥٤) ·

عندئذ حث جستنيان عمه على تغيير ذلك القانون « كى يتمكن من الزواج من احدى المنبوذات طبقيا وذلك فى ٥٢٣ م » (٥٥) وهكذا سن جستنيان باسم جستين قانونا « أبطل التشريع القديم وجاء فى المرسوم بالنص « فتح باب التوبة النصوح أمام النسوة التعيسات اللائى دنسن أنفسهن على المسرح وأجيز لهن عقد القران المشروع على ابرز الشخصيات الرومانية » (٥٦) وبذلك تمكن بعده من الزواج من ثيودورا ·

ومن ناحية آثارها المباشرة فقد قيل أن قوانين جستنيان « تنسب الى النصائح الحكيمة لزوجته الموقرة التى تقبلها بوصفها منحه من عند الله » (٥٧) ·

فقد الهمت أنوثة ثيودورا جستنيان عندما سن التشريعات والتنظيمات التى تبحث أو تعالج مشاكل الطلاق والزنا وقدسية الرابطة الزوجية الى جانب التشريعات الخاصة بمساعدة ممثلات المسرح والساقطات من النساء (٥٨) ·

---

53. The Encyclopaedia Americana, International Edition, Vol. 26, (1974) p. 627,

عبد القادر أحمد اليوسف : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٦٨ · عن Procopius

(٥٤) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ··· ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ « كان قنسطنطين قد أصدر قانونا ٣٣٦ م يمنع زواج أى شخص من أسرة عالية بامرأة حرة سواء بعد التسرى بها أم عدمه ، أو من ممثلات المسرح أو مروضى الدببة والخيول »

(Cam. Med. Hist. V. II, p. 72)

55. C.W. Previte Orton : Op. cit., V. I, p. 187, The Encyclopaedia Americana, International Edition, Vol. 26, (1974), p. 627.

(٥٦) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ··· ، ج ٢ ، ص ٤٠٤ ·

(٥٧) ادوارد جيبون : اضمحلال الامبراطورية ··· ، ج ٢ ، ص ٤٠٧ ·

58. Cam. Med. Hist. V. II, p. 27. عن (Diehl)

http://www.al-maktabeh.com

والواقع أن « القانون الذى نشره جستنيان لم يبرح هو القانون الرومانى فانه حتى تنقيحاته له كانت فى روحها رومانية وليست مسيحية ولا أدل على ذلك من الاحتفاظ بكل من الطلاق والرق على الرغم من عداء الكنيسة لهما » (٥٩) ٠

أما ليو الأيسورى فقد أدت تقواه فى فلك القانون الى طبعه بأجمعه بالطابع الانسانى ٠ وقد تجلى أثر النصرانية فى القانون الجنائى بتقييد عام لعقوبة الاعدام واحلال عقوبة تقطيع الأوصال محلها ٠ وتجلت آثارها فى القانون المدنى بما أصدرت من قوانين الزواج بوجه خاص ، فلم يعترف الا بالزيجات المسيحية وحدها وانقصت أسباب الطلاق الى أربعة وهى زنا الزوجة وعنه الزوج جنسيا ومحاولة أحد الزوجين قتل الآخر والاصابة بالبرص ، وان لم يلغ نهائيا كما رغبت الكنيسة ، كما أن درجات تحريم زواج الأقارب رفعت من أربع الى ست وحرم أبناء عمومة الدرجة الثانية من التزاوج ٠ وفضلا عن ذلك زادت الاكلوجه أحوال النساء تحسينا فصار للزوجة نصيب معادل لنصيب الزوج فى أملاكهما المشتركة وفى الوصاية على أطفالهما (٦٠) ٠

والواقع أن كلا من ليو الثالث وابنه قنسطنطين الخامس كانا يهدفان الى تقدم المرأة وحمايتها فى كل التشريعات التى أصدراها خلال حكمهما (٦١) ٠

أما بالنسبة للناحية القانونية فى عهد الامبراطورة ايرين فقد أصدرت تشريعا ينص على أنه فى حالة أى اتفاقات أو عقود سواء شفوية أو مكتوبة لابد وأن تتم فى حضور خمس أو سبع شهود وبالنسبة للاعمال التعاقدية فانه يجب فى بعض الأحيان أن تدون بواسطة موثقى عموم أو كتاب عدل ، أما فى غالبية الأحيان فان الأطراف المتعاقدة هى التى تدونها بنفسها (٦٢) ٠

---

(٥٩) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٨١ ٠

(٦٠) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ٠

61. G. Buckler : Op. cit., p. 393.

62. Cam. Med. Hist., V. IV, Part II, p. 64.

مكتبة المهتدين الإسلامية

الخـــاتمة

وهكذا تعرفنا على المرأة البيزنطية عن قرب فى مجالات مختلفة سياسية ودينية وثقـافية واجتمـاعية وقانونية بقـــدر ما اسـعفتنا المصادر والمراجع المختلفـة ٠

رأينا كيف حكمت المرأة فى بيزنطة كوصية أخت مثل (بولكيريا) أخت ثيودوسيوس الثانى ووصية زوجة مثل (ايرين دوكاس) على زوجها الكسيوس الاول كومنين ووصية أم مثل الامبراطورة ايرين وايودوكيا مكريمبوليتسا ٠ ثم كشريكة فى مجلس وصاية على ابن قاصر مثل ثيودورا زوجة الامبراطور ثيوفيل ٠ كذلك حكمت المرأة البيزنطية كامبراطور مثل ايرين ٠ وكشريكة فى الحكم مثل ثيودورا زوجة جستنيان ثم فى النهاية كخليلة امبراطورية مثل سكليرينا خليلة الامبراطور قنسطنطين التاسع ٠

أما الناحية الدينية فقد ظهرت بصمات المرأة البيزنطية فى المجـــال الدينى بصورة واضـــحة ويكفى للتدليل على ذلك ما قامت به هيـــلانة أم قنسطنطين العظيم ٠

كذلك كان للمرأة البيزنطية شهرتها الواسعة المدى فى الخلافات الدينية مثل ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان ودفاعها المستميت عن المونوفيزيتيين، والامبراطورة ايرين زوجة الامبراطور ليو الرابع ودفاعها عن الأيقونات بل ان ثيودورا مثلا كان لها نشاطا بارزا أيضا فى ارسال البعثات التبشـيرية باسمها بل وفى التدخل فى تعيين البابوات والاساقفة ٠ كما كان للامبراطورة ايرين دورا ملحوظا فى عقد المجامع الدينية مثل مجمع نيفيه الثانى أو المجمع المسكونى الســـابع ٧٨٧ م الـذى حييت فيـه بلقب حليفـــة المســـيح Christophore (١)

وقد واصلت الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبراطور ثيوفيل دفاع ايرين عن الأيقونات وتبجيلها بل أكثر من ذلك عقدت مجمعا دينيا محليا بالقسطنطينية ٨٤٣ م جددت فيه قرارات مجمع نيفيه المسكونى السابع وذهبت فيه الى أبعد من ذلك عندما استصدرت من المجمع مرسوما بالعفو عن زوجها الراحـــل

1. G. Zananiri : Op. cit., p. 168.

http://www.al-maktabeh.com

الامبراطور ثيوفيل على خطيئته بالنسبة للايقونات ، وهكذا استحقت لقب قديســـة » (٢) ٠

والواقع أن دور المرأة البيزنطية فى المجال الدينى لم يقتصر على النساء من الطبقات العليا فقط بل شاركتهن بعض النساء البيزنطيات من الطبقـــات الدنيا ونجحن فى العمل كرئيسات أديرة وراهبات وشماسات ومرتلات ٠

أما فى الحياة الثقافية فقد ساهمت المرأة البيزنطية أيضا بنصيب محمود فى مجال الأدب والتاريخ والفلسفة وبرزت فى تلك المجالات بولكيريا أخت ثيودوسيوس الثانى كاديبة ومحدثة فصيحة ، وكاسيا الشاعرة ، أما فى مجال التاريخ والفلسفة فقد نبغت أناكومنينا ابنة الامبراطور الكسيوس الأول كومنين التى أمتعتنا فى مجال التاريخ بمؤلفها القيم (الالكسياد) والذى مهما تعددت الآراء فيه فانه مصدر تاريخى قيم لمعرفتنا عن الفترة الهامة التى شهدت اعادة تأسيس القوة البيزنطية وعن التقاء البيزنطيين بالغرب فى الحملة الصليبية الأولى الى جانب الصراع بين البيزنطيين من جهة والنورمان والقبائل الرحل فى الشمال والشرق من جهة أخرى (٣) ٠ كذلك لعبت أنا كومنينا دورا هاما فى المنافسات التى نشأت بين تلاميذ مدرسة أرسطو فى العالم البيزنطى (٤)٠

وبالنسبة للحياة الاجتماعية فان وضع المرأة أخذ شكلين الأول وهو وضع الفتاة قبل الزواج أو كزوجة حديثة الزواج والثانى بعد زواجها وانجابها لأولادها ٠ ففى المرحلة الأولى كانت المرأة البيزنطية تعيش حياة عزلة الى حد ما لاترى زوجها الا بعد أن تنتهى كل مراسيم الزواج ٠ ثم بعد انتقالها الى بيت زوجها تستمتع بالحرية المطلقة ولكنها كانت تعامل باحترام من زوجها وكانت تتفرغ لأعمال المنزل وللقراءة فى الكتب البعيدة عن لهو الحياة فكانت مخلصة عاقلة متزنة متدينة بعيدة عن الاهتمام بالتفاهات ٠

أما فى المرحلة التالية بعد انجابها لأولادها فان بعض النساء اتصفن بالقسوة والتشدد والبعض الآخر قام بقيادة الأسرة وتصريف شئونها دون تعنت ٠

---

2. G. Buckler : Op. cit., p. 414, C.W. Previte Orton op. cit., V. I, p. 253.
3. G. Ostrogorsky : Op. cit., p. 351.
4. R. Browning : Op. cit., Part VII, pp. 8-9.

مكتبة المهتدين الإسلامية

وربما كان ذلك هو الدافع لبرودروموس فى شكواه من زوجتـــــه للامبراطور وأنه يخاف لسانها وغضبها وتهديداتها وقسوتها (٥) · ولو أننا نعزى قسوة بعض النساء وتصلتهن الى ضعف أزواجهن وليونتهم ·

ومما يؤكد قسوة بعض النساء البيزنطيات فى بعض أدوار التـاريخ البيزنطى ذلك الدور الذى لعبته المرأة البيزنطية فى مجال الدس والمؤامرات والأمثلة على ذلك كثيرة مثل فاوستا زوجة الامبراطور قنسطنطين العظيم وموقفها من ابنه قنسطنطين الثالث · بالاضافة الى ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان فى هذا المجال ودور الامبراطوره ايرين وخاصة مع ابنها قنسطنطين السادس ثم زويه ابنة الامبراطور قنسطنطين الثامن وتخلصها من زوجها رومانوس الثالث · كذلك ثيوفانو التى تخلصت من زوجها نقفور فوقاس كما كان لها دورا فعالا فى التخلص من زوجها الثانى وعشيقها تزيمسكس وأخيرا أنا كومنينا التى تآمرت مرتين ضد أخيها حنا وذلك لرغبتها فى وضع التاج الامبراطورى على رأس زوجها نقفور برنيوس بعد وفاة والدها ·

أما وضع المرأة البيزنطية فى القانون فقد حظيت بالكثير من التشريعات والقوانين فى كافة مجالات حياتها التى حاولت بقدر المستطاع أن ترسم لها الطريق وتحفظ لها حقوقها ولكنها لم تكن منصفة للمرأة فى غالبيـــة تلك القوانين ·

وفى النهاية نختتم هذا الموضوع بتأييد قول (فشر) عن أن معظم التاريخ البيزنطى خليط من المتناقضات الحادة الباعثة على الاكتئاب ففينات من القوة الحربية والنصر المبين تعقبها فترات من الاضطراب الداخلى والتآمر السافل وعلم غزير وأدب جم يجتمعان الى وحشية صارخة وغض عن الاجرام » (٦) واذا كان هذا هو رأى فشر العام ، فاننا اذا حاولنا تطبيقه بالنسبة لموضوع المرأة نجد أننا نقرأ مؤلفات الأميرة أنا كومنينا مثلا وهى التى كانت ملمة بمعظم الآداب اليونانية القديمة فيعجبنا أنها أحبت أباها حب العبادة وأنها كتبت تاريخا رائعا تمجيدا له ثم نرى أنها شاركت فى مؤامرة لاغتيال أخيها ·

---

5. G. Buckler : Op. cit., p. 415.

(٦) فشر : تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، ق ١ ، ص ١٧٣ ·

http://www.al-maktabeh.com

كذلك نرى ثيودورا زوجة جستنيان التى تمادت المصـــــادر والمراجع المختلفة فى رسم صورة لها قبل اعتلائها العرش تشمئز منها النفس ثم نجدها بعد اعتلائها العرش مع الامبراطور جستنيان تتمادى فى وصفها بأنها «الزوجة الجديرة بالاحترام التى أعطاها الله له » (٧) لذلك كان جستنيان يطلق عليها « فاتنته الأكثر حلاوة » (٨) ٠

والامبراطوره ايرين التى بلغت ذروة قسوتها عندما سملت عينى ابنها قنسطنطين السادس فى سبيل وصولها الى كرسى العرش ، الا انها فى مجال دفاعها عن الأيقونات رفعت منزلتها ولقبت بحامية المسيح ٠

كذلك فى مجال تعدد الزيجات نجد أن القانون البيزنطى اعتبر الزواج الرابع نوعا من البهيمية أو الوحشية ، لكن عندما لم يسمح القدر للامبراطور ليو الرابع بالانجاب الا من عشيقته زويه كاربونوبسينا ، لم يتورع عن الزواج منها ورفعها الى مرتبة أوغسطا (٩) وأصبحت بذلك رابع زوجة له ، وضرب بالقانون البيزنطى بل والمسيحى كله عرض الحائط ٠

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت فى اعطاء فكرة متكاملة عن المرأة فى الحضارة البيزنطية وأن أستطيع أن أساهم بهذا المجهود المتواضع فى اضافة ولو جزء بسيط الى مكتبة تاريخ العصور الوسطى ٠

وخير ما نختتم به كلامنا أن الحمد لله رب العالمين ٠

---

7. C. Diehl : Theodora, p. 144, Cam. Med. Hist., V. II, p. 26 عن Diehl.
8. Cam. Med. Hist., V. II, p. 26 عن Diehl.
9. G. Ostrogorsky : Op. cit., pp. 259-260, Cam. Med. Hist. V. IV, Part I, p. 131.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ملحق رقم (١)

يمين الضمان الذى أعلنته الامبراطورة ايودوكيا فى حضور زوجها قنسطنطين دوكاس ٠

افتتحت الامبراطورة يمينها بالدعاء للعذراء والقديسين والشهداء ، وأمام الجميع أعلنت أنه اذا حدث للأســـف ان توفى قنسطنطين دوقاس قبلها ، فانها لن تمتحن بارتباطها بزواج ثان ، بل على العكس ستعيش مخلصة لذكرى زوجها ٠ وسيكون عطفها متساويا على أبنائهما ، وستحاول قدر استطاعتها أن تتغلب على كل العقبـــات التى قد تعترض طريقهم فى فترة حكمهم ٠

وفى حضور الامبراطور ، البطريرك حنا ، القيصر ، شقيق الامبراطور ، كل السناتو والمجمع الكنسى ، وأيضا فى حضور أبنائهما ، الباسيليوس ميخائيل والباسيليوس قنسطنطين برفيروجنت وأندرونيك ، كانت الامبراطورة مستعدة لأن تقسم اليمين ، وتؤكد أنها لن ترتبط أبدا ، مهما حدث ، بزواج ثان ، ولكى تهدأ نفس الامبراطور أكثر ، توســـلت الى والدها الروحى ، البطريرك والى المجمع الكنسى والسناتو ، بانزال اللعنة عليها اذا أرادت التراجع فى كلامها ٠ وقد طلبت أيضا ، فى حالة ما اذا توفى البطريرك حنا قبلها ، أن يفرض نفس العقاب بواسطة خلفائه ٠

كذلك تعهدت ايودوكيا بألا تقحم أحدا من أبناء عمها أو خالها أو أحدا من أقارب والديها فى ادارة الشئون العامة للبلاد ٠ وأنها أيضا لن تبعد أبدا القيصر شقيق الامبراطور عن الحظوة الامبراطورية ، وأنها لن تجرده من رتبته ، ولا سلطته القضائية ولا ايراداته ، بل على العكس ، فانها ستسعى جاهدة لزيادتها لأقربائه ولأبنائه ٠

وكضمان وقعت الامبراطورة بيدها على نص اليمين فى حضـــور الأشخاص المذكورين سابقا ٠

وقد وقع على اليمين حنا رئيس أساقفة القسطنطينية ، روما الجديدة ،

http://www.al-maktabeh.com

الذى تعهد بحرمان الامبراطورة فى حالة نقضها لليمين الذى حلفته ، كما تعهدت لخلفائه بأن يفرضـــــوا عليها نفس العقاب فى حالة ما اذا ارتبطت بزواج ثان ٠

عن

Nicolas Oikonomidès : Documents et études sur les institutions de Byzance (VIIe - XVe S.) Variorum Reprints. London 1976, Part III Le Serment de l'Impératric Eudocie (1067), Un Episode de lH'istoire Dynastique de Byzance, pp. 103-104.

مكتبة المهتدين الإسلامية

ملحق رقم (٢)

النص الذى أورده ابن العبرى بخصـــــوص تبادل الأسرى بين المسلمين والروم ٢٣١ هـ ـ ٨٤٥ م

فى بداية عهد وصاية ثيودورا ـ زوجة الامبراطور ثيوفيل ـ على ابنها ميخائيل ، أرسل الروم سفيرا الى العرب ، بخصوص موضوع الهدنة وتبادل الأسرى ، وعندما قدم سفير الروم استقبله (الملك على حد تعبير ابن العبرى) الخليفة الواثق ببشاشة ، ولم يحدثه بكلمات متعجرفة كما فعل والده ، الذى قال : « نحن لا نقبل أن يكون المسيحيون متساويين فى قدرهم مع العرب ، عند تبادل الأسرى » · لكن الواثق أفصح عن رغبته السريعة فى أن يتم تبادل رجل لرجل · عندئذ لم يكن سفير الروم راضيا فى البداية عن رأى الخليفة وقال «ان كل الأسرى العرب الذين فى حوزتنا من الجنود الذين أسرناهم أثناء الحروب ، بينما الأسرى الذين معك ، العدد الأكبر منهم من الجنود الذين أسرتهم من القرى ، ومن الرجال المسنين والنساء المسنات والصبيان والفتيات · فكيف يكون ممكنا أن نبادل شخصا بشخص ؟ » وعندما ظلوا يتجادلون على تلك الحال عدة أيام ، وافق السفير الرومى فى النهاية على تبادل شخص بشخص · ولأن عدد الأسرى العرب بلغ أربعـــــة آلاف وثلثمائة واثنين وستين شخصا ، وكان عدد المسيحيين أقل ، أرسل الخليفة (الملك) الواثق وجمع من كل أطرافه وحدوده، العبيد سواء الذكور أو الاناث، الذين كان قد اشتراهم من أصحابهم · وحتى باتباعه تلك الوسيلة لم يكتمل العدد المطلوب ، لذلك فقد أبعد عن قصره الوصيفات اللائى كان قد اختارهن من بلاد الروم ، وبعث بهن مع سفيرهم · وقد اجتمع العرب والروم على نهر سلوقية ، الذى كان أحد حدود طرسوس ، وهناك تم تحرير الأسرى ·

عن

The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, p. 140.

http://www.al-maktabeh.com

ملحق رقم (٣)

الهدايا المتبادلة بين الامبراطور رومانوس التاسع والخليفة المستنصر بالله الفاطمى (١)

٤٣٧ هـ

عن : تقى الدين أحمد بن على المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا · الجزء الثانى ص ١٩٤ ·

لما كان فى ثامن ذى الحجة سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وردت هدية متملك الروم من القسطنطينية الى القاهرة ، وقيمتها ثلاثون قنطارا من الذهب ، والقنطار عندهم سبعة آلاف دينار ومائتان دينار (٢) وكان من جملتها بغل وحصان من أحسن الدواب وأعلاها قيمة ، كل منهما عليه ثوب ديباج رومى منقوش ثقيل ، وخمسون بغلا عليها مائة صندوق مصفحة بالفضة ، فيها آنية الذهب والفضة ، منها مائة قطعة بميناء ، وفيها من الديباج والسندس والابريسم والعمائم المعلمة مالا يقدر على مثله · فعوض عن هديته بمثلها من حق مصر ومن الجوهر والمسك والعود والطراز ، عمل تنيس ودمياط ، ما هو أكثر قيمة مما بعثه ·

---

(١) الامبراطور رومانوس التاسع ١٠٤٢ ـ ١٠٥٥ م الزوج الثالث للامبراطورة زويه ، ابنة الامبراطور قنسطنطين الثامن والذى شاركها العرش البيزنطى هى وأختها ثيودورا · أما الخليفة المستنصر ، أبو تميم معد فقد تولى فى ١٥ شعبان ٤٢٧ هـ وتوفى فى ١٨ ذى الحجة ٤٨٧ هـ ·

(٢) أما د · جمال سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٢٤٥ · عن (الأبشيهى : المستطرف فى كل فن مستطرف) فيذكر أن قيمة كل قنطار منها عشرة آلاف دينار عربية ·

مكتبة المهتدين الإسلامية

ملحق رقم (٤)

عودة الخلافات بين البيزنطيين والمصريين فى عهد الامبراطورة ثيودورا ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ٠

عن تقى الدين أحمد بن على المقريزى : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، الجزء الثانى ص ٢٣٠ ٠

كان القاضى أبو عبد الله القضاعى قد توجه من عند الخليفة المستنصر بالله الفاطمى برسالة الى متملك الروم ، فقدم وهو بالقسطنطينية رسـول السلطان طغرلبكبن سلجوق يلتمس من الملكة ثيودورا أن تمكن رسوله من الصلاة فى جامع قسطنطينية ، فأذنت له فى ذلك ، فدخل اليه وصلى به ، وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى ٠ فبعث القضاعى بذلك الى المستنصر، فأحاط بما فى قمامة وأخذه ، وأخرج البطرك منها الى دار مفردة ، وأغلق أبواب كنائس مصر والشام ، وطالب الرهبان بالجزية لأربع سنين ، وزاد على النصارى فى الجزية ٠ وكان هذا ابتداء فساد ما بين الروم والمصريين ٠

al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين
http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

المصـــادر والمراجع

(أ) المصادر العربية :

١ - **ابن الأثير الجزرى** : (ت ٦٣٠ هـ - ١٢٣٢) أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانى الملقب بعز الدين : الكامل فى التاريخ جـ ١ ، دار الفكر ببيروت ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م ٠ جـ ٥ ، جـ ١٠ ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م ٠

٢ - **البلاذرى** (ت حوالى ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م)
أحمد بن يحى بن جابر ، فتوح البلدان ، القسم الأول نشره ووضع فهارسه الدكتور صلاح الدين المنجد ، طبع ونشر مكتبة النهضـــة المصرية ٠

٣ - **البيرونى الخوارزمى** : (ت ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م)
أبو الريحان محمد بن أحمد : الآثار الباقية عن القرون الخالية مكتبة المثنى ببغداد ٠

٤ - **ابن خرداذبه** : (ت ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م)
أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، المسالك والممالك ، مكتبة المثنى ببغداد طبعة بريل ١٨٨٩ ٠

٥ - **الذهبى** : (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، دول الاسلام ، جـ ١ تحقيق فهيم محمد شلتوت ، محمد مصطفى ابراهيم - الهيئـــة المصرية للكتاب ١٩٧٤ ٠

٦ - **الطبرى** : (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
تاريخ الرسل والملوك ، جـ ٩ طبعة دار المعارف ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ٠

٧ - **ابن العماد** : (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٨ م) ابو الفلاح عبد الحى بن على بن محمد : شذرات الذهب ، جـ ٢ ، المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ٠

http://www.al-maktabeh.com

٨ - **ابو الفـــدا** : (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) الملك المؤيد عمـــــاد الدين اسماعيل : المختصر فى أخبار البشر ، جـ ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ الطبعة الأولى، المطبعة الحسينية المصرية ٠

٩ - **ابن قيم الجوزيه** : (ت ٧٥١ هـ - ١٣٥٠ م)
شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الدمشقى الحنبلى : أخبار النساء - شرح وتحقيق الدكتور نزار رضا - منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت لبنان ٠

١٠ - **القرمانى** : (ت ١٠١٩ هـ / ١٦١٠ م)
أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقى : أخبار الدول وآثار الأول فى التاريخ ، عالم الكتب بيروت ٠ مكتبة المثنى بالقاهرة مكتبة سعد الدين دمشق ٠

١١ - **القلقشندى** : (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
أحمد بن عبد الله : مآثر الأنافة فى معالم الخلافة ، جـ ١ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ٠ عالم الكتب بيروت ١٩٨٠ ٠

١٢ - **ابن كثير** : (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
عماد الدين ابى الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرش الدمشقى : البداية والنهاية ، جـ ١٠ الطبعة الثانية ١٩٧٧ مكتبة دار المعارف بيروت ٠

١٣ - **ابو المحاسن** : (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م)
جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن تغرى بردى : النجوم الزاهره جـ ٢ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ٠

١٤ - **المقريزى** : (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)
تقى الدين أحمد بن على : اتعاظ الحنفا ، تحقيق الدكتور محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ، ١٣٩٠ هـ - ١٩٧١ م ٠

١٥ - **ابن ميسر** : (ت ٦٧٧ هـ / ١٢٧٨ م)
أبو عبد الله تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن شاهنشاه : أخبار مصر ، جـ ٢ ، مصر ١٩١٩ ٠

مكتبة المهتدين الإسلامية

١٦ - **ابن الوردى :** (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
ابو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابى الفوارس تتمة المختصر فى أخبـــار البشر ، ج ١ الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م - دار المعرفة بيروت لبنان ٠

١٧ - **اليافعى :** (ت ٧٦٨ هـ /١٣٦٦ م)
ابو محمد عبد الله بن أسعد بن على بن سليمان بن عفيف الدين اليمنى المكى : مرآة الحنان وعبرة اليقظان ، ج ٢ ، منشورات مؤسســـة الأعلمى للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ٠

(ب) المراجع العربية والمعربية :

١ - **ابراهيم احمد العروى :** (الدكتور)
الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربى٠

٢ - **ابراهيم على طرخان :** (الدكتور)
الحركة اللا ايقونية فى الدولة البيزنطية ، القاهرة - مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٦ ٠

٣ - **احسان عباس :** (الدكتور)
العرب فى صقلية ، ســـلسلة مكتبة الدراســـات التاريخية ، دار المعارف بمصر ٠

٤ - **احمد شلبى :** (الدكتور)
موسوعة التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية ، ج ٣ ، (الخلافة العباسية) الطبعة الخامسة ١٩٧٤ ، الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية ٠

٥ - **ادوارد جيبون :**
اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، ج ١ نقله الى العربية محمد على ابو دره ، راجعه وقدم له أحمد نجيب هاشم ، ج ٢ نقله للعربية لويس اسكندر وراجعه أحمد نجيب هاشم ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ٠

http://www.al-maktabeh.com

٦ - **أسد رستم :** (الدكتور)
الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جـ ١ ، دار المكشوف ، الطبعة الأولى ، بيروت لبنان ١٩٥٥ ٠

٧ - **اسمت غنيم :** (الدكتورة)
١ - الامبراطورية البيزنطية وكريت الاسلامية ، الناشر دار المجمع العلمى بجده ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ٠
٢ - امبراطورية جستنيان ، الناشر دار المجمع العلمى بجده ٠

٨ - **السيد الباز العرينى :** (الدكتور)
١ - الدولة البيزنطية ٣٢٣ - ١٠٨١ م ، الطبع والنشر دار النهضة العربيـــة ٠
٢ - تاريخ أوربا العصور الوسطى ، دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٦٨ ٠

٩ - **زامبور :** (المستشرق) معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الاسلامى ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ ٠

١٠ - **ستفن رنسيمان :**
الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على ، الألف كتاب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١٠

١١ - **سعيد عبد الفتاح عاشور :** (الدكتور)
١ - حضارة ونظم أوروبا فى العصور الوســـطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ، ١٩٧٦ ٠
٢ - تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٢ ٠

١٢ - **سيده اسماعيل كاشف :** (الدكتوره)
مصر فى فجر الاسلام ٠

١٣ - **عبد القادر أحمد اليوسف :** (الدكتور)
١ - الامبراطورية البيزنطية ، المكتبة العصرية ، صـــيدا بيروت ١٩٦٦ ٠
٢ - العصور الوسطى الأوربية ، المكتبة العصرية صـــيدا بيروت ١٩٦٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

١٤ ـ **عبد اللطيف احمد على :** (الدكتور)
١ ـ التاريخ اليونانى (العصر الهللاوى) (١) دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٦ ٠
٢ ـ روما ج ١ تاريخ الجمهورية والامبراطورية الرومانية ، النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية ٠

١٥ ـ **عليه عبد السميع الجنزورى :** (الدكتوره)
١ ـ الامبراطورة ايرين ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٨١
٢ ـ الثغور البرية الاسلامية على حدود الدولة البيزنطية فى العصور الوسطى ، الناشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧٩ ٠

١٦ ـ **عمر كمال توفيق :** (الدكتور)
١ ـ تاريخ الدولة البيزنطية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب فرع الاسكندرية ، ١٩٧٧ ٠ مطبعة الوادى ٠
٢ ـ مقدمات العدوان الصليبى على الشرق العربى الامبراطور حنا تزيمسكس وسياسته الشرقية ٩٦٩ ـ ٩٧٦ م ٠ الطبعة الثانية دار المعارف ١٩٦٧ ٠

١٧ ـ **فازيلييف :**
العرب والروم ، ترجمة د ٠ محمد عبد الهادى شعيره ، طبع ونشر دار الفكر العربى بطرسبرج ١٩٠٠ ٠

١٨ ـ **فشر :** (هـ ـ أ ـ ل)
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى ، نقله للعربية د ٠ محمد مصطفى زياده ، د ٠ السيد الباز العرينى ، ق ١ ، ٢ الطبعة الخامسة مطابع دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ٠

١٩ ـ **كرستوفر دوسن :**
تكوين أوربا ، ترجمة ومراجعة الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور والدكتور محمد مصطفى زياده ، سلسلة الألف كتاب باشراف الادارة العامة للثقافة ٠ الناشر مؤسسة سجل العرب ١٩٦٧ ٠

٢٠ ـ **محمد جمال الدين سرور :** (الدكتور)
سياسة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٣٩٦ ـ ١٩٧٦ م ٠

http://www.al-maktabeh.com

٢١ - **محمد صقر خفاجة ، عبد اللطيف أحمد على : (الدكتور)**
أساطير اليونان ، متلزم الطبع والنشر دار النهضة العربية مطبعة لجنة البيان العربى ٠

٢٢ - **محمد بن عبد الله بن سليمان بن عرفه :**
حقوق المرأة فى الاسلام ، مطبعة المدنى ، المؤسسة السعودية بمصر ٠

٢٣ - **م ٠ هارتمان ، ج باراكلاف :** ترجمة د ٠ جوزيف نسيم : الدولة والامبراطورية فى العصور الوسطى ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٠ ٠

(ج) المصادر والمراجع الأجنبية :

— Amann, (E) : Histoire de l'Eglise, No. 6, L'époque Carolingienne, Paris 1947.

— Anastos, (M. V.) : Studies in Byzantine Intellectual History, Variorum reprints, London, 1979.

— Part VIII, Leo III's Edict against the images in the year 726-727 and Italo-Byzantine relations between 726 and 730.

— Part X : The argument for Iconoclasm as presented by the iconoclastic council of 754.

— Part XI : The Ethical theory of images formulated by the iconoclasts in 754 and 815.

— Bréhier, (L.) : Vie et Mort de Byzance, Paris, 1947.

— Browning, (R.) : Studies on Byzantine History, Literature and Education, Variorum Reprints, London, 1977.

— Buckler (G.) : Women in Byzantine law, About 1100 A.D., Byzantion XI (1936), pp. 319-416.

مكتبة المهتدين الإسلامية

— Bury (J.B.) :
— History of the Later Roman Empire, Vol. I, America, 1958.
— A History of the Eastern Roman Empire, London 1912.

— Chronique de Michel le Syrien. T.B. Chabot Tome II, Fascicule II, Paris 1902, Tome III Paris, 1905.

— Comnena, Anna: The Alexiad, Translated by Elizabeth, A.S. Dawas, London, 1967.

— Croiset (M) :
— La Civilisation de la Grèce Antique, Payot, Paris, 1943.

— La Civilisation Hellénique, Aperçu Historique, Payot, Paris, 1926.

— Dagron (G) : Naissance d'une Capitale, Presses Universitaires de France, Paris, 1974.

— Dawson (C) : Le Moyen-Age et les origines de l'Europe, Arthaud, France.

— Diehl (C) :
— Théodora imperatrice de Byzance E. de Boccard, Paris.
— Histoire de l'Empire Byzantin, Paris, 1924.

— Gaudefroy (M.M.) — Demombynes et Platonov : Le Monde Musulman et Byzantin. Jusqu'au Croisades, T. VII (Histoire du Monde) Paris, 1931.

— Guilland (R) : Titres et Fonctions de l'Empire byzantine Part XIV, Variorum Reprints, London, 1976.

— Guillou (A) : La civilisation Byzantine, Arthaud, 1974.

— Halphen (L) : Les Barbares, troisième Edition, Paris, 1936.

— Hamlyn : The Medieval and Renaissance World, General Editor Esmond wright.

http://www.al-maktabeh.com

— Larousse Encyclopaedia of Ancient and Medieval History General Editor : Marcel Dunan Honorary, Foreword by Arnotld Toynbee Hamyln, London, New York, Sydney, Toronto.

— New Catholic Encyclopaedia, Volume XIII (Scu to Tex) the Catholic Unievrsity of America, 1967.

— Ostrogorsky (G) : History of the Byzantine State, translated, by Joan Hussy. Oxford, 1968.

— Patrologia Orientalis Tomus IV, Les Homiliae Cathedrales de Sévère d'Antioche, Traduction Syriaque de Jacques d'Edesse publiée et Traduit par Duval.

— Piganiol (A) L'Emepeur Constantin, Les Editions Rieder, Paris, 1932.

— Previte Orton : (C.W.) : The shorter Cambridge Medieval History Vol. 1, 2, Cambridge University Press, Cambridge, London, New York, Melbourne, 1977.

— Romilly J.H. Jenkins : Studies on Byzantine History of the 9th and 10th Centuries, Variorum Reprints, London 1970, VII, Eight Letters of Arethas on the Fourth Marriage of Leo the wise with Basil Laordas.

— The Cambridge Medieval History (Cam. Med. Hist.) V. IV, The Byzantine Empire, Part I, Byzantine and its Neighbours, Cambridge, the University Press, 1966.

— The Cambridge Medieval History, V. IV, Part II Government Church and Civilization, Cambridge University Press, 1967.

— The Cambridge Medieval History Volume II, The rise of the Saracens and the foundation of the Western Empire, Cambridge 1967.

— The Chronography of Bar Hebraeus, V. I, Translated from the Syriac by Ernest A. Wallis Budge, Oxford University Press, 1932.

مكتبة المهتدين الإسلامية

— The Encyclopaedia Americana International Edition V. 19, 29 (1974)

— The New Encyclopaedia Britannica Vol. I, VI (1768).

— Vasiliev (A.A.) : Histoire de l'Empire Byzantin T. I, Editions A Picard, Paris 1932.

— Zananiri (G) : Histoire de l'Eglise Byzantine, Nouvelles Editions Latines, Paris 1954.

http://www.al-maktabeh.com

مكتبة المهتدين الإسلامية

فهرست

al-maktabeh
مكتبة المهتدين

مقـــدمة : وضع المرأة فى الفكر اليونانى والأساطير اليونانية والحضارة اليونانية القديمة ٥

الفصل الأول : دور المرأة البيزنطية فى الحكم والحياة السياسية . ١٥

أولا : المرأة البيزنطية كوصية ١٧
الوصية الأخت : بولكيريا (١٧) . الوصية الزوجية : أولا : ايرين دوكاس (١٨) . ثانيا : صوفيا زوجة جستين الثانى (٢١) . الوصية الأم : أولا : الامبراطورة ايرين (٢٢) . ثانيا : الامبراطورة ايودوكيا مكريمبو ليتيسا (٣٥) . ثالثا : أنا دلاســـينا (٤٢) . رابعـــا : مارى الأنطاكية (٤٣) . آخـــر شكل للوصـــية الأم : زويه كاربونوبسينا (٤٦) . المرأة كشريكة فى مجلس وصـــاية على امبـــراطور قاصر : ثيودورا أرملة الامبـــراطور ثيوفيل (٥٣)

ثانيا : المرأة البيزنطية كشريكة فى الحكم ٧٩
ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان الأول (٧٩)

ثالثا : المرأة البيزنطية كامبراطور ١٠٧
١ ــ الامبراطورة ايرين (١٠٧)
٢ ــ زويه وثيودورا ابنتى قنســطنطين الثـامن (١١١)

رابعا : المرأة البيزنطية كخليلة امبراطورية ١٢٦
سكليرينا خليلة الامبراطور قنسطنطين التاسع (١٢٦)

الفصـــل الثانى : دور المرأة البيزنطية فى الحياة الدينية . . . ١٢٩
١ ــ هيلانة أم قنسطنطين الأول ١٢٩
٢ ــ بولكيـــريا رايودوكيا ١٣٥
٣ ــ ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان الأول . . ١٣٧
٤ ــ الامبراطورة ايرين ١٥٣
٥ ــ الامبراطورة ثيودورا زوجة الامبـــراطور ثيوفيل ١٦٤
تعقيب عام ١٧١

http://www.al-maktabeh.com

الفصل الثالث : دور المرأة البيزنطية فى الحيـــاة الثقافية والفكرية ١٧٣
نبذة عامة وأمثلة مختلفة ١٧٣
أناكـومنينا ١٧٦

الفصل الرابع : دور المرأة البيزنطية فى الحياة الاجتماعية . . ١٨٥
نبـــذة عـــامة : أمثلة من النســـاء البيزنطيات (١٨٥)
الفتيات غير المتـــزوجات (١٨٦) وضـــع الأم (١٨٦)
الامبراطور الأم (١٨٧) اختيـــار الامبـــراطورة (١٨٧)
أهمية الجمال لدى البيزنطيين (١٨٨) وضـــع اصهار
الامبراطور الجديد (١٨٩) القصـــور والخصيان (١٩٠)
زواج البيزنطية بأجنبى (١٩٠) زواج بعض الأباطـــرة
البيزنطيين من أجنبيات (١٩٢) زواج الامبـــراطور أكثر
من مرة (١٩٢) زواج الإمبراطورة أكثر من مرة (١٩٤)

أولا : الامبراطورة زويه ١٩٤
ثانيا : الامبراطـــورة ايودوكيا مكريمبوليتسا . . . ١٩٥
ثالثا : الامبراطورة ثيونانو ١٩٦
المرأة البيزنطية والمؤامرات ١٩٨
١ ـ فاوستا زوجة قنسطنطين العظيم ١٩٨
٢ ـ بولكيـــريا ٢٠٠
٣ ـ مارتينـــا ٢٠١
٤ ـ ثيودورا زوجة الامبراطور جستنيان . . . ٢٠٣
٥ ـ الامبراطورة ايرين ٢٠٤
٦ ـ زويه ابنة الامبراطور قنسطنطين الثامن . . . ٢٠٥
٧ ـ الامبراطورة ثيـــوفانو ٢٠٦
٨ ـ أناكومنينا ووالدتها ايرين دوكاس ٢١١

الفصل الخامس : وضـــع المرأة فى القانون البيزنطى . . . ٢١٣

الزواج ٢١٣
المهـر والصـــداق ٢١٥
الزواج مـــرة ثانية ٢١٦
مجمع قرولان والمرأة ٢١٨

مكتبة المهتدين الإسلامية

الطـــلاق ٢١٨
اتخاذ المحظيات أو الخليلات ٢٢١
الـزنا ٢٢٢
تعليـــق عـام ٢٢٥
الخاتمـــة ٢٢٧
الملاحـــق ٢٣١

ملحق رقم (١) : يمين الضـــمان الذى أعلنته الامبـراطورة ايودوكيا فى حضور زوجها قنسطنطين دوكاس . . ٢٣١

ملحق رقم (٢) : النص الذى أورده ابن العبـــرى بخصوص تبادل الأسرى بين المســـلمين والروم ٢٣١ هـ - ٨٤٥ م ٢٣٣

ملحق رقم (٣) : الهدايا المتبـــادلة بين الامبراطور رومانوس التاسع والخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٣٧ هـ . . ٢٣٤

ملحق رقم (٤) : عودة الخلافات بين البيزنطيين والمصريين فى عهد الامبراطورة ثيودورا ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م . . . ٢٣٥

المصـــادر ٢٣٧

al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://www.al-maktabeh.com